

# تطور المعجمية العلمية في القرآن الكريم: دراسة الدلالات التفسيرية عبر العصور

أطروحة قُدمت إلى جامعة كاليكوت إتماماً جزئياً لمتطلبات الحصول على  
شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها

من

شبير علي ك. ك

تحت إشراف

الدكتور/ علي نوفل ك.

الأستاذ المشارك، قسم اللغة العربية، جامعة كاليكوت  
ورئيس القسم سابقاً، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها  
كلية فاروق (حكم ذاتي) كاليكوت، كيرالا، الهند



جامعة كاليكوت

كيرالا - الهند

٢٠٢٢



## المحتويات

٥.....	مقدّمة
١٨.....	الباب الأول: تطور علم التفسير عبر القرون
٢١.....	الفصل الأول: التفسير والتأويل لغة واصطلاحاً
٣١.....	الفصل الثاني: التفسير في عصر النبي والصحابة
٤٠.....	الفصل الثالث: التفسير في عصر التابعين
٥١.....	الفصل الرابع: التفسير في عصر التدوين (منذ عهد أتباع التابعين إلى العصر الحديث)
٥٧.....	الفصل الخامس: الإتجاهات والابتكارات في عصر التدوين
<b>الباب الثاني : التفسير العقلي والعلمي:</b>	
٧٨.....	دراسة عن الإتجاهات الإبداعية في مجال التفسير
٧٩.....	التفسير العقلي والعلمي: دراسة عن الإتجاهات الإبداعية في مجال التفسير
٨١.....	الفصل الأول: التفسير الممدوح والمذموم
٨٧.....	الفصل الثاني: التفسير العقلي أو التفسير بالرأي
١٠٢.....	الفصل الثالث: التفسير العلمي واتجاهاته
<b>الباب الثالث : علم الدلالة ودوره في تفسير الدلالات القرآنية</b>	
١٣٣.....	علم الدلالة ودوره في تفسير الدلالات القرآنية
١٣٤.....	علم الدلالة ودوره في تفسير الدلالات القرآنية
١٣٥.....	الفصل الأول: علم الدلالة معناه وتعريفه وتطوره
١٤٢.....	الفصل الثاني: علم الدلالة العربية واتجاهاته
١٥٥.....	الفصل الثالث: علم الدلالة ودوره في إشتقاق المصطلحات ومعانيها

الباب الرابع : تطور دلالات المصطلحات العلمية الواردة في القرآن الكريم عبر الزمان	١٧٤
تطور دلالات المصطلحات العلمية الواردة في القرآن الكريم عبر الزمان.....	١٧٥
الفصل الأول: الدلالات الواردة في خلق الكون.....	١٨٠
الفصل الثاني: الدلالات الواردة في الشمس والقمر.....	٢١٢
الفصل الثالث: الدلالات الواردة في ظواهر النجوم والكواكب.....	٢٣٧
الفصل الرابع: الدلالات الواردة في بناء السماء.....	٢٥٥
الفصل الخامس: الدلالات الواردة في بساطة الأرض وكرويتها وإقرارها.....	٢٧١
الفصل السادس: الدلالات الواردة في ظواهر الطبيعة.....	٢٩٨
الفصل السابع: الدلالات الواردة في خلق الإنسان.....	٣١٥
خاتمة البحث.....	٣٦٦
أهم نتائج البحث.....	٣٧٣
الإقتراحات والتوصيات.....	٣٧٦
المصادر والمراجع.....	٣٧٧

## مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحمد لله الذي علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على النبي الأمي الذي أرسله الله إلى كافة الأمم، وعلى آله وأصحابه الفائزين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد.

هذه الدراسة هي رسالة بحثية أكاديمية تم إعدادها للتقديم إلى قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها بكلية فاروق، كيرالا، التابعة لجامعة كاليكوت لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة في اللغة العربية وآدابها. عنوان هذه الأطروحة هو "تطور المعجمية العلمية في القرآن الكريم: دراسة الدلالات التفسيرية عبر العصور". وقد قام الباحث بدراسة دلالية عن الدلالات العلمية الواردة في القرآن الكريم.

## تحليل العنوان

كلمة 'مُعْجَم' اسم مفعول لكلمة 'أعجم'، ويرجع هذا اللفظ إلى مادة 'ع - ج - م' يقول ابن جني في كتابه 'سر صناعة الإعراب': "اعلم أن (ع ج م) إنما وقعت في كلام العرب للإبهام والإخفاء، وضد البيان والإفصاح. من ذلك قولهم: رجل أعجم، وامرأة عجماء، إذا كانا لا يفصحان ولا يبينان كلامهما"<sup>1</sup>. فمعنى الكلمة يشير إلى الإبهام والإخفاء والغموض والعجز عند الإفصاح والإبانة، هذا يقال وقد تعلم العرب الكتابة من أبناء الشعوب السامية، حيث اقتبسوا حروف الهجاء، ولكنهم وجدوا أن عددا من هذه الحروف يلتبس رسمه، فابتدعوا تمييزه بطريقة النقط، وقد سعى العرب عملية نقط الحروف لإزالة لبسها وإبهامها "إعجاما"، من "التعجيم"، وهي

<sup>1</sup> سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، ص: ٣٦

إزالة العجمة بالنقط مثلاً: أعجم الشيء إذا أزال غموضه. وسميت حروف الخط العربي بعد ذلك حروف المعجم، أي حروف الخط الذي أعجم ونقط، فزال منه اللبس والغموض. ومن هذه الدلالة جاءت تسمية الكتاب، الذي يزيل اللباس عن معاني الكلمات بعضها ببعض بالمعجم، نظراً لخضوعه لترتيب حروف المعجم.

'العلم' هو نهج منهجي يبني وينظّم المعرفة في شكل تفسيرات قابلة للاختبار وتنبؤات حول الكون. كلمة علم تقتصر غالباً على فروع الدراسة التي تسعى إلى شرح ظاهرة الكون المادي، وقد تعرّض 'العلم' لعدد من عمليات التحول على طول الزمان، وأصبح 'العلم' فيما بعد مرتبطاً بالمنهج العلمي لدراسة العالم الطبيعي، بما في ذلك الفيزياء والكيمياء والجيولوجيا والبيولوجيا وغيرها.

للعلم والدين منهجيات مختلفة في معرفة الكون، الدين يتابع الوحي والإيمان والقداسة، أما العلم يقرّ بالعقل والتجريبية والدليل، هذه مختلفة ومتناقضة، لا تعترف منهجيات العلم الوحي والإيمان والقداسة كمصادر صالحة للمعرفة، في نفس الوقت لا تقبل منهجيات الدين الآراء العلمية المتضاربة إلا عندما تصبح الأدلة مقبولة بأغلبية ساحقة من قبل عامة الناس. العلاقة بين الدين والعلم كانت موضوعاً للمناقشة دائماً، تناولها الفلاسفة وعلماء الدين والعلماء وغيرهم. يصف البعض هذه العلاقة علاقة صراع، ويصفها الآخر أنها علاقة انسجام. وفقاً للفيزيائي الشهير والحائز على جائزة نوبل، ألبرت أينستين، 'العلم بدون دين أعرج، الدين بدون علم أعمى'. في نظرية الإسلام، العلم هو دراسة الطبيعة باعتباره نابع من 'التوحيد'، وكلمة 'العلم' ومشتقاتها قد جاءت في القرآن الكريم خمس وثلاثين وثمان مائة مرة (٨٣٥).

القرآن ليس كتابا علميا، إنه معجزة الله الخالدة إلى النبي محمد ﷺ، وهداية للبشر، وهو يفصل للإنسان تحديد الخير والشر، والفضائل والخطايا، والأخلاق والفسوق، فإنه يتكون عديد من الآيات التي تشير إلى أسرار الكون وظواهر الطبيعة. في نظرية الإسلام، كل علم يدفع عن الجهل ويورث المعرفة هو من العلم المطلوب شرعا، يبدو أن حوالي ألف آية قرآنية تتناول العلوم، ويقال إن عدد الآيات العلمية يبلغ ما يقرب على سبع مائة وخمسين آية، وهي تشمل علوما مختلفة مثل؛ علم الفلك والفيزياء وعلم الكونيات والجغرافيا والجيولوجيا وعلوم المحيطات وعلم الأحياء وعلم النبات وعلم الحيوان والطب وعلم وظائف الأعضاء وعلم الأجنة والعلوم العامة.

كل هذه الآيات نزلت بأسلوب بسيط، ومفهومة لمن يتأمل فيها، ولم تتعارض هذه الآيات مع حقائق العلم، ويثبت العلم أن عديدا من الحقائق العلمية التي نزلت في القرآن صحيحة في روحه وواقعه. المصدر الهام والمهم عند من أراد البحث والدراسة في آيات القرآن والانغماس في عمق معناه وأسراره هو تفسير القرآن الكريم. وهو فرع من فروع المعرفة الإسلامية التي انبثقت عن القرآن. التفسير هو فهم وكشف إرادة الله التي نقلها النص القرآني عن طريق اللغة العربية والمعرفة الذاتية. قسّم العلماء آيات القرآن إلى أربع فئات؛

- مفهوم لمن يعرف اللغة العربية
- مفهوم للجميع
- مفهوم للعلماء فقط
- مفهوم عند الله وحده

إن النبي محمد ﷺ كان يشرح معاني الآيات التي نزلت عليه لتعليمهم ولكن لم يتم جمع هذه التفسيرات بشكل مستقل في كتاب معين، بل تم تدوينها في كتب الأحاديث في موضوع التفسير مع روايات أخرى عن النبي ﷺ. أنواع التفسير عند العلماء ثلاثة، هي:

• التفسير بالرواية

• التفسير بالدراية (الإجتهد والبحث)

• التفسير بالإشاري

إختلف العلماء في توضيح معاني 'التفسير' و'التأويل'، ويرى البعض أن التفسير ما يتعلق بالرواية، والتأويل ما يتعلق بالدراية. هناك من يقول التفسير والتأويل في معنى واحد، ومنهم من قال إنهما مختلفان في المعنى، ولحسن فهم القرآن ومعانيه لا بد أن يكون على المرحلتين متتابعتين هما تفسير القرآن وتأويل القرآن. المفسرون من السلف والخلف إتبعوا هذين المنهجين في تفسيرهم مثل الإمام الطبري، والرازي، والقرطبي، والآلوسي وغيرهم ولكن معظم من المفسرين إبتعدوا عن التأويل لأسباب عديدة.

و'التفسير العلمي' يعتبر نوعا من التأويل، وهو مصطلح من المصطلحات الحديثة، ويشير إلى تأويل بعض الآيات القرآنية وتفسيرها موافقا لبعض النظريات العلمية والإكتشافات الحديثة، فمنهم من يتعرف هذا النوع من التفسير ومنهم من يعارضه ويرى أن هذا اللون من التفسير يخرج بالقرآن الكريم عن الهدف الذي أنزل من أجله. وهو إجتهد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن المتعلقة بالكون ومافيه ومكتشفات العلم التجريبي على وجه يظهر به إعجاز القرآن ليدل على مصدره

الإلهي وصلاحيته لكل زمان ومكان، وهدفه إستنباط بعض المعاني الجديدة من الآيات القرآنية على أساس العلوم الكونية.

في هذه المناسبة، لدراسة الدلالية عن المعجمية العلمية الواردة في القرآن الكريم دور هام، فعلم الدلالة هو دراسة معاني الألفاظ والمصطلحات وشروحها ومفهوماتها في اللغة، ودراسة معنى التعبيرات اللغوية. كلمة 'الدلالة' هي مصدر فعل 'دلّ'، بمعنى: دلّ إلى شيء: أي أرشده وهداه (الهداية والإرشاد)، ودلّ على الطريق أي إراءة الطريق.

يحاول 'علم الدلالة' لدراسة التغيرات في المعنى، ويحلل التركيب اللغوي: صوتيا، وصرفيا، ومعجميا، ونحويا. يعتبر هذا العلم فرع من فروع 'علم اللغة'، وبعد أوائل القرن التاسع عشر للميلاد، عرف هذا العلم بمصطلح 'علم الدلالة'. قد قسم علماء اللغة علم الدلالة إلى عدة أقسام منها: 'الدلالة الصوتية'، و'الدلالة الصرفية'، و'الدلالة النحوية'، و'الدلالة المعجمية' وغيرها. موضوع هذا العلم هو 'المعنى' أي يشكل 'المعنى' الموضوع الأساسي في علم الدلالة سواء أكان اللفظ مفردا، أم عبارة أم جملة. الفرق بين الدلالات والمعنى، فهو أن الدلالات هي التغيرات التي تحدث في المعنى.

'تطور الدلالة' هو عملية التغيرات التي تقع في معاني الكلمات ولها أوجه، منها: 'توسع المعاني'، و'تقلص المعاني'، و'نقل المعاني'، و'إرتفاع قيمة المعاني' و'إفساد قيمة المعاني'. في رأي 'كارل سي. رايسيج' (Karl. C. Reisig)، علم تطور معاني الألفاظ (علم الدلالات) هو دراسة تاريخ وتطور معاني الألفاظ (Semasiology). أحيانا تتطور الألفاظ من معنى الخاص إلى العام مثلا: كلمة 'الحضارة': الإقامة في الحضر (المدن والقرى)، تطورت معناها إلى معنى مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي في

الحضر. خلال التطور تنقل الكلمة من معنى إلى آخر أو تضيف إلى معناها معنى آخر جديداً دون أن تترك الأول، فتتعدد بذلك المعاني التي تدل عليها وتستعمل في أي واحد منها على حسب الأحوال والمقامات، مثلاً: (أصل 'الورد' إتيان الماء، ثم صار إتيان كل شيء 'ورداً').

تغيير المعنى جانب من جوانب التطور الدلالي، وللتغير مرحلتان: الأولى مرحلة التغيير نفسه أي الإبتداع (Innovation) والتجديد يظهر في الكلام الفعلي (Speech)، هذا عمل فردي، والمرحلة الثانية وهي مرحلة إنتشار التغيير بين المجتمع، والمرحلة الأولى فردية والثانية اجتماعية، والألفاظ تتطور بإطراد متناسب مع ما يلبس المدلولات من تحولات وتغيرات، وللتطور عوامل منها: عوامل إجتماعية وعوامل متعلقة بالتغيرات الحياتية.

دراسة دلالات القرآن هي الطريقة الواعدة التي تساعد لفهم القرآن وتفسيره أكثر دقة. يمكن أن يعيد المفاهيم في القرآن إلى حالته الأصلية، ستوفر هذه الطريقة أساساً متيناً لموضوعية المفاهيم القرآنية، والدراسة الدلالية حول تطوير الدلالات العلمية ومعانيها المستخدمة في القرآن الكريم وتعابيرها وشرحها وتفسيرها وتأويلها في التفاسير المفسرين الذين نهجوا منهج التأويل والتفسير بالرأي خصوصاً التفسير العلمي عبر الزمان ستضيئ إلى مدى التطور والتغير التي حدثت في معاني الدلالات والمفاهيم العلمية.

## دوافع اختيار الموضوع

كان للباحث الرغبة لإجراء دراسة مبتكرة حول الإتجاهات الجديدة والتطورات التي تحدث في اللغة العربية، اهتم الباحث منذ تخرجه بقراءة تفاسير الآيات القرآنية خصوصاً الآيات التي وردت فيها دلالات علمية والكونية. التاريخ هو مجال آخر الذي

كان للباحث رغبة فيه. ولم يزل الباحث يلاحظ الإتجاهات الجديدة التي تحدث في علم التفسير، وخلال تلاوة القرآن طرحت هذه الدلالات العلمية أسئلة في نفس الباحث كيف يتمكن القرآن الكريم من الصمود والتغلب على تحديات العصر التي يواجه في طريقه عبر الزمان خصوصا في العصر الراهن المعروف بالعصر التقدمي للعلمي.

في عصر الرسول واجه القرآن التحديات في اللغة وبيانها لأن القوم حوله على مستوى عال في بلاغية اللغة وأدبها. وعصر الراهن هو عصر تقدم العلم والتقنية. وقد شاهد العالم إنفجار العلوم والمعرفة، وقد حفظ القرآن طابعه الإلهي وأثبت إعجازيته أمام تحديات في كل زمان ومكان. فهذه الفكرة هي التي أدت الباحث إلى إختيار موضوع يتعلق بالدلالات العلمية الواردة في القرآن الكريم، وقرر الباحث أن يحاول لإكتشاف الأجوبة للأسئلة التي طرحت في نفسه من خلال دراسة التفاسير بأنواعها المختلفة.

## الدراسات السابقة

جرت الدراسات والبحوث عن جوانب مختلفة للقرآن والتفاسير في الجامعات المختلفة، فمن الأطروحات التي قدمت إلى الجامعات المتنوعة لنيل شهادتهم الدكتوراه ما يلي:

- التطور والتجديد في دراسة تفسير القرآن، أس ك محمد روح الأمين، جامعة كلكتا، ٢٠٠٨
- الأمثال في القرآن الكريم وتأثيرها بالأدب العربي بإشارة خاصة إلى تفسير 'الكشاف'، شفيق الرحمن بي، جامعة كالكوت، ٢٠١٨

- الترادف اللغوي في القرآن الكريم: دراسة تحليلية، ك مبین الحق، جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردنية (حيدرآباد)، ٢٠٢٠
- أسباب الإختلاف في تفاسير القرآن بالإشارة الخاصة إلى تأثير المناقشات اللغوية في إختلاف التفاسير، صهيب وي بي، جامعة مهاتما غاندي، كيرلا، ٢٠١٩
- The concept of science as revealed in the Holy Quran and its impact on modern education a study by Shaikh, Azimuddin Mohammed Hussain, Dr. Babasaheb Ambedkar Marathwada University, 2003.
- A Study on the scientific indications in the Quran, by Abul Hassan Chaudhury, Assam University, 2013
- Development of life science and cosmology in the light of the Holy Quran a study by Saifu Rahman, Guwahati University, 2018

## أهمية البحث

تطور علم التفسير عبر الزمان وبرزت فيه إتجاهات جديدة على مر العصور. ومن المفسرين من يتبع منهج التفسير بالرأي والتفسير العلمي في تفاسيرهم، وقد حاولوا أن يفسروا دلالات القرآن على اساس الحقائق العلمية والكونية واختراعات العلم الحديث واكتشافاته العصرية، يريد الباحث في هذه الدراسة أن يفتش عن هذه التغيرات والتطورات التي حدثت في الدلالات العلمية في التفاسير عبر القرون. يقوم الباحث في هذا البحث بدراسة عن تطور الدلالات المعجمية العلمية في التفاسير عبر الزمان، ومن أهم النقاط التي يركز عليها الباحث في هذه الدراسة ما تلي:

- التعريف بعلم التفسير وعن نشأته ومراحل تطوره
- منهج التفسير بالرأي والتفسير العلمي
- التعرف بعلم الدلالة وأهميته في دراسة الدلالات القرآنية

- دراسة دلالية عن تطور دلالات العلمية الواردة في القرآن الكريم وتأويلات المفسرين خلال فترات مختلفة.

### مشكلة البحث

حاول الباحث خلال دراسته للإجابة عن الأسئلة التالية:

- كيف كان فن التفسير في عهد نزول القرآن؟
- كيف تطور فن التفسير عبر المراحل المختلفة؟
- ماهي الإتجاهات المشهورة في علم التفسير؟
- ماهو التفسير بالرأي والتفسير العلمي؟
- ما هو علم الدلالة؟ كيف كانت نشأته وتطوره؟
- كيف كان تطور علم الدلالة العربية؟
- ما هي أهمية علم الدلالة في دراسة الدلالات القرآنية؟
- ما هي الدلالات العلمية الواردة في القرآن الكريم؟
- ما هي العلاقة بين علم الدلالة وتفسير المصطلحات القرآنية؟
- ماهو دور علم الدلالة في تفسير المعجمية العلمية في القرآن الكريم؟
- ماهو مدى تأثر علماء التفسير بالإكتشافات والمخترعات الحديثة في تشكيل الآراء حول المصطلحات العلمية وتفسيرها عبر العصور؟

## منهج البحث

اعتمد الباحث على المنهج التحليلي الوصفي قائما على القراءة بما في تفاسير القرآن التي ألفت في عصور مختلفة على أساس مناهج مختلفة، وذلك بوصف المعلومات المأخوذة من الكتب والدراسات. ثم قام الباحث بدراسة الدلالات والمصطلحات الكونية والعلمية الواردة في آيات القرآن الكريم إشارة إلى حقائق الكون والعلم.

في البداية اقتبس الباحث الآيات القرآنية التي وردت فيها إشارات إلى حقائق الكون والعلم، وقام بتحليل هذه الآيات حتى اختار منها الدلالات والمصطلحات والعبارات التي تشير إلى أسرار الكون وعجائب العلم. ثم اطلع على أمهات كتب التفسير مثل الإمام الطبري، والإمام الرازي، والإمام القرطبي، والإمام النيسابوري، والإمام الألويسي، والشيخ الطنطاوي، والإمام ابن عاشور، والإمام المراغي، والسيد صديق حسن خان القنوجي وسيد قطب، والشيخ السيد إسماعيل شهاب الدين بوكويا وغيرهم لإكتشاف آرائهم حول هذه الدلالات المختارة، وسجل آراءهم ونظرياتهم فيها.

واستخدم الباحث المعاجم المشهورة مرجعا أصليا للبحث مثل كتاب العين للخليل بن أحمد، ولسان العرب لابن منظور وتاج العروس للزبيدي، ومفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني ومقاييس اللغة لابن فارس ومعجم الوسيط ومنجد في الأعلام وغيرها من المعاجم لإكتشاف المعاني اللغوية لهذه الدلالات كلها، وحلل الدلالات والمصطلحات والعبارات على أساس المعلومات المجموعة، ووصل إلى خلاصة القول على أساس آراء علماء التفسير من العهد القديم إلى المعاصر. وقد جمع المواد لهذا البحث من مصادر مختلفة، بما فيها الكتب العربية والإنجليزية المنشورة في هذا المجال كما راجع الباحث المجلات، والمواقع الإلكترونية والمواقع الإجتماعية.

## أهداف الدراسة

- مناقشة حول نشأة وتطور علم التفسير
- تحليل التفاسير حسب ترتيبها الزمني
- دراسة حقائق العلمية الواردة في القرآن الكريم
- دراسة دلالية حول المصطلحات العلمية الواردة في القرآن الكريم
- دراسة عن تطور المعجمية العلمية وتأويلها في كتب التفاسير عبر الزمان

## تبويب البحث

قسم الباحث هذه الأطروحة إلى أربعة أبواب ما عدا المقدمة والخاتمة ونتائج البحث، الباب الأول عنوانه "تطور علم التفسير عبر القرون"، وقد عالج الباحث في هذا الباب تطور علم التفسير خلال الفصول الخمسة، الفصل الأول يبحث عن 'التفسير والتأويل لغة واصطلاحاً'، ناقش فيه الباحث تعاريف مصطلح التفسير والتأويل لغة واصطلاحاً، كما بيّن الباحث أهمية التفسير حيث أنه نوع من أنواع العلوم القرآنية، وقد أوضح الباحث الفرق بين التفسير والتأويل في ضوء آراء العلماء. وفي الفصل الثاني ناقش الباحث عن التفسير في عصر النبي والصحابة، ومنهج التفسير في عصر النبي والصحابة. وقد ألقى الضوء إلى سمات علم التفسير وميزاته في هذه المرحلة. وفي الفصل الثالث بحث حول علم التفسير في عصر التابعين. وفي الفصل الرابع قدّم الباحث بياناً حول التفسير في عصر التدوين أي العصر منذ عهد أتباع التابعين إلى العصر الحديث. وفي الفصل الخامس دراسة حول الإتجاهات والإبتكارات التي حدثت في فن التفسير خلال عصر التدوين.

الباب الثاني عنوانه "التفسير العقلي والعلمي: دراسة عن الإتجاهات الإبداعية في مجال التفسير". قدّم الباحث مناقشة حول منهج التفسير العقلي أي التفسير

بالرأي والتفسير بالعلمي، قسّم الباحث هذا الباب إلى ثلاثة فصول، الفصل الأول هو: 'التفسير الممدوح والمذموم'، والثاني هو: 'التفسير العقلي أو التفسير بالرأي'، والثالث هو: 'التفسير العلمي واتجاهاته'.

والباب الثالث عنوانه "علم الدلالة ودوره في تفسير الدلالات القرآنية"، وهو يشتمل على ثلاثة فصول، في الفصل الأول ناقش الباحث معنى علم الدلالة لغة واصطلاحاً، وتعريفه ومراحل تطوره، والفصل الثاني قدم الباحث بياناً عن علم الدلالة العربية واتجاهاته. وفي الفصل الثالث ناقش فيه الباحث عن دور علم الدلالة في اشتقاق المصطلحات ومعانيها، كما حاول أن يبين مناهج تكوين المعنى في علم الدلالة، وفيه مناقشة حول علم الدلالة والقرآن الكريم.

والباب الأخير أي الباب الرابع يشتمل على دراسة دلالية عن الدلالات الكونية والعلمية الواردة في القرآن الكريم، وعنوانه "تطور دلالات المصطلحات العلمية الواردة في القرآن الكريم عبر الزمان". قسّم الباحث هذا الباب إلى سبعة فصول، فكل فصل يشتمل على دلالات أو عبارات أو مصطلحات واردة في آيات القرآن الكريم إشارة إلى حقائق الكونية أو العلمية في موضوع علمي. رتب الباحث المناقشة في كل فصل على ترتيب خاص، حيث اختار أولاً الألفاظ أو العبارات أو المصطلحات للمناقشة تحت عنوان معين، ثم بيّن معاني الكلمة أو المصطلح على أساس المعاجم اللغوية المعتمدة على ترتيب زمني، ثم اقتبس آراء المفسرين وتأويلهم حول هذه المصطلحات أو العبارات القرآنية. وقد رتب آرائهم ونظرياتهم وبياناتهم حسب ترتيب الزمني من القديم إلى الحديث. وقد لخص المناقشة في نهاية كل فصل. عناوين الفصول السبعة لهذا الباب هي: 'الدلالات الواردة في خلق الكون'، و'الدلالات الواردة في الشمس والقمر في جريانهما وضيائهما ونورهما، و'الدلالات والعبارات الواردة في ظواهر النجوم والكواكب'، و'الدلالات الواردة في بناء السماء وحفظها'،

و'الدلالات الواردة في موضوع بساطة الأرض وكرويتها وإقرارها، و'الدلالات الواردة في ظواهر الطبيعة، و'الدلالات الواردة في خلق الإنسان'.

## الشكر والإمتنان

وفي خاتم هذه الدراسة أتقدم بجزيل الشكر إلى الله الذي أنعم علي برعايته العظيمة ويسر لي إنجاز هذا البحث. أنتهز هذه الفرصة لأعبر عما أعماق قلبي من الشكر الجزيل لمشرفي ومرشدي السيد الدكتور علي نوفل. ك، الأستاذ المشارك، قسم اللغة العربية، بجامعة كالكو، ورئيس قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها بكلية فاروق (حكم ذاتي) سابقا، حيث أشرف على هذا البحث بأحسن صورة من بداية العمل حتى انتهت به في هذا الشكل. وقد ساندني طوال دراستي بإمامه وقدرته في اللغة وتجربته في المهنة. والألفاظ عاجزة لأعبر ما عندي من المشاعر، كما أشكر أيضا جميع الأساتذة في قسم اللغة العربية بكلية فاروق الذين بسطوا يد العون والمساندة خلال مدة دراستي في القسم.

وأقدم شكرا جزيلاً لوالديّ أبوبكر مولوي، وعائشة حيث ساعداني في مسيرة هذا البحث من البداية إلى النهاية بمساعدتهما المشكورة. كما أقدم الشكر لزوجتي ماشدة لتجشم الصعاب خلال هذه الفترة ولأبنائي هادي شبير، وفاطمة سجي، وحامي شبير أيضا. وأشكر لإخوتي الأعزاء لتقديم مساعداتهم خلال دراستي وبحثي. وأشكر جميع من ساعدوني في تقديم هذا البحث وأدعو الله أن يجزي كل من نصرني في إعداد هذه الأطروحة جزاء حسنا في الدنيا والآخرة. جزاهم الله خير الجزاء في الدارين كما أسأله التوفيق للجميع وهو ولي التوفيق.

## الباب الأول : تطور علم التفسير عبر القرون

- الفصل الأول : التفسير والتأويل لغة واصطلاحا
- الفصل الثاني : التفسير في عصر النبي والصحابة
- الفصل الثالث : التفسير في عصر التابعين
- الفصل الرابع : التفسير في عصر التدوين
- الفصل الخامس : الإتجاهات والإبتكارات في عصر التدوين

## تطور علم التفسير عبر القرون

تفسير القرآن فرع من فروع علوم القرآن. ومن تعاريفه فهم وكشف إرادة الله التي نقلها النص القرآني، عن طريق اللغة العربية ومعرفة الفرد. وللعلماء عدة أقوال وآراء في تعريف تفسير القرآن، مثلا الإمام السيوطي قد عرفه في كتابه 'الإتقان في علوم القرآن': "هو علم نزول الآيات وشؤونها، وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، تم ترتيب مكمها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها وفقيدها، ومجملها ومفسرها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها وعبرها وأمثالها"<sup>١</sup>.

يعتقد معظم الناس، أن هناك تفسيرا واحدا للقرآن في الأصل، وهذا بعيد كل البعد عن الحقيقة، حتى أقرب رفاقه النبي ﷺ قد اختلف بعضهم عن البعض في فهم الآيات القرآنية، وكذلك يختلف المذاهب المختلفة في آرائهم حول الأحكام الفقهية لأنهم يختلفون في فهم آيات القرآنية وتعاليم الرسول ﷺ. وقد حاول أصحاب هذه الفرق على تشديد آرائهم بتفسير الآيات القرآنية. والرسول ﷺ بنفسه يقول تشجيعا للدراسات القرآنية "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"<sup>٢</sup>.

وقبل الدخول إلى مجال التفسير، يجب على من يريد العمل بالتفسير إخلق التجربة والمعرفة في عدة موضوعات، يقول ابن حاتم: "ومن العلوم التي يجب على المفسر أن يعرفها، علم الناسخ والمنسوخ، وعلم أسباب النزول، والأحكام الفقهية الموجودة في الآيات القرآنية، وعلوم اللغة، ومدلولات الألفاظ ومعانيها ومصطلحاتها

<sup>١</sup> الإتقان في علوم القرآن، الإمام السيوطي، ص: ١٧٤/٢

<sup>٢</sup> أخرجه البخاري: الحديث رقم ٥٠٢٧

الكثيرة، والمشتهر منها لدى العرب، واستعمالاتها"<sup>1</sup>. وفي رأي ابن القيم: أن هناك تفاوت بين الناس في مراتب الفهم في النصوص وأن منهم من يفهم من الآية حكماً أو حكماً، ومنهم من يفهم منها عشرة أحكام أو أكثر من ذلك، ومنهم من يقتصر في الفهم على مجرد اللفظ دون سياقه ودون إيمائه وإشارته وتنبهه واعتباره، وأخص من هذا وألطف ضمه إلى نص آخر متعلق به: فيفهم من اقترانه به قدراً زائداً على ذلك اللفظ بمفرده وهذا باب عجيب من فهم القرآن لا يتنبه له إلا النادر من أهل العلم، فإن الذهن قد لا يشعر بارتباط هذا بهذا وتعلقه به.

---

<sup>1</sup> تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، ص: ٥/١

## الفصل الأول: التفسير والتأويل لغة واصطلاحاً

التفسير والتأويل هما من أهم المصطلحات في دراسات القرآنية، ولهما أهمية كبرى في هذا المجال. فالباحث في هذا الفصل يناقش معنى هذين المصطلحين لغة واصطلاحاً حتى يلقي الضوء إلى حدود هذه الدراسة وجوانبها.

"التفسير لغة: البيان، وفسر أي وضح شيئاً ما، وجعله مفهوماً، ويعرف اصطلاحاً: بأنه العلم الذي يشرح آيات القرآن الكريم، ويبين معانيها، وأحكامها، لذلك يعد علم التفسير من العلوم الدينية المهمة، لأنه يقدم شرحاً واضحاً ومفصلاً عن الآيات القرآنية، ويساعد في توضيح معنى كل آية في سور القرآن الكريم، حتى يتمكن الإنسان من فهمها واستيعابها استيعاباً واضحاً"<sup>١</sup>.

وكلمة التفسير مشتقة من الفسر، أي الكشف والإبانة، يذكر العلامة ابن منظور المتوفي سنة ٧١١ هجري في معجمه 'لسان العرب': "الفسر: البيان، فسر الشيء يفسره بالكسر، ويفسره بالضم، فسراً، وفسره: أبانه، والتفسير مثله، الفسر كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل"<sup>٢</sup>، قال تعالى (ولا يأتوك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً)<sup>٣</sup>. من هذا يتبين أن التفسير يستعمل لغة في الكشف الحسي، وفي الكشف عن المعاني المعقولة.

<sup>١</sup> علم التفسير نشأته وتطوره، www.mawdoo3.com

<sup>٢</sup> معجم لسان العرب، العلامة ابن منظور: ٥٥/٥

<sup>٣</sup> سورة الفرقان، الآية: ٣٣

## التفسير اصطلاحاً

يحكي الإمام الدكتور محمد حسين الذهبي آراء العلماء عن معنى الاصطلاح للتفسير في كتابه التفسير والمفسرون حيث يقول "يرى بعض العلماء أن التفسير ليس من العلوم التي يتكلف لها جد، لأنه ليس قواعد أو ملكات ناشئة من مزاولة القواعد كغيره من العلوم التي أمكن لها أن تشبه العلوم العقلية، ويكتفي في إيضاح التفسير بأنه بيان كلام الله، أو أنه المبين لألفاظ القرآن ومفوماتها. ويرى الآخر منهم: أن التفسير من قبيل المسائل الجزئية أو القواعد الكلية، أو الملكات الناشئة من مزاولة القواعد، فيتكلف لهم التعاريف، فيذكر في ذلك علوماً أخرى يحتاج إليها في فهم القرآن، كاللغة والصرف، والنحو، والقراءات وغير ذلك".<sup>١</sup>

وعرفه العلامة الزركشي المتوفي سنة ٧٩٤ هـ: "علم يبين به كتاب الله تعالى المنزّل على نبيه محمد ﷺ لتسهيل فهمه، واستخراج أحكامه والمراد من نزول آياته وسوره".<sup>٢</sup> وفي تعريف بعض من العلماء "أنه علم يبحث فيه عن أحوال القرآن المجيد، من حيث دلالاته على مراد الله تعالى، بقدر الطاقة البشرية".<sup>٣</sup> وإليه يشير الإمام السيوطي بقوله: "إنّ القرآن إنما نزل بلسان عربي في زمن أفصح العرب، وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه أما دقائق معانيه، فإنما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر".<sup>٤</sup>

ويلخص صاحب الكتاب 'التفسير والمفسرون' هذه المناقشة فيقول: "وإذا نحن تتبعنا أقوال العلماء الذين تكلفوا الحد للتفسير، وجدناهم قد عرفوه بتعاريف

<sup>١</sup> التفسير والمفسرون، الدكتور محمد حسين الذهبي، ص: ١٧/١

<sup>٢</sup> البرهان في علوم القرآن، العلامة الزركشي، ص: ٢٨٧/٢

<sup>٣</sup> التفسير والمفسرون، الدكتور محمد حسين الذهبي، ص: ١٨/١

<sup>٤</sup> موسوعة التفسير قبل عهد التدوين، الدكتور محمد عمر الحاجي، ص: ١٣

كثيرة، يمكن إرجاعها كلها إلى واحد منها، فهي وإن كانت الآراء مختلفة من جهة اللفظ إلا أنها متحدة من جهة المعنى وما تهدف إليه. فقد عرفه أبو حيان في 'البحر المحيط' بأنه: علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمت لذلك<sup>١</sup>. وهذا العلم يشمل سائر العلوم، فيه بحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولات تلك الألفاظ، وأسباب النزول وغيرها من العلوم كعلم البديع والمعاني والبيان، ودراسة الإعراب.

فواضح مما سبق أن علم التفسير هو علم يتعلق ببيان آيات القرآنية ومراد مضامينها، لأن القرآن قد نزل خلال ثلاث وعشرين سنة في مناسبات مختلفة، فعلم التفسير يبين أسباب نزولها كما يبين المراد والهدف من كلماته، ومصطلحاته.

## التأويل في اللغة

التأويل مصدر على وزن (تفعيل)، وفعله الماضي رباعي مضَعَف: تقول أول، ويأوّل، تأويلاً، ومادة الكلمة هي: أولٌ بفتح الهمزة وسكون الواو، كلمة التأويل مأخوذ من 'الأوّل' بالسكون على الواو، وهو 'الرجوع'، يقول ابن منظور في معجمه لسان العرب: "أول: الأول: الرجوع. آل الشيء يؤول أولاً ومآلاً: رجع. وأوّل إليه الشيء: رجعته. وألت عن الشيء: ارتددت. وفي الحديث: من صام الدهر ولا آل أي لا رجع إلى خير. والأوّل الرجوع"<sup>٢</sup>. وهو يقول أيضاً: "أما التأويل فهو تفعيل من أوّل يؤوّل تأويلاً وثلاثية آل يؤول أي رجع وعاد. وسئل أبو العباس أحمد بن يحيى عن التأويل فقال: التأويل والمعنى والتفسير واحد. قال أبو منصور: يقال ألت الشيء أوّله إذا جمعته

<sup>١</sup> التفسير والمفسرون، الدكتور محمد حسين الذهبي، ص: ١٨/١

<sup>٢</sup> لسان العرب، ابن منظور: ص: ٣٢/١١

وأصلحته فكان التأويل جمع معاني ألفاظ أشكلت بلفظ واضح لا إشكال فيه.....الليث: التأول والتأويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ولا يصح إلا ببيان غير لفظه<sup>١</sup>.

فكلمة التأويل هي مأخوذة من جذر الأول بمعنى 'الرجوع' إنما هو إعتباراً بأحد معانيه اللغوية، فالمؤول أرجع الكلام إلى ما يحتمله من المعاني.

### التأويل اصطلاحاً

كلمة التأويل مستخدمة على نطاق واسع في الدراسات القرآنية. و من العلماء من يدعم استخدام كلمة 'التأويل' في معنى التفسير كما أن هناك من ينكر استخدامها في هذا المعنى، وهم يرون اختلافاً و فرقا في المعنى بين هذين المصطلحين. وإذا التفت النظر إلى آراء العلماء وموقفهم على توضيح 'التأويل'، الاختلاف واضح في أقوالهم.

يري الحسين بن محمد الدمغاني في كتابه 'قاموس القرآن و إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم' إن لكلمة 'تأويل' خمسة أوجه في معناها في القرآن:

١. "التأويل بمعنى الملك: مثلاً قوله تعالى في سورة آل عمران "ابتغاء الفتنة

وابتغاء تأويله"، يعني ابتغاء علم منتهى ملك محمد ﷺ وأمته، وذلك أن اليهود أرادوا أن يعلموا ذلك من قبل حساب الجمل متى ينقضي ملكه ويعود إليهم.

٢. التأويل بمعنى ما وعد الله تعالى في القرآن من الخير والشر يوم القيامة أي

العاقبة. قوله تعالى في سورة الأعراف: "هل ينظرون إلا تأويله"، يعني عاقبة

<sup>١</sup> المصدر نفسه: ص: ٣٣/١١

ما في القرآن على لسان الرسول عليه الصلاة والسلام أنه كان يوم القيامة يعني الخير والشر.

٣. التأويل بمعنى تعبير الرؤيا: قوله تعالى في سورة يوسف "رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث"، "نبئنا بتأويله وإنا لنراك من المحسنين".

٤. التأويل بمعنى الألوان: قوله تعالى في سورة يوسف "يا صاحبي السجن - إلى قوله تعالى- لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله" يعني بألوانه، "قبل أن يأتيكما" أي الطعام

٥. تأويل بمعنى تحقيق: قوله تعالى في سورة يوسف مخبرا عن يوسف "يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل" يعني تحقيق رؤياي".<sup>١</sup>

فمصطلح التأويل قد استخدم في القرآن الكريم في معان مختلفة في آيات مختلفة، وقيل: التأويل مأخوذ من الإيالة وهي السياسة فكأن المؤول يسوس الكلام ويضعه في موضعه، قال الزمخشري في 'أساس البلاغة': "آل الرعية يؤولها إيالة حسنة، وهو حسن الإيالة وائتالها، وهو مؤتال لقومه مقاتل عليهم أي سائس محتكم".<sup>٢</sup>

وقد يرى الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي في اختلاف العلماء حول اصطلاح كلمة 'التأويل' في كتابه 'تعريف الدارسين بمناهج المفسرين' حيث يقول: "وتأويل الكلام: عاقبته، وما يؤول وينتهي إليه. وقال الراغب الأصفهاني: الأول: الرجوع إلى الأصل. والتأويل هو رد الشيء إلى الغاية المرادة منه، علما كان أو فعلا: ومن رد الشيء

<sup>١</sup> قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، الحسين بن محمد الدلمغاني، ص: ٥٨-٥٩

<sup>٢</sup> أساس البلاغة، الزمخشري، ص: ١٥/١

إلى غايته في العلم. قوله تعالى: (وما يعلم. تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به<sup>١</sup>)".

وإذا أضيف 'تأويل' إلى القرآن، فيصبح 'تأويل القرآن' مصطلحا خاصا محددًا، يتعلق بالقرآن الكريم، ويصير علما يتم به حسن فهم القرآن، وإزالة اللبس، والإشكال عن بعض آياته، بردها إلى الغاية المرادة منها، وحملها على الآيات الأخرى الواضحة، التي لا لبس فيها ولا اشكال، واستنباط لطائف الآيات ودلالاتها وحقائقها.

في كتاب 'التفسير والمفسرون'، الدكتور محمد حسين الذهبي يبين معنى كلمة 'التأويل' عند علماء السلف والخلف، فيقول: ولكلمة 'التأويل' معنيان عند علماء السلف هما:

١. "تفسير الكلام وبيان معناه، فيكون التأويل والتفسير على هذا مترادفين، قال مجاهد " إن العلماء يعلمون تأويله"، وقال ابن جرير الطبري "القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا" وكما قال "اختلف أهل التأويل في هذه الآية"، فإن مراده التفسير.

٢. هو نفس المراد بالكلام، فإن كان الكلام طلبا كان تأويله نفس الفعل المطلوب. وإن كان خبرا، كان تأويله نفس الشيء المخبر به<sup>٢</sup>.

١ سورة آل عمران: ٧

٢ تعريف الدارسين بمنهج المفسرين، الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص: ٢٥

٣ التفسير والمفسرون، الدكتور محمد حسين الذهبي، ص: ٢١/١

وأما المتأخرون من العلماء يعطون معنى لكلمة 'التأويل':

"هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به، والتأويل يحتاج إلى دليل، والمتأول يحتاج إلى أن يبين احتمال اللفظ للمعنى الذي حمله عليه وادعى أنه المراد. وكذلك أنه يحتاج إلى أن يبين الدليل الذي أوجب صرف اللفظ عن معناه الراجح إلى معناه المرجوح، وإلا كان تأويلاً فاسداً، أو تلاعباً بالنصوص. يحكي الدكتور محمد حسين الذهبي الحكاية من كتاب 'جمع الجوامع': "التأويل حمل الظاهر على المحتمل المرجوح، فإن حمل عليه لدليل صحيح، أو لما يظن دليلاً في الواقع ففاسد، أو لا لشيء فلعب لا تأويل"<sup>١</sup>.

### موقف العلماء على التفسير والتأويل

اختلف العلماء في بيان الفرق بين التفسير والتأويل، ومنهم من قال إنها بمعنى واحد ، ومنهم من قال بل إنهما مختلفان في المعنى، وفي اقتراح ابن حبيب النيسابوري "نبغ في زماننا مفسرون لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما هتدوا إليه"<sup>٢</sup>. ويقول الأستاذ الأمين الخولي "وأحسب أن منشأ هذا كله، هو استعمال القرآن لكلمة التأويل، ثم ذهب الأصوليين إلى اصطلاح خاص فيها، مع شيوع الكلمة على ألسنة المتكلمين من أصحاب المقالات والمذاهب"<sup>٣</sup>. قال أبو عبيدة وطائفة معه "التفسير والتأويل بمعنى واحد"<sup>٤</sup>. فهما مترادفان، وهذا هو الشائع عند المتقدمين من علماء التفسير.

١ المصدر نفسه، ص: ٢١/١

٢ الإتيان في علوم القرآن، الإمام السيوطي، ص: ١٧٣/٢

٣ التفسير معالم حياته- منهجه اليوم، أمين الخولي، ص: ٦

٤ الإتيان في علوم القرآن، الإمام السيوطي، ص: ١٧٣/٢

يقول الراغب الأصفهاني رحمه الله في مقدمة تفسيره "التفسير أعم من التأويل، وأكثر ما يستعمل التفسير في الألفاظ، والتأويل في المعاني، كتأويل الرؤيا، والتأويل يستعمل أكثره في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها، والتفسير أكثره يستعمل في مفردات الألفاظ، والتأويل أكثره يستعمل في الجمل"<sup>١</sup>. ومن بين العلماء من يرون أن "التفسير ما يتعلق بالرواية، والتأويل ما يتعلق بالدراية"<sup>٢</sup>. قال الزركشي عن سبب الاختلاف: "وكان السبب في اصطلاح كثير على التفرقة بين التفسير والتأويل التمييز بين المنقول والمستنبط، ليحيل على الاعتماد في المنقول، وعلى النظر في المستنبط"<sup>٣</sup>. (كما قال أحد العلماء عن بعض التفسير: فيها كل شيء إلا تفسير القرآن الكريم).

والمراد بتفسير آيات القرآن: فهمها وشرحها، وبيان معانيه. في نفس الوقت يراد بتأويل آيات القرآن: فهمها فهما صائبا، وتأويلها تأويلا صحيحا وإزالة ما فيها من غموض ولبس وأشكال، واستنباط لطائفها ودلالاتها، واستخراج حقائقها وإشاراتها. كما أشار الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي في كتابه 'تعريف الدارسين بمناهج المفسرين': "لحسن فهم القرآن ومعانيه، لا بد أن يكون على مرحلتين متتابعتين.

● المرحلة الأولى: تفسير القرآن

● المرحلة الثانية: تأويل القرآن

في مرحلة الأولى أي مرحلة التفسير، يقوم المفسر بتفسير ألفاظ وحمل القرآن. ويعتمد في هذه المرحلة على الروايات والأقوال المأثورة، وآيات أخرى من القرآن

<sup>١</sup> مقدمة التفسير، الراغب الأصفهاني، ص: ٤٠٢-٤٠٣

<sup>٢</sup> الإنقان في علوم القرآن، الإمام السوطي، ص: ١٧٣/٢

<sup>٣</sup> البرهان: الإمام الزركشي، ص: ٢٩١/٢

والأحاديث الصحيحة وأقوال الصحابة والتابعين. وأسباب نزول وناسخ و منسوخ وغيرها. في هذه المرحلة إنه يحاول أن يفسر ظاهر الآية ويورد المعنى القريب ويعتمد على العلم والنقل في ذلك، في هذه المرحلة إنه يحقق معنى التفسير الذي سبق لأنه يقدم المعنى الظاهري للآية.

وفي مرحلة التأويل يقوم المفسر بتأويل القرآن، إنه ينظر في القرآن على ضوء معلوماته التفسيرية السابقة، خلال عمله التأويل إنه يمعن النظر في الجمل والتراكيب القرآنية ويعتمد في هذا النظر على تدبره وإعمال عقله. وتمد نظراته إلى باطن الآية ويلتفت إلى لطائفها وإشاراتها ويستخرج حقائقها ودلالاتها، ويلحظ المعنى البعيد ويزيل ما حول الآية من لبس أو اشتباه أو إشكال<sup>1</sup>.

وعمل المؤول في مرحلة التأويل عمل ذاتي، وتأويلاته التي يقدمها هي نتيجة تدبره وتفكره في القرآن. إن المؤول يصحح لنفسه بعد ما يؤول، وينظر في تأويله على ضوء تفسيره، ويعيد تأويله إلى تفسيره وبذلك على المؤول أن يحسن الاطلاع على تفسيره قبل القيام بتأويل القرآن.

وقد لخص صلاح عبد الفتاح الخالدي الفرق بين التفسير والتأويل: "التفسير يعتمد على الاطلاع والمعرفة، والقراءة والرواية. والتأويل علم يفتح الله به على أصحابه، وفهم يؤتيه الله لهم، ويعتمد على الموهبة والملكة والتدبر، وهذه لا يتحقق في كل مفسر، ويتفاوت أهل التأويل فيها تفاوتاً بينا. وكل مؤول لابد أن يكون مفسراً

<sup>1</sup> تعريف الدارسين بمنهج المفسرين، الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص: ٢٩-٣٠

ليصح تأويله، ولا يستطيع كل مفسر أن يكون مؤؤلاً!! أي كل مؤؤل مفسر، وليس كل مفسر مؤؤلاً<sup>١</sup>.

في رأي صاحب الكتاب التفسير والمفسرون: "أن 'التفسير' ما كان راجعا إلى الرواية، والتأويل ما كان راجعا إلى الدراية، وذلك لأن التفسير معناه الكشف والبيان، والكشف عن مراد الله تعالى لانجزم به إلا إذا ورد عن النبي صلعم، أو عن بعض أصحابه الذين شهدوا نزول الوحي وعلموا ما أحاط به من حوادث ووقائع، وخالطوا رسول الله، ورجعوا إليه فيما أشكل عليهم من معاني القرآن الكريم. وأما 'التأويل' فملحوظ فيه ترجيح أحد احتمالات اللفظ بالدليل، والترجيح يعتمد على الاجتهاد، ويتوصل إليه بمعرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها في لغة العرب، واستعمالها بحسب السياق، ومعرفة الأساليب العربية واستنباط المعاني من كل ذلك"<sup>٢</sup>.

فخلاصة القول أنه من العلماء من يقول إن مصطلح 'تفسير' و'تأويل' مترادفان كما أن هناك من يرى اختلاف المعنى بين هذين المصطلحين، ومنهم من يقول أن كلمة التفسير متعلقة ببيان الألفاظ ومواقفه على حين أن كلمة التأويل متعلقة بمعاني الجمل وإدراك مفهومها. ومن أهمهم الراغب الأصفهاني، والإمام الزركشي، والدكتور محمد حسين الذهبي وغيرهم، فالتفسير أكثر اعتمادا على النقل، والتأويل أكثر اعتمادا على العقل، وللمفسر، لا غنى له عن اعتماد على النقل والعقل كلاهما.

<sup>١</sup> المصدر نفسه، ص: ٣٠.

<sup>٢</sup> التفسير والمفسرون، الدكتور محمد حسين الذهبي، ص: ٢٤/١.

## الفصل الثاني: التفسير في عصر النبي والصحابة

كل علم يتقدم ويتطور تدرجياً عبر الأعوام والعصور حتى يصبح فنا قائماً على أصوله ونظامه، علم التفسير قد شاهد ظروفات مختلفة في مجرى نشأته وتطوره على مر العصور. في رأي العلماء ينقسم علم التفسير إلى أربعة عصور مهمة في تطوره: عصر النبي ﷺ، وعصر الصحابة، وعصر التابعين، وعصر التدوين (عصر منذ عهد أتباع التابعين إلى عصر الحديث). في عصر التدوين قد تفرع علم التفسير إلى عدة فروع حسب الإتجاهات الجديدة والحديثة التي وقعت في هذا المجال.

نزل القرآن الكريم بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا يفهمونه، ويدركون أغراضه ومقاصده، وإن كانوا يتفاوتون في فهم مضامينه وإدراك معانيه حسب اختلاف درجاتهم العلمية ومواهبهم العقلية. قال ابن قتيبة: "إن العرب لا تستوي في المعرفة بجميع ما في القرآن من الغريب والمتشابه، بل إن بعضها يفضل في ذلك على بعض".<sup>١</sup> فهذا يدل على أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يكونوا على سوية واحدة في فهم القرآن وبيان معانيه بل "فقد كانوا يتفاوتون في العلم بلغتهم فممنهم من كان واسع الاطلاع فيها ملماً بغريبها، ومنهم دون ذلك، ومنهم من كان يلزم النبي صلى الله عليه وسلم فيعرف من أسباب النزول ما لا يعرفه غيره. أضف إلى هذا وذاك أن الصحابة لم يكونوا في درجتهم العلمية ومواهبهم العقلية سواء، بل كانوا مختلفين في ذلك اختلافاً عظيماً".<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> المسائل والأجوبة، ابن قتيبة، ص: ٨

<sup>٢</sup> التفسير والمفسرون، الدكتور محمد حسين الذهبي، ص: ٣٦/١

## منهج التفسير في عصر النبي ﷺ

ولم يكن يوجد منهج خاص في مجال علم التفسير حيث كان النبي ﷺ موجودا على قيد الحياة في ذلك العصر. فهو كان يفسر بنفسه الآيات القرآنية لأصحابه، فوجود النبي ﷺ بين أيدي الصحابة قد استغناهم عن منهج دراسي في مجال علم التفسير. فمنهج التفسير كان يقوم على مرجعين ومصدرين في هذا العصر، فهما القرآن والنبي ﷺ. الاعتماد الأول للتفسير في عهد النبي ﷺ هو القرآن الكريم، حاولوا لتفسير الآية بآية أخرى، "لأن القرآن الكريم قد يجمل في مكان ويبين في مكان آخر، وما جاء مطلقا قد يقيد في مكان ثان، وما كان عاما قد يخصص في آية أخرى وهكذا" <sup>١</sup>، مثلا قوله تعالى: " فتلقى آدم من ربه كلمات" <sup>٢</sup>، فسرتها الآية في سورة الأعراف: "قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين" <sup>٣</sup>.

المعلم البارع الكبير والمرجع الوحيد في هذا العلم هو رسول الله ﷺ، إليه أنزل القرآن من الله، وهو المصدر الثاني لتفسير القرآن، بأن الله قد وضّح وبيّن لرسوله جميع ما تكلم وتحدث لرسوله لأن القرآن هو كلام الله، وإلى هذه الحقيقة يشير صاحب كتاب التفسير والمفسرون حيث يقول: "إن الرسول بيّن للصحابة ما أشكل عليهم فهمه لأنه مبلّغ معلّم، ووظيفته البيان، علما أن العرب كانت بوجه عام تعرف معاني القرآن" <sup>٤</sup>. وكان الصحابة إذا أشكل عليهم معنى من معاني القرآن، لجأوا إلى

<sup>١</sup> التفسير والمفسرون، الدكتور محمد حسين الذهبي، ص: ٨٥

<sup>٢</sup> سورة البقرة، الآية: ٣٧

<sup>٣</sup> سورة الأعراف، الآية: ٢٣

<sup>٤</sup> التفسير والمفسرون في العصر الحديث، عبد القادر محمد صالح، ص: ٨٧

رسول لله ﷺ فكان يوضحه لهم ويبين لهم كما يشير إليه قوله تعالى "وأُنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون"<sup>١</sup>.

فكانت من مسؤولية الرسول إزالة شكوك أصحابه عندما تنزل الآيات من الله تعالى، وقد اختلف العلماء في المقدار الذي بينه النبي ﷺ لأصحابه من القرآن، فيقول ابن تيمية في كتابه مقدمة في أصول التفسير: "فمنهم من ذهب إلى أنه بين لأصحابه كل معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه"<sup>٢</sup>، كما أشار إليه صاحب الإِتقان الإمام السيوطي: "ومنهم من ذهب إلى أنه لم يبين لأصحابه من معاني القرآن إلا القليل"<sup>٣</sup>. يقول الدكتور عبد الله شحاتة في كتابه 'علوم التفسير': "والحق أن رسول الله بين الكثير من معاني القرآن لأصحابه كما تشهد بذلك كتب الصحاح، ولم يبين كل معاني القرآن، لأن من القرآن ما ستأثر الله تعالى بعلمه، ومنه ما يعلمه العلماء، ومنه ما تعلمه العرب من لغاتها، ومنه ما لا يعذر أحد في جهالته"<sup>٤</sup>.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: "التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير تعرفه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله"<sup>٥</sup>. لعل وجود النبي ﷺ بينهم، والروعة الدينية، ومستواهم العقلي، ووضوح حاجات حياتهم العملية، وتطبيق الرسول القرآن في حياته، كل هذا جعل حاجتهم إلى التفسير غير كبيرة. أنهم كانوا يعيشون في معاني القرآن، ويتسابقون تطبيق آياته إلى العمل والحياة.

١ سورة النحل، الآية: ٤٤

٢ مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، ص: ٥

٣ الإِتقان في علوم القرآن، الإمام السيوطي، ص: ١٧٩/٢

٤ علوم التفسير، الدكتور عبد الله شحاتة، ص: ١٤

٥ تفسير جامع البيان، الإمام ابن جرير الطبري، ص: ٢٥/١

ومن الواضح أن الرسول كان يعلم الصحابة التلاوة والفهم كما كان يوجههم إلى فهم مضامينه ويصحح إدراكهم لدلالات القرآن ومقاصده، كما يشير إليه الإمام الذهبي بقوله: "وكان النبي ﷺ يبين المجمال، ويميز الناسخ من المنسوخ، ويعرفه أصحابه فعرفوه، وعرفوا سبب نزول الآيات، ومقتضى الحال منها منقولا عنه"<sup>١</sup>. أن معرفة اللغة العربية ليست كافية لمعرفة معاني القرآن، بل كانوا محتاجين إلى توجيه الرسول لفهومهم.

وبالجملة إن الدراسات القرآنية في العصر الرسول ﷺ كانت تعتمد على إرشادات الرسول وتعاليمه ﷺ، حيث كان يعيش معهم ويقراً لهم ما كانت تنزل من الآيات القرآنية في مناسبات مختلفة.

### التفسير في عهد الصحابة

"الصحابة أفهم المسلمين بالقرآن وتفسيره، لأنهم أعلم المسلمين باللغة العربية، ولأنهم عاشوا حياتهم مع رسول الله ﷺ، وتلقوا منه تفسير القرآن، وسألوه عن ما غمض عليهم من معانيه، وتحركوا بالقرآن حركة عملية جهادية، وطبقوه على حياتهم. وتفردوا في صلتهم بالقرآن، فكانوا جيلا قرآنيا فريدا"<sup>٢</sup>. بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قام الصحابة بتفسير القرآن، وكان الصحابة يتفاوتون في فهم القرآن في تفسيرهم بسبب التفاوت في الفروق الفردية، والملكات العقلية، ومستويات الإدراك والفهم والاستيعاب. وكذلك بسبب التفاوت في معيشة ظروفهم، وملابسات نزول القرآن، وما صاحبها من أحداث وتطورات في المجتمع الإسلامي،

<sup>١</sup> التفسير والمفسرون في العصر الحديث، عبد القادر محمد صالح، ص: ٨٥

<sup>٢</sup> حكاية الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي عن تعبير سيد قطب من كتابه 'معالم في الطريق'، تعريف

الدارسين بمنهج المفسرين، ص: ٢٣٣

ومن تفاوت صحبتهم مع النبي ﷺ، ومدة ملازمتهم له. واضح هذه التفاوت في فهم القرآن من قول التابعي مسروق بن الأجدع يقول: "جالست أصحاب محمد ﷺ، فوجدتهم كالإخاذا [والإخاذا هو الغدير] فالإخاذا يروي الرجل، والإخاذا يروي الرجلين، والإخاذا يروي العشرة، والإخاذا يروي المئة، والإخاذا لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم، ووجدت عبد الله بن مسعود من ذلك النوع من الإخاذا".<sup>١</sup>

### منهج الصحابة في التفسير

وقد اتخذ الصحابة في تفسير القرآن أربع مناهج بما فيها: تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بحديث رسول الله ﷺ، وتفسير القرآن وفق قواعد اللغة ومعانيها، وتفسير القرآن بالاجتهاد واستنباط الأحكام والدلالات من الآيات.

والصحابا كانوا عرب فصحاء، إشتهر منهم بالتفسير عدد قليل، قالوا في القرآن بما سمعوه من رسول الله ﷺ مباشرة أو بالوساطة، وبما شاهدوا من أسباب النزول، وكانوا يجتهدون الرأي في فهم القرآن ما لم يتيسر لهم نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لم يجدوا آية قرآنية تفسر أخرى. أما ما ورد من النصوص القرآنية التي تحتاج إلى لغة عربية لفهمها فكان ذلك ميسرا للصحابا بدون جهد لأنهم "عرب خلص يعرفون كلام العرب ومناحيهم في القول، ويعرفون الألفاظ العربية في الشعر الجاهلي الذي هو ديوان العرب، كما يقول عمر ﷺ".<sup>٢</sup>

يرى الإمام الذهبي: "المفسرون من الصحابة كانوا يرجعون في فهم معاني القرآن إلى ما سمعوه من رسول الله، وإلى ما يفتح الله به عليهم من طريق النظر والاجتهاد، مع

<sup>١</sup> تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص: ٢٣٤

<sup>٢</sup> التفسير والمفسرون، الدكتور محمد حسين الذهبي، ص: ٥٨/١

الاستعانة بمعرفة أسباب النزول والظروف والمناسبات التي نزل فيها القرآن، وكان يرجع ابن عباس إلى أهل الكتاب ويأخذ عنهم، بحكم اتفاق القرآن مع التوراة والإنجيل ولكن الرجوع إلى أهل الكتاب كان في دائرة محدودة ضيقة، تتفق مع القرآن وتشهد له، أما ما عدا ذلك مما يتناقض مع القرآن، ولا يتفق مع الشريعة الإسلامية<sup>١</sup>.

وفي العهد الأول كان المفسرون مثل ابن عباس يرجعون في فهم معاني الألفاظ الغريبة التي وردت في القرآن إلى الشعر الجاهلي. وبعض من الصحابة الذين يسلكون هذا الطريق في فهم غريب القرآن، ويحض على الرجوع إلى الشعر العربي القديم، ليستعان به على فهم معاني الألفاظ القرآنية الغريبة. "وهذا مثل أعلى من عمر رضي الله عنه كان يسأل أصحابه عن معنى قوله تعالى في الآية ٤٧ من سورة النحل (أو يأخذهم على تخوف)، فيقوم له شيخ من هذيل فيقول له: هذه لغتنا، التخوف: التنقص، فيقول له عمر: هل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ فيقول له: نعم ويروي قول الشاعر:

تخوف الرجل منها تامكا قردا      كما تخوف عود النبعة السفن

فيقول عمر لأصحابه: عليكم بديوانكم لا تضلوا: قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم<sup>٢</sup>. وقد روي أبو بكر الأنباري عن ابن عباس قال "الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب، رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا ذلك منه"<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> التفسير والمفسرون، الدكتور محمد حسين الذهبي، ص: ٦٦/١

<sup>٢</sup> المصدر نفسه، ص: ٦٩/١

<sup>٣</sup> الإتيان في علوم القرآن، الإمام السيوطي، ص: ١١٩/١

حدثت خصومة بين الفقهاء وأهل اللغة في عهد التابعين عن طريقة الصحابة في التفسير أي الرجوع إلى الشعر الجاهلي، فالبعض أنكروا عليهم هذه الطريقة، في قولهم الرجوع إلى الشعر هو كجعل الشعر أصلاً للقرآن. وقالوا كيف يجوز أن يحتج بالشعر على القرآن وهو مذموم في القرآن والحديث. ولكن البعض يقولون الحق أن هذه الخصومة في الأجيال المتأخرة ليست لها أي أساس، فالأمر ليس كما يزعمه أصحاب هذا الرأي، من جعل الشعر أصلاً للقرآن، بل هو في الواقع بيان للحرف الغريب من القرآن بالشعر.

وقد عد السيوطي رحمه الله المشهور بالتفسير من الصحابة وهم: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود رضي الله عنه، وابن عباس رضي الله عنهما، وأبي بن كعب رضي الله عنه، وزيد بن ثابت رضي الله عنه، وأبو موسى الأشعري رضي الله عنه، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنه. وأكثر من روى عنهم من هؤلاء العشرة، أربعة وهم: عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم أبي بن كعب رضي الله عنه.

وهناك من الصحابة من تكلم في التفسير ولم تكن لهم الشهرة كأئس بن مالك، وأبي هريرة وعبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعائشة رضي الله عنها. وإن ابن عباس يعرف بإمام التفسير في عهد الصحابة، ومرجع المفسرين في العصور التالية، وقيل "إنه هو الذي أبدع الطريقة اللغوية لتفسير القرآن".<sup>1</sup>

وقد اعتبر وحكم بعض العلماء السابقون أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي كحديث مسند. وأما سائر تفاسير الصحابة التي لا تشتمل على إضافة شيء إلى

<sup>1</sup> المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن، أجنس جولد تسيهر، ص: ٦٩

الرسول تعد في 'الموقوفات' (الرأي في تفسير الصحابي). لم يدون التفسير في عهد الصحابة، لقرب العهد برسول الله ﷺ، ولقلة الاختلاف والتمكن من الرجوع إلى الثقات. أشار الدكتور محمد حسين الذهبي إلى أن مناهج المفسرين من الصحابة ويعدها كما يلي:

- "معرفتهم الدقيقة بأوضاع اللغة العربية وأسرارها
- معرفتهم الدقيقة بعادات العرب وأعرافهم وحياتهم في العصر الجاهلي
- معرفتهم الدقيقة بأحوال اليهود والنصارى في جزيرة العرب وقت نزول القرآن
- معرفتهم الدقيقة بما أحاط نزول القرآن من ظروف وملابسات وأحداث
- قوة الفهم وسعة الإدراك في فهم القرآن<sup>١</sup>

ومن ميزات التفسير في هذا العهد:

- لم يفسر القرآن جميعه، إنما فسر ما غمض منه
- قلة الاختلاف في فهم معاني القرآن
- الاكتفاء بالمعاني الإجمالية للآيات
- قلة الخلاف المذهبي حول الآيات
- لم يدون التفسير
- اتخذ التفسير شكل الحديث
- قلة الرجوع إلى أهل الكتاب<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> التفسير والمفسرون، الدكتور محمد حسين الذهبي، ص: ١/٥٨-٥٩

<sup>٢</sup> علوم التفسير، الدكتور عبد الله شحاتة، ص: ١٧

فملخص القول أن علم التفسير في عهد الصحابة كان يعتمد على معرفتهم اللغوية بما فيها حفظ الأبيات والقصائد والعادات اللغوية كما كانوا يعتمدون على ما سمعوا من مجالس رسول الله ﷺ فكان علم التفسير في هذا العصر ينحصر على ما كان غامضا من الآيات القرآنية، وكانوا لا يهدفون إلى تفسير القرآن بعصره حيث إنهم كانوا لا يختلفون في مضامينه ودراساته.

## الفصل الثالث: التفسير في عصر التابعين

نشأة علم التفسير الأولى قد بدأت في عهد الرسول والصحابة وطرقت إلى مسلك ابتكاري في عصر التابعين، لما انتشر الإسلام في العالم واتسعت الأمصار الإسلامية حتى تفرقت الصحابة في الأقطار المختلفة، وحدثت الفتن في بعض المناطق، وبدأت تختلف الآراء، وكثرت الفتاوى والرجوع إلى الكبراء، فأخذوا في تدوين الحديث والفقه وعلوم القرآن. فهذه المرحلة هي مرحلة التابعين الذين تتلمذوا عند الصحابة، كما يشير إليه الإمام السيوطي في كتابه الإئتنان في علوم القرآن بقوله: "اشتهر بعض أعلام الصحابة بالتفسير والرجوع إليهم في استجلاء بعض ما خفي من كتاب الله. واشتهر أيضا بالتفسير أعلام من التابعين، تكلموا في التفسير، ووضحوا لمعاصريهم خفي معانيه"<sup>1</sup>.

خلال هذه الفترة نشأت ثلاث مدارس مهمة في التفسير تركيزا على المدن، وانقسمت جماعة المفسرين إلى هذه المدارس الثلاثة وهي:

- مدرسة التفسير بمكة: وهم تلاميذ عبد الله بن عباس رضي الله عنه
- مدرسة التفسير بالمدينة: وهم تلاميذ أبي بن كعب رضي الله عنه
- مدرسة التفسير بالعراق (الكوفة): وهم تلاميذ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

اشتهر هذه المدارس بالتفسير، وتعلمد فيها كثير من التابعين لمشاهير المفسرين من الصحابة حتى أصبحت هذه المدارس الثلاثة أساسا لتطور علم التفسير فيما بعد. قال ابن تيمية في كتابه أصول التفسير: "وأما التفسير فأعلم الناس به أهل مكة، لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عباس

<sup>1</sup> الإئتنان في علوم القرآن، الإمام السيوطي، ص: ١٢٣٣/٢

وغيرهم من أصحاب بن عباس، طاووس وابي الشعثاء، وسعيد بن جبير وأمثالهم، وكذلك أهل الكوفة من أصحاب ابن مسعود، ومن ذلك ما تميزوا به عن غيرهم، وعلماء أهل المدينة في التفسير، مثل زيد بن أسلم، الذي أخذ عنه مالك للتفسير وأخذ عنه أيضا ابنه عبد الرحمن وعبد الله بن وهب<sup>١</sup>.

فعلم التفسير في عهد التابعين ينقسم إلى مدارس ثلاثة على أساس الأساتذة من الصحابة الذين قد تتلمذ عندهم العلماء الكبار من التابعين. أمثال مدرسة التفسير بمكة ومدينة وكوفة كما ناقشنا أعلاه.

### مدرسة التفسير بمكة

قامت مدرسة التفسير بمكة على يد عبد الله بن عباس فكان يجلس لأصحابه من التابعين، يفسر لهم كتاب الله تعالى، ويوضح لهم ما أشكل من معانيه، وكان تلاميذه يبغون عنه ما يقول ويروون لمن بعدهم ما سمعوه منه. ومن تلاميذه البارعين في فن التفسير مثل أبو عبد الله سعيد بن جبير، وأبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي، وعكرمة مولى ابن عباس وغيرهم.

### عبد الله بن عباس رضي الله عنه

عبد الله بن عباس رضي الله عنه هو من كبار علماء الصحابة، وإنه قد تميز بعلمه في التفسير والتأويل حتى لقب 'بحبر الأم' و 'ترجمان القرآن' كما لقب 'بالبحر' تقديرا لكثرة علمه. اسمه الكامل عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمه هي لبابة الكبرى بنت الحارث الهلالية، أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث. ولد ابن عباس والمسلمون محاصرون في 'الشعب'، قبل الهجرة بثلاث

<sup>١</sup> مقدمة إن تيمية في أصول التفسير، ص: ١٥

سنوات، وتوفي في الطائف سنة ثمان وستين (٦٨هـ) الهجري في سبعين من عمره. وإليه انتهت الرئاسة في الفتوى والفقه والحديث والتفسير، وكان أذكي وأعلم من الصحابة، وأنبع من بينهم. ومن أسباب نبوغته كما عد الكاتب الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي في كتابه 'تعريف الدارسين بمناهج المفسرين':

١. "الاستعداد الفطري المتمثل في فطنته وذكائه وملكته العقلية وقريحته الوقادة ونظرة الثاقب: قال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنك لأصبح فتياننا وجهًا، وأحسنهم خلقًا، وأفقههم في كتاب الله. وقال أيضا عنه يوما: ذاكم فتى الكهول، إن له لسانا سؤولا، وقلبا عقولا. وكذلك أثنى علي رضي الله عنه على ابن عباس في علمه بالتفسير، ويقول: كأنما ينظر إلى الغيب من سر رقيق! وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: نعم ترجمان القرآن ابن عباس. وقول أحد من تلميذ عطاء بن أبي رباح يشير إلى وسعه في العلم إنه يقول: ما رأيت أكرم من مجلس ابن عباس: أصحاب الفقه عنده، وأصحاب القرآن عنده، وأصحاب الشعر عنده، وهو يصدرهم كلهم من واد واسع.
٢. نشأته في بيت النبوة، وملازمته للرسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان يسمع منه الكثير، ويشهد معه المشاهد والحوادث ويستفيد منه علما غزيرا.
٣. دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"، وقد استجاب الله دعاء رسوله صلى الله عليه وسلم، فكان ابن عباس أفقه الصحابة في الدين، وأعلمهم بتأويل القرآن المبين!
٤. ملازمته لكبار الصحابة يتلقى عنهم العلم: الذي فاته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، عليه وسلم، لأن الرسول توفي وله من العمر ثلاث عشرة سنة!
٥. حرصه على طلب العلم ودأبه المستمر على ذلك: كان ابن عباس حريصا على طلب العلم منذ صغره، وقد ألهمه الله هذا ويسره له.

٦. حفظه اللغة العربية وأشعارها، ومعرفته لأدائها وخصائصها وأساليبها، وكثيرا ما كان يستشهد للمعنى في التفسير بأبيات من الشعر.
٧. ثقافته الموسوعية وقوة حجته في المحاوره: كانت ثقافته متنوعة شاملة مختلفة، استفاد منها تفسير القرآن<sup>١</sup>.

كان منصرفا إلى العلم والتعليم، وزاهدا عن المراكز والمناصب والولايات والمسؤوليات العامة، ولم يشغل بالسياسة والولاية إلا فترة يسيرة. وقد فقد ابن عباس بصره في آخر عمره، وأصيب بالعمى، ومع ذلك بقى على نشيطه العلمي والتعليمي، توفي في الطائف سنة ٦٨ هـ. قال على فقد بصره:

إن يأخذ الله من عينيّ نورهما      ففي لساني وقلبي منهما نور  
قلبي ذكور وعقلي غير ذي دخل      وفي صام كالسيف مأثور

وقد اتخذ ابن عباس رضي الله عنه منهجا خاصا في التفسير حيث كان يعتمد على مناهج أربعة بما فيها تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفسير القرآن باللغة العربية والشعر، وتقديم استنباطاته واستدلالاته.

وكذلك إنه كان يجمع بين الآيات المتعارضة في الظاهر كما يشير إليه الدكتور عبد الفتاح الخالدي في كتابه تعريف الدارسين في مناهج المفسرين: "هو يدل على منهجه في التفسير، وعلى فقهه في التأويل، وعلى لجوء العلماء إليه ليحل لهم الإشكالات التي تواجههم في فهم الآيات!"<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> التلخيص من كتاب 'تعريف الدارسين في مناهج المفسرين'، الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص: ٢٣٧-

٢٤.

<sup>٢</sup> تعريف الدارسين في مناهج المفسرين، الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص: ٢٤٦

طبع كتابان في التفسير منسوبان لابن عباس، أحدهما مردود، والآخر صحيح مقبول هما:

تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: جمع هذا التفسير أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، صاحب القاموس المحيط، إنه رتب هذا التفسير على ترتيب المصحف، وظن الناس إنه تفسير ابن عباس حقيقة، ولكن العلماء لم يقبلوه، في آرائهم أنه مردود مفترى مختلق، لا تصح نسبته إلى ابن عباس، وابن عباس لم يقله. وسبب رد هذا التفسير أن جامعه الفيروزآبادي جمعه عن طريق سلسلة الكذب، فهذا التفسير من طريق: محمد بن مروان السدي الصغير، عن محمد بن السائب الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس.

صحيفة علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في التفسير: هذا تفسير صحيح عن ابن عباس، روي ونقل بواسطة أصح الطرق عن ابن عباس، وهي طريق: معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن مجاهد عن ابن عباس. أثنى عليها العلماء السابقون، المحدثون والمفسرون وغيرهم. وفقدت هذه الصحيفة منذ فترة<sup>١</sup>.

ومن أشهر تلاميذه: أبو عبد الله سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ)، وأبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي (ت ١٠١هـ)، وعكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ)، وطاووس بن كيسان اليماني (ت ١٠٦هـ)، وعطاء بن أبي رباح المكي (ت ١١٤هـ).

هؤلاء العلماء من تلاميذ عبد الله بن عباس قد اتخذوا مسلكا جديدا في علم التفسير، إنه وجد حرية واسعة في استخدام العقل في فهم بعض نصوص القرآن التي يبدو ظاهرها بعيدا.

<sup>١</sup> المصدر نفسه، ص: ٢٥٢-٢٥٣

## مدرسة التفسير بالمدينة

المدينة المنورة يلقبها المسلمون ' طيبة الطيبة'، هي أول عاصمة في تاريخ الإسلام، وثاني أقدس الأماكن لدى المسلمين بعد مكة. هي عاصمة منطقة المدينة المنورة الواقعة على أرض الحجاز التاريخية. أسست المدينة المنورة قبل الهجرة النبوية وعُرفت قبل ظهور الإسلام باسم ' يثرب'، وقد ورد هذا الاسم في القرآن مرة في سورة الأحزاب. وهذا وارد أن النبي ﷺ غيّر اسمها من يثرب إلى المدينة. تستمد المدينة المنورة أهميتها عند المسلمين من هجرة النبي محمد إليها وإقامته فيها طيلة حياته الباقية، فالمدينة هي أحد أبرز وأهم الأماكن ويسمي المسلمون السور القرآنية التي نزلت بعد الهجرة إليها بالسور المدنية. وهي كانت مقر العلم والعلماء منذ عهد النبي ﷺ وفي عهد الخلفاء الراشدين وبعده. أصبحت المدينة مدرسة للتفسير في عصر التابعين، حيث كان يوجد المفسرون الكبار على مقدمتهم أبي بن كعب، وتلمذ عندهم كثير من التابعين الذين ذاعوا صيتهم في مجال التفسير أمثال أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي، وأبو حمزة، محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظي المدني، وأبو أسامة زيد بن أسلم العدوي المدني.

### أبي بن كعب

هو أبو المنذر، أو أبو الطفيل، أبي بن كعب قيس الأنصاري الخزرجي، شهد العقبة وبدرا، وقد أثنى عليه عمر ﷺ بقوله: "أبي سيد المسلمين"، وقد اختلف العلماء في سنة وفاته، والأرجح أنه قد مات في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ.

كان أبي بن كعب سيد القراء، وأحد كتاب الوحي لرسول الله وهو من أعلم الصحابة بكتاب الله، روى الشعبي عن مسروق قال: "كان أصحاب القضاء من أصحاب رسول الله ﷺ ستة، عمر، وعلي، وعبد الله، وأبيّ وزيد، وأبو موسى".<sup>1</sup>

ولعل من أهم عوامل معرفته بمعاني كتاب الله، وهو كان من أبحار اليهود والعارفين بأسرار الكتب القديمة وماورد فيها. وكتابة الوحي لرسول الله جعله على مبلغ عظيم من العلم بأسباب النزول ومواضعه ومقدم القرآن ومؤخره، وناسخه ومنسوخه، وهو كان يزيل الريبة والشكوك في أي معنى الآية من القرآن بسؤال عنها رسول الله. لهذا كله عد أبيّ بن كعب من المكثرين في التفسير. وكثرت كذلك رواية عن أبيّ بن كعب في التفسير وتعددت طرقها. وتتبع العلماء هذه الطرق بالنقد، فعدلوا وجرحوا، لأنه كغيره من الصحابة لم يسلم من الوضع عليه.

من أشهر تلاميذ أبي بن كعب: أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي (ت ٩٠هـ)، وأبو حمزة، محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظي المدني (ت ١١٨هـ)، وأبو أسامة زيد بن اسلم العدوي المدني، مولى عمر ﷺ (ت ١٣٦هـ)، وزيد بن أسلم الذي كان يتجرأ لأن يفسر القرآن برأيه، وأخذ عنه الإمام مالك بن أنس. فواضح مما سبق فأبي بن كعب كان من كبار المفسرين الذي تتلمذ عندهم سلسلة من المفسرين التابعين في المدينة. فكان يعتبر مؤسساً لمدرسة التفسير بمدينة.

## مدرسة التفسير بالعراق

ثقافة العراق تعتبر واحدة من أقدم الثقافات في العالم تاريخياً، وبلد العراق هو المكان الذي يطلق عليه قديماً بلاد ما بين النهرين، وموطن نشأة الحضارات

<sup>1</sup> التفسير والمفسرون، الدكتور محمد حسين الذهبي، ص: ٨٣/١

القديمة. تركت العراق أثره الواضح على حضارات العالم، وهو كان مهد الحضارة القديمة. ووصل العراق إلى قمة مجده في القرنين الثامن والتاسع الميلادي في عهد الحضارة الإسلامية وأيام الخلافة العباسية حيث كانت بغداد ترأس ما كان في ذلك الحين أغنى الحضارات في العالم. إذ بلغ العراق العصر الذهبي في العهد الإسلامي وانتشرت المدارس والجامعات الإسلامية في بغداد وصارت قبلة للعالم من حيث التطور العلمي والثقافي وازدهار العلوم والاكتشافات المتنوعة على كافة الأصعدة الميدانية، ومنها في علم الفلك والرياضيات والطب والبصريات والكيمياء والتاريخ والفلسفة وغيرها، وانتشر وذاع صيت علماء بغداد في كافة انحاء العالم في عهد خلافة العباسيين.

قامت هذه المدرسة على يد عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وكان يعتبر الأستاذ الأول لهذه المدرسة، ولما عين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمار بن ياسر والياً على الكوفة سير معه عبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، فكونه معلم أهل الكوفة بأمر أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، جعل الكوفيون يجلسون إليه، ويأخذون عنه أكثر مما يأخذون عن غيره من الصحابة.

### عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

هو عبد الله بن غافل من مضر، يكنى بأبي عبد الرحمن الهذلي، كان رحمه الله خفيف اللحم، قصيراً، شديد الأدمة، أسلم قديماً، وأول من جهر بالقرآن بمكة، وأسمعه قريشاً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأوذي بذلك، لما أسلم عبد الله بن مسعود أخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه فكان يخدمه أكثر شؤونه، حتى ظنه البعض مثل أبي موسى الأشعري من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وصلى إلى القبلتين، وشهد بدرًا، وأحداً، والخندق، وبيعة الرضوان، وسائر المشاهد مع رسول

الله، وشهد اليرموك بعد وفاة رسول الله ﷺ، وهو الذي أجهز على أبي جهل يوم بدر، وقد شهد له رسول الله ﷺ بالجنة، وقد ولى بيت المال بالكوفة لعمر ﷺ وعثمان ﷺ، وقدم بالمدينة في آخر عمره. ومات بالمدينة ٣٢ هجري، ودفن بالبقيع، وكان عمره يوم وفاته بضعا وستين سنة.

كان ابن مسعود ﷺ من أحفظ الصحابة لكتاب الله، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يسمع منه القرآن، وهو في أعلى الدرج من العلم من بين الصحابة، وهو كان يعلم فيم نزلت الآية وأين نزلت، وهذا يدل على إحاطة ابن مسعود بمعاني كتاب الله، وأسباب نزول الآية وكذلك حرص على تعرف ما عند غيره من العلم بكتاب الله تعالى. وقد روي عنه كثيرا في التفسير بعد ابن عباس من الصحابة. قال الإمام السيوطي رحمه الله في كتابه الإتقان "وأما ابن مسعود فقد روي عنه أكثر مما روي عن علي".<sup>١</sup> وقد وردت أسانيد كثيرة تنتهي إلى ابن مسعود مبثوثة في كتب التفسير بالمأثور كتب الحديث. روي ابن جرير وغيره عن ابن مسعود أنه قال: "كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يتجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن".<sup>٢</sup>

وقد امتاز أهل العراق في منهج التفسير، استقبلوا 'منهج الرأي' حيث أنهم كانوا أهل الرأي. وابن المسعود هو الذي وضع الأساس لهذه الطريقة في الاستدلال، ثم توارثها عنه علماء العراق، وقد أثر هذا الطريق في علم التفسير، فكثرت تفسير القرآن بالرأي والاجتهاد.

ومن أشهر المفسرين من مدرسة التفسير بالعراق: علقمة بن قيس، بن عبد الله، بن مالك النخعي الكوفي (ت ٦١هـ)، وأبو عائشة، مسروق بن الأجزع بن مالك بن أمية

<sup>١</sup> الإتقان في علوم القرآن، الإمام السيوطي، ص: ١٨٧/٢

<sup>٢</sup> التفسير والمفسرون، الدكتور محمد حسين الذهبي، ص: ٧٨/١

الهمداني (ت ٦٣ هـ)، وأبو عبد الرحمن، الأسود بن يزيد، بن قيس النخعي (ت ٧٤ هـ)، وأبو إسماعيل، مرة بن شراحيل الهمداني، الكوفي (ت ٧٦ هـ)، وأبو عمرو، عامر بن شراحيل الشعبي، الحميري، الكوفي (ت ١٠٩ هـ)، وأبو سعيد، الحسن بن أبي الحسن يسار البصري (ت ١١٠ هـ)، وأبو الخطاب، قتادة بن دعامة السدوسي الأكمه (ت ١١٧ هـ).

اختلف العلماء في الرجوع إلى تفسير التابعين والأخذ بأقوالهم إذا لم يؤثر في ذلك شيء عن الرسول أو عن الصحابة، ورأي ابن تيمية أن أقوال التابعين ليست حجة في التفسير، يعني أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم، إذا أجمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة، وإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم. ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن، أو السنة، أو عموم لغة العربي.

وقد امتاز فن التفسير في هذا العصر بميزات خاصة، وقد فصل صاحب كتاب التفسير والمفسرون ميزات علم التفسير في هذا العصر ونمكن تلخيصها كما يلي:

- "ظهرت تفاسير شاملة لأكثر آيات القرآن
- زاد الخلاف في فهم معاني القرآن عما كان في عصر الصحابة
- ظهر تفسير لكل لفظ
- زاد الخلاف المذهبي حول الآيات
- استقل التفسير في كتب مستقلة وإن ظل في شكل رواية الحديث
- دخل في التفسير كثير من الإسرائيليات والنصرانيات بكثرة من دخل من أهل الكتاب في الإسلام

● ظل التفسير محتفظاً بطابع التلقي والرواية<sup>١</sup>.

نشأ التدوين والتصنيف في مجال التفسير في هذا العصر، وأول كتاب ظهر في التفسير كان لسعيد بن جبير بن هشام الكوفي الأسيدي، وكان أعلم من التابعين في علم التفسير، وكذلك نسب تدوين التفسير إلى مجاهد رضي الله عنه، وإليه يشير ابن مليكة بقوله: "رأيت مجاهدا يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن، ومعه ألواح، فيقول ابن عباس: اكتب، قال: حتى سأله عن التفسير كله"<sup>٢</sup>.

فمن سمات فن التفسير في عصر التابعين المدارس الثلاثة بما فيها مدرسة التفسير بمكة والمدينة والعراق حتى أصبحت هذه المدارس الثلاثة مراكز لعلم التفسير وتصنيفه، وبداية فن التأويل كان أيضا من ميزات عصر التابعين، والباقورة في التدوين والتصنيف في مجال التفسير أيضا تنتهي إلى عصر التابعين.

<sup>١</sup> التفسير والمفسرون، الدكتور محمد حسين الذهبي، ص: ١١٩/١

<sup>٢</sup> تفسير جامع البيان، ابن جرير الطبري، ص: ٣٠/١

## الفصل الرابع: التفسير في عصر التدوين (منذ عهد أتباع التابعين إلى العصر الحديث)

هذه مرحلة تمتاز بتدوين علوم التفاسير والتأويل، وانتقل فن التفسير في هذا العصر من الصحابة إلى من لم ير ولم يستطع أن يصغي إلى رسول الله ﷺ، ولم يكن التدوين شائعا بين العرب قبل المحاولة الجادة من علماء التفسير في هذا العصر. تبدأ هذه المرحلة من أواخر عهد بني أمية وأول عهد العباسيين. تنقسم هذه المرحلة إلى أطوار ثلاثة وهي، فالطور الأول يمتاز بتدوين التفسير في كتب الحديث والطور الثاني قد انفصل فن التفسير من كتب الأحاديث وأصبح فنا قائما على أصوله ونظامه وفي الطور الثالث قد تفرع وتنوع فن التفسير إلى فروع وأنواع.

### الطور الأول: تدوين التفسير في كتب الحديث

بعد عصر الصحابة والتابعين، إبتدأ تدوين حديث رسول الله صلعم، فكانت أبوابه متنوعة وصار التفسير بابا من أبواب الحديث. فلم يفرد له تأليف خاص وبقي جانبا للحديث، بأن من طوف الأمصار المختلفة ليجمع الحديث جمع ما روي من الأمصار من تفسير منسوب إلى النبي ﷺ أو إلى الصحابة أو إلى التابعين، وقد قدم صاحب كتاب التفسير والمفسرون قائمة لمن ساهم مساهمة قيمة في هذا المجال "يزيد بن هارون السلمي (ت ١١٧هـ)، وشعبة بن الحجاج (ت ١٦٠هـ)، ووكيع بن الجراح (ت ١٩٧هـ)، وسفيان بن عيينة (ت ١٩٨هـ)، وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبي ﷺ، ومقاتل بن سليمان البلخي ﷺ، وعبد الملك بن جريج ﷺ، وأبو بكر بن أبي شيبة ﷺ، وروح بن عبادة البصري ﷺ (ت ٢٠٥هـ)، وعبد الرزاق بن همام ﷺ (ت ٢١١هـ)، وآدم بن أبي إياس (ت ٢٢٠هـ)، ويحيى بن سلام البصري ﷺ (ت ٢٠٠هـ)، وعبد بن حميد ﷺ (ت ٢٤٩هـ)، فهؤلاء جميعا كانوا من أئمة الحديث

الذين جمعوا التفسير بابا من أبواب الحديث، ولكن لم يجمعوا التفسير منفردا ومستقلا<sup>١</sup>.

## الطور الثاني: انفصال التفسير عن الحديث

بعد القرن الثالث من الهجري، صار التفسير منفصلا عن الحديث وأصبح علما قائما ومستقلا بنفسه ووضع التفسير لكل آية من القرآن. ورتب ذلك على حسب ترتيب المصحف، وأفرد بتأليف خاص، أن علي بن أبي طلحة أول من طرق في هذا الصنف من التفسير، وله مخطوطة في التفسير عن ابن عباس معروفة بصحيفة علي ابن أبي طلحة في التفسير<sup>٢</sup>، يذكرها الإمام السيوطي في كتابه الإتيقان في علوم القرآن، إنه يقول: "وقد ورد عن ابن عباس في التفسير ما لا يحصى كثرة وفيه روايات وطرق مختلفة فمن جيدها طريق علي بن أبي طلحة الهاشمي عنه قال أحمد بن حنبل بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن أبي طلحة لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصدا ما كان كثيرا أسنده أبو جعفر النحاس في ناسخه"<sup>٣</sup>.

ثم وجد من ذلك جزء أجزاء دونت في التفسير خاصة، ثم ألفت موسوعات من الكتب في التفسير، جمعت كل ما وقع لأصحابها من التفسير المروي عن النبي محمد ﷺ، وأصحابه وتابعهم، قدم صاحب كتاب التفسير والمفسرون محمد حسين الذهبي قائمة للعلماء الذين ساهموا مساهمة قيمة في تدوين علم التفسير، ومن هذه الطائفة من العلماء منهم، "ابن ماجه (ت ٣٧٣هـ)، وابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)،

<sup>١</sup> التفسير والمفسرون، الدكتور محمد حسين الذهبي، ص: ١٢٧/١-١٢٨ والإتيقان في علوم القرآن، الإمام

السيوطي، ص: ١٢٣٥/٢

<sup>٢</sup> <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

<sup>٣</sup> الإتيقان في علوم القرآن، الإمام السيوطي، ص: ٤٩٦/٢

وأبوبكر بن المنذر النيسابوري (ت ٣١٨هـ)، وابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)، وأبو الشيخ حبان (ت ٣٦٩هـ)، والحاكم (ت ٤٠٥هـ)، وأبوبكر بن مردويه (ت ٤١٠هـ)<sup>١</sup>.

يضيف الدكتور محمد حسين الذهبي قائلاً عن تطور علم التفسير في عصر التدوين: "ولم يتجاوز بها حدود التفسير بالمأثور، وإن كان قد تجاوز روايته بالإسناد، فصنف في التفسير خلق كثير، اختصروا الأسانيد، ونقلوا الأقوال المأثورة عن المفسرين من أسلافهم دون أن ينسبوا لقائلها. فدخل الوضع في التفسير والتبس الصحيح بالعليل، وأصبح الناظر في هذه الكتب يظن أن كل ما فيها صحيح، فنقله كثير من المتأخرين في تفاسيرهم، ونقلوا ما جاء في هذه الكتب من إسرائيلييات في التفسير"<sup>٢</sup>.

في مطلع عهد أتباع التابعين اتجهت الهمم إلى جمع ما أثر من التفسير عن رسول الله وعن صحابته وعن التابعين بدون تفرقة بين مدارس التفسير الثلاثة بمكة والمدينة والعراق، فدونوا علم التفسير في الكتب الصغار والكبار، كل هذه التفاسير مروية بالإسناد إلى رسول الله صلعم، وإلى الصحابة، والتابعين وتابعو التابعين وليس فيها شيء من التفسير أكثر من 'التفسير المأثور'. ثم تطور فن التفسير حتى وصل إلى مرحلة التأويل فيما بعد.

يختلف العلماء فيمن فسر القرآن على الترتيب ودونها في صورة كتاب فيرى البعض أن 'الفراء' المتوفي سنة ٢٠٧ هـ هو الذي فسر ودون على ترتيب المصحف، وينتقد البعض هذا القول أن استيفاء التفسير لسور القرآن وآياته كان عملاً مبكراً لم يتأخر إلى نهاية القرن الثاني وأوائل الثالث، مثلاً أن ابن أبي مليكة يقول "رأيت

<sup>١</sup> التفسير والمفسرون، الدكتور محمد حسين الذهبي، ص: ١/٢٨

<sup>٢</sup> المصدر نفسه، ص: ١/٣١

مجاهدا يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه، فيقول له ابن عباس: أكتب، قال: حتى سأله عن التفسير كله<sup>١</sup>.

ويرى البعض أن سعيد بن جبير المتوفى سنة ٩٤ هـ كتب التفسير لعبد الملك بن مروان لما طلب منه كتابة تفسير القرآن، فهذا صريح أنه جمع تفسير القرآن في كتاب وأخذه من الكتاب عطاء بن دينار. ويرى البعض أن عمرو بن عبيد شيخ المعتزلة، كتب تفسيراً للقرآن عن الحسن البصري المتوفى سنة ١١٦ هـ، وكذلك لابن جريح المتوفى سنة ١٥٠ هـ كان له ثلاثة أجزاء كبار في التفسير رواها محمد بن ثور. هذا ليس مستطوع لتعيين من سبق إلى هذا العمل على وجه التحقيق، بل يستطيع للتليخيص هذه القضية هكذا: "إن الفراء لم يسبق إلى هذا الاستيفاء والتقصي، بل هو مسبق بذلك"<sup>٢</sup>.

### الطور الثالث: عصر التفرع والتنوع في التفسير

انتقل المفسرون في الطور الثالث من مراحل تطور فن التفسير إلى التفرع والتنوع حيث تفرع وتنوع هذا الفن إلى فروع وأنواع، كما يشير إليه صاحب كتاب التفسير والمفسرون بقوله: "صار المفسرون يتوسعون ويستطردون في تفاسيرهم، ويوردون الكثير من المسائل والمباحث والقضايا، وبعضها لا يتصل بالتفسير اتصالاً وثيقاً"<sup>٣</sup>.

الثلاثة الأولى من القرون الهجرية قد شاهد في فن التفسير إتجاهين في مناهجه هما 'التفسير بالمأثور'، و'التفسير اللغوي البياني'، فالتفسير بالمأثور يشمل ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نقل عن رسول الله ﷺ، وما

<sup>١</sup> تفسير جامع البيان، الإمام ابن جرير الطبري، ص: ٣٠/١٠.

<sup>٢</sup> التفسير والمفسرون، الدكتور محمد حسين الذهبي، ص: ١٣١/١.

<sup>٣</sup> المصدر نفسه، ص: ٤١.

نقل عن الصحابة الكرام، وما نقل عن التابعين، من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم. فأما الإتجاه التفسير اللغوي البياني هو أن يكون أصحابه يفسرون بعض كلمات القرآن تفسيراً لغوياً بيانياً، حيث يذكرون معنى الكلمة القرآنية في اللغة، واشتقاقها وتصريفها.

وفي الطور الثالث من أطوار الثلاثة قد تطور فن التفسير ودخل إلى مرحلة جديدة، والإمام الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ نهج منهجاً جديداً بالجمع بين منهج التفسير الأثري والتفسير اللغوي، وأضاف إليهما استنباطه وترجيحاته. فأصبح منهجاً فريداً عرف بـ'المنهج الجامع' في التفسير. وقد فسر الإمام الطبري القرآن كله على أساس هذا المنهج.

ثم ظهر بعد ذلك منهج آخر عرف بـ'المنهج الغالب'، يشير الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي إلى هذا التطور بقوله: "لقد كان كل واحد من هؤلاء المفسرون يفسر القرآن وفق العلم الذي مهر فيه وغلب عليه، فالمتخصص في اللغة غلب على تفسيره مباحث اللغة والبيان، على حساب باقي المباحث التفسيرية، والمتخصص في الفقه والأحكام غلب هذا اللون على تفسيره، والمتخصص في المأثور والروايات غلب هذا اللون على تفسيره، والمتخصص في المباحث العقلية والكلامية غلبت هذه المباحث على تفسيره"، هكذا تحوّل المنهج الجامع إلى المنهج الغالب، وانتقل التفسير إلى طور التفرع.

قال الدكتور محمد حسين الذهبي حول هذه المرحلة التفرعية للتفسير: "وإننا لنلاحظ في وضوح وجلاء: أن كل من برع في فن من فنون العلم، يكاد يقتصر تفسيره على

<sup>١</sup> تعريف الدارسين في مناهج المفسرين، الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص: ٤٢

الفن الذي برع فيه: فالنحوي: تراه لا هم له إلا الإعراب، وذكر ما يحتمل في ذلك من أوجه، وتراه ينقل فروع النحو وخلافيات، وذلك كالزجاج، والواحد في البسيط، وأبي حيان في البحر المحيط..

وصاحب العلوم العقلية: تراه يعني في تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة، كما تراه يعني بذكر شبههم والرد عليها، وذلك كالفخر الرازي في مفاتيح الغيب. وصاحب الفقه: تراه قد عنى بتقرير الأدلة للفروع الفقهية، والرد على من يخالف مذهبه، وذلك كالجصاص، والقرطبي..

وصاحب التاريخ: ليس له شغل إلا القصص، وذكر أخبار من سلف، ما صح منها وما لا يصح، وذلك كالثعلبي والخازن. وصاحب البدع: ليس له قصد إلا أن يؤول كلام الله، وينزله على مذهبه الفاسد، وذلك كالرمانى، والجبائى، والقاضى عبد الجبار، والزمخشري، وهؤلاء من المعتزلة، وملاً محسن الكاشي من الإمامية الإثني عشرية.... وأصحاب التصوف: قصدوا إلى ناحية الترغيب والترهيب، واستخراج المعاني الإشارية من الآيات القرآنية، بما يتفق مع مشاربهم، ويتناسب مع رياضاتهم ومواجيدهم، ومن هؤلاء ابن عربي وأبو عبد الرحمن السلمي.... وهكذا فسر كل صاحب فن أو مذهب بما يتناسب مع فنه أو يشهد لمذهبه<sup>1</sup>.

فالمرحلة الثالثة قد اتجه فيها علماء التفسير باتجاهات مختلفة على أساس تخصصهم وتعمقهم في العلوم المختلفة، فنظر أصحاب العلوم العقلية إلى علم التفسير بمنظورهم العقلية كما اتجه أصحاب التاريخ بالمنظور التاريخي، وأصحاب اللغة والنحو بمنظورهم اللغوي والنحوي، فتفرع علم التفسير وتنوع إلى فروع وأنواع.

<sup>1</sup> التفسير والمفسرون، الدكتور محمد حسين الذهبي، ص: ١٣٣-١٣٤

## الفصل الخامس:

### الإتجاهات والإبتكارات في عصر التدوين

برز في مرحلة أتباع التابعين إتجاهان واضحان في علم التفسير، الأول منهما التفسير بالمأثور، المأثور اسم مفعول بمعنى المنقول. وقد ورد في المعجم الوسيط: "أثر، يَأْثُر، أَثْرًا: تبع أثره. وأثر الحديث: نقله ورواه عن غيره. والأثر: الخبر المروي والسنة الباقية. والمأثور: الحديث المروي، وما ورث الخلف عن السلف"<sup>١</sup>، فالمأثور: "يقوم على الرواية والنقل، ويطلق على ما ورثه الخلف عن السلف من علم وحديث وروايات وغير ذلك، وغالب إطلاقه على الحديث والروايات"<sup>٢</sup>.

أصحاب التفسير بالمأثور كانوا يعتمدون على إيراد الأقوال المأثورة في تفاسيرهم، من أحاديث مرفوعة لرسول الله ﷺ، ومن أقوال للصحابة أو التابعين، يوردونها مسندة مكررة، وقد يوردون أكثر من طريق للرواية الواحدة. يقول محمد حسين الذهبي: "يشمل التفسير المأثور ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نقل عن الرسول الله ﷺ، وما نقل عن الصحابة الكرام، وما نقل عن التابعين، من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم"<sup>٣</sup>.

وقد عد صاحب كتاب تعريف الدارسين بمنهج المفسرين مصادر التفسير بالمأثور كما تأتي:

• "ما صح من الأحاديث المرفوعة إلى رسول الله

<sup>١</sup> المعجم الوسيط، ص: ٥-٦

<sup>٢</sup> تعريف الدارسين في منهج المفسرين، الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص: ١٩٩

<sup>٣</sup> المصدر نفسه، ص: ١١٣٧

- ما صح عن الصحابة من أقوال مأثورة في التفسير
- ما صح من أقوال التابعين لأنهم تلاميذ الصحابة
- القراءات الشاذة لأنها قراءات مأثورة منسوبة لقراء من التابعين أو أتباع التابعين
- القراءات التفسيرية من مصادر التفسير بالمأثور، تسمى 'المدرج' عند بعض العلماء<sup>١</sup>.

يتدرج التفسير المأثور في دورين، دور الرواية ودور التدوين، يشير الإمام الذهبي رحمه الله إلى هذين الدورين بقوله: "في دور الرواية، بين الرسول ما أشكل على أصحابه من معاني القرآن، يتناوله الصحابة بالرواية بعضهم لبعض، ولمن جاء بعدهم من التابعين. ثم وجد من الصحابة من تكلم في تفسير القرآن بما ثبت لديه عن رسول الله ﷺ، أو بمحض رأيه واجتهاده. ثم وجد من التابعين من تصدى للتفسير، فروى ما تجمع لديه من ذلك عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة، وزاد على ذلك من القول بالرأي والاجتهاد. ثم جاءت الطبقة التي تلى التابعين وروت عنهم ما قالوا، وزادوا عليه بمقدار ما زاد من غموض.

ثم ابتداءً دور التدوين، فكان أول ما دون من التفسير، وهو التأثير المأثور، على تدرج في التدوين كذلك، فكان رجال الحديث والرواية هم أصحاب الشأن الأول في هذا. يعدون واضع التفسير- بمعنى جامع لا مدونه - الإمام مالك بن أنس الأصبحي، إمام دار الهجرة<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> تعريف الدارسين بمنهج المفسرين، الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي: تلخيص الموضوع من صفحة: ٢٠١ إلى ٢٠٨

<sup>٢</sup> التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، ص: ١٣٧/١-١٣٨

وعلم التفسير لم يتخذ شكلا منظما حتى القرن الثالث من الهجري، ولم يفرد بالتدوين، بل كان يعتبر بابا من أبواب الحديث النبوي وشرحه ودراساته، وكانوا يجمعون فيه ما روي عن النبي ﷺ، وعن الصحابة والتابعين. حتى انفصل عن الحديث فيما بعد وأصبح فنا خاصا.

ومن المعلوم أن التفسير المأثور يشمل تفسيرا للقرآن بالقرآن، وتفسيرا للقرآن بالسنة، وتفسيرا للقرآن بالموقوف على الصحابة أو المروي عن التابعين، أما تفسير القرآن، أو بما ثبت من السنة الصحيحة، لا خلاف في قبوله، لأنه لا يتطرق إليه الضعف والشك. وأما ما اضيف إلى النبي ﷺ، وهو ضعيف في سنده أو متنه فذلك مردود غير مقبول، مادام لم تصح نسبته إلى النبي.

والشخص الذي يفسر نصا من النصوص مسؤول على حفظ تفسيره من العلل والتضعيف، يشير الإمام السيوطي في كتابه الإتيان إلى هذا الموقف بقوله: "بأنه يلون بتفسيره إياه، وهو الذي يحدد معناها ومرماها وفق مستواه الفكري، وعلى سعة أفقه العقلي، وليس في استطاعته أن يفهم من النص إلا ما يرمي إليه فكره، ويمتد إليه عقله، وبمقدار هذا يتحكم في النص ويحدد بيانه، إذا كان المفسر قويا في صفاته، كان التفسير نجيا من العلل والتضعيف. أما تفسير القرآن بما يروي عن الصحابة أو التابعين، فقد تسرب إليه الخلل، وتطرق إليه الضعف، يفقد الثقة بكل ما روى من ذلك. لقد نقل عن الإمام الشافعي رحمه الله أنه قال: لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيه بمائة حديث".<sup>1</sup>

<sup>1</sup> الإتيان في علوم القرآن، الإمام السيوطي، ص: ١٨٩/٢

نشأ الوضع في التفسير مع نشأته في الحديث، لأن التفسير والحديث النبوي كانا أول الأمر مزيجاً لا يستقل أحدهما عن الآخر، وقد رتب العلماء الحديث في درجات بما فيها الصحيح، والحسن والضعيف، كما يوجد في من روى من موثوق به، ومن هو مشكوك فيه، ومن عرف بالوضع، وفي علم التفسير أيضاً يوجد مثل هذا الترتيب من الصحيح والضعيف أو الجيد والردئ أو المقبول والمردود، يشير الإمام الذهبي رحمه الله في كتابه التفسير والمفسرون إلى هذه الحقيقة بقوله: "كان مبدأ ظهور الوضع في سنة إحدى وأربعين من الهجرة، حين اختلف المسلمون سياسياً، وتفرقوا إلى شيعة وخوارج وجمهور، ووجد من أهل البدع والأهواء من روجوا لبدعهم، وتعصبوا لأهوائهم، ودخل في الإسلام من تبطن الكفر والتحف الإسلام بقصد الكيد له، وتضليل أهله، فوضعوا ما وضعوا ومن روايات باطلة، ليصلوا بها إلى أغراضهم السيئة، ورغباتهم الخبيثة"<sup>١</sup>. وقد عد الإمام الذهبي أسباب الوضع كما يلي:

- "المذهب التعصبي: جعل كل طائفة من المسلمين مثل الشيعة، والخوارج والجمهور من المسلمين أي أهل السنة والجماعة تحاول بكل جهودها أن تؤيد مذهبها بشيء من القرآن.
- أهداف السياسية: له أثر بين في وضع التفسير، قد وضع على بعض الصحابة مثل ابن عباس وعلي عليهما السلام الأقوال في التفسير. والسبب ذلك أنهما من بيت النبوة، فالوضع عليهما يكسب قبولاً وتقديساً.

<sup>١</sup> التفسير والمفسرون، الدكتور محمد حسين الذهبي، ص: ١٤١/١

• ما قصده أعداء الإسلام الذين اندسوا بين المسلمين، فعمدوا إلى الدس والوضع في التفسير، بأنهم عجزوا أن ينالوا ما قصدوا من الحرب والقوة<sup>١</sup>.

فالدور الأول للتفسير المأثور يتميز باعتماده على الحديث النبوي، وأقوال الصحابة، لأن التفسير بالمأثور مأخوذة من مفاهيم الحديث وأقوال الصحابة والتابعين.

فالإتجاه الثاني هو التفسير اللغوي البياني، وهو الإتجاه الذي ظهر بين المفسرين اعتماداً على اللغة وبيانها. الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي يقول عن هذا الإتجاه بقوله: "كان أصحابه يفسرون بعض كلمات القرآن تفسيراً لغوياً بيانياً، حيث يذكرون معنى الكلمة القرآنية في اللغة، واشتقاقها وتصريفها، ويوردون الشواهد الشعرية على ما يذكرون"<sup>٢</sup>.

ومن التفاسير اللغوية المبكرة من هذه الطبقة: -

مجاز القرآن وأساليبه البيانية: كتاب في معاني القرآن، صنفه أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (ت ٢٠٩هـ)، يُعتبر أول مؤلف في علوم اللغة، واستفاد منه الطبري في تفسيره.

معاني القرآن للفراء: هو كتاب المفردات القرآنية التي رأى فيها غموضاً وإبهاماً، أو إشكالاً في الدلالة أو الإعراب وتحتاج إلى بيان وتفسير، هذا الكتاب مليئ بالفوائد اللغوية وبيان اللغات واختلاف اللهجات، ويبين وجوه إعراب كثير من كلمات القرآن وذلك بحسب ترتيبها وورودها في الآيات القرآنية. مؤلف هذا الكتاب هو أبو زكريا،

<sup>١</sup> التلخيص من الكتاب: التفسير والمفسرون، الدكتور محمد حسين الذهبي، ص: ١٤١/١-١٤٢

<sup>٢</sup> تعريف الدارسين بمنهج المفسرين، الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص: ٣٨-٣٩

المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب (١٤٤-٢٠٧هـ).

معاني القرآن للأخفش: يُعد كتاب معاني القرآن لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط المتوفى سنة ٢١٥ هـ من أوائل الكتب المصنفة في معاني القرآن الكريم، فمؤلفه من أقران إمام النحو سيبويه وكان من تلاميذه، وصار الأخفش إماماً في النحو. قد شرح الأخفش عدداً كبيراً من المعاني الغامضة من القرآن. ويعد الكتاب إضافة إلى كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة وكتاب معاني القرآن للفراء، ومن الكتب الأولى التي كانت سباقة في خوض هذا النوع من التفاسير، ويقال إنه قد ألفه بعد اتصاله بالكسائي ببغداد.

تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢١٣ هـ ٢٧٦ هـ/٨٢٨ م - ٨٨٩ م) أديب فقيه محدث مؤرخ مسلم. عباسي له العديد من المصنفات منها 'تأويل مشكل القرآن'، هذا كتاب يبحث في علم من علوم القرآن الكريم وهو علم مشكل القرآن أي الأمور التي تظهر للناس أو العامة اشكاليتها إلا أنها في الحقيقة محكمة وحكمها الذي اقتضته لا ريب فيها.

كان رواد هذا المنهج من التفسير، المفسرون مثل ابن عباس ومجاهد وابن جبير وقتادة والحسن كانوا أيضاً من الذين أقاموا الإتجاه الأثري في التفسير. "وأرسي أصحاب الإتجاه اللغوي معالم المنهج البياني اللغوي في التفسير، وكان هؤلاء المفسرون الأعلام كأبي عبيدة والفراء والكسائي والأخفش وابن قتيبة والزجاج

مؤسسي المنهج اللغوي في التفسير"<sup>١</sup>. هكذا تطور علم التفسير تطورا ملحوظا في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، وتم بناء علم التفسير على أسس وقواعد.

بعد فترة التفسير المأثور والتفسير اللغوي البياني ظهر منهج آخر على يد الإمام ابن جرير الطبري حيث إنه قد نهج منهجا جديدا بالجمع بين الإتجاه التفسير الأثري والتفسير اللغوي، وأضاف إليه ما استنبط وما ترجح به من الآراء. وعرف هذا المنهج الفريد 'بالمناهج الجامع' في علم التفسير. أشار صاحب كتاب 'تعريف الدارسين بمناهج المفسرين' الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، إلى ثلاث أسس لهذا المنهج:

١. "تفسير القرآن باللغة: إنه يقدم معاني الكلمات والجمل القرآنية، واستفاد

الإمام من التفاسير اللغوية السابقة مثل مجاز القرآن لأبي عبيدة، ومعاني

القرآن للفراء ومعاني القرآن للأخفش وتأويل القرآن لابن قتيبة.

٢. تفسير القرآن بالمأثور: إنه يورد الأقوال المأثورة في تفسير الآية أو الجملة أو

الكلمة من أحاديث مرفوعة للرسول ﷺ، والصحابة، والتابعين، وأتباع

التابعين. يورد الأقوال بأسانيده العديدة المكررة. واستفاد من التفاسير

الأثرية التي سبقته، مثل تفسير مجاهد، وتفسير السدي الكبير، وتفسير

قتادة، وتفسير سفيان الثوري وغيرهم

٣. يقدم استنباط من القرآن واجتهاداته وتأويلاته، إنه كان يتدبر الآيات،

ويعن النظر فيها، ويستخرج منها بعض ما توحى له به من معان ودلالات"<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> تعريف الدارسين في مناهج المفسرين، الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص: ٣٩

<sup>٢</sup> المصدر نفسه، ص: ٤٠

وقد جمع الإمام ابن جرير الطبري بهذا المنهج ما اتخذ أصحاب تفسير بالمأثور وأصحاب اللغة والبيان من الموقف الأثري واللغوي، فاهتم بالتراث القرآني والإسلامي والتقليد اللغوي والبياني.

### التفسير على المنهج الغالب

المنهج الغالب قد فتح بابا جديدا إلى آفاق التفسير، حيث أجاز هذا المنهج للمفسر أن يسير حرا حسب مقصده في هذا المجال حتى أدت إلى تفرع علم التفسير وتنوعه، ظهرت في هذه المرحلة عدة اتجاهات للتفسير المفرع على أساس المنهج الغالب فيها ممدوح ومذموم، ومن أشهرها، يبين الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي في كتابه 'تعريف الدارسين بمناهج المفسرين' أنواع المنهج الغالب:

"التفسير المأثور: هذا الإتجاه من التفسير مشهور عند المفسرين منذ بداية علم التفسير، وقد اتبع أكثر المفسرين هذا الإتجاه التفسيري من إيراد الأقوال المأثورة في تفسير الآيات، من أحاديث نبوية، أو أقوال للصحابة أو التابعين، أو من بعدهم من أئمة المفسرين. ومن أشهر التفاسير المطبوعة في هذا الإتجاه:

- بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي
- الكشف والبيان لأبي إسحاق الثعلبي
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي
- فتح القدير للشوكاني

التفسير البياني: التحليلات اللغوية والبلاغية والبيانية غلبت على تفاسير مفسري هذا الإتجاه، وكان أصحابها يتوسعون في هذه المباحث البيانية، ويستطردون في المناقشات والترجيحات حولها. ومن أشهر التفاسير المطبوعة في هذا الإتجاه:

- الكشاف للزمخشري
- والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي

التفسير العقلي/ التفسير بالرأي: المباحث العقلية، والمسئل الكلامية، والاستنباطات والدلالات الناتجة عن إعمال الرأي وإنفاذ النظر، غلبت على تفاسير مفسري هذا الإتجاه. ومفسرو هذا الإتجاه من التفاسير يفرعون وينوعون ويستطردون ويتوسعون في هذا الميدان العقلي والرأي على حساب الميادين الأخرى. ومن أشهر التفاسير المطبوعة في هذا الإتجاه:

- مفاتيح الغيب/التفسير الكبير لفخر الدين الرازي رحمه الله
- غرائب القرآن و رغائب الفرقان للقمي النيسابوري رحمه الله
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي رحمه الله
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي رحمه الله
- لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن رحمه الله
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي رحمه الله
- روح المعاني للألوسي رحمه الله

التفسير الفقهي/التفسير المذهبي: القرآن مشتمل على آيات تتضمن الأحكام الفقهية، وكان المسلمون على عهد رسول الله صلعم، يفهمون ما تحمله هذه الآيات من الأحكام الفقهية بمقتضى سليقتهم العربية، وما أشكل عليهم من ذلك رجعوا فيه إلى رسول الله. بعد وفاة الرسول جدت للصحابة حوادث تتطلب منهم أن يحكموا عليها حكما شرعيا صحيحا، كان أول شيء أن يعتمد عليه لإستنباط

الأحكام الشرعية هو القرآن الكريم. وإذ لم يجدوا فيه لجأوا إلى سنة رسول الله ﷺ. فإن لم يجدوا فيها اجتهدوا واعملوا رأيهم على ضوء القواعد الكلية للكتاب والسنة، ثم خرجوا بحكم فيما يحتاجون إلى الحكم عليه".<sup>١</sup>

يقول الدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه 'التفسير والمفسرون': "الخلاف كان يقع مع الصحابة حسبما يفهمه كل منهم في النص القرآني، وما يحيط به من أدلة خارجية، ومع هذا الاختلاف فقد كان كل واحد من المختلفين يطلب الحق وحده، فإن ظهر له أنه في جانب من خالفه رجع إلى رأيه وأخذ به".<sup>٢</sup>

الصحابة كانوا يتفوقون في الأحكام المستنبطة من القرآن أحيانا ويختلفون فيها أحيانا أخرى. وظلت الأمور على هذا النمط إلى عهد ظهور أئمة المذاهب، والمسلمون حيث كانوا يشاهدون للحوادث الجديدة في حياتهم اليومية، أخذ كل إمام ينظر إلى هذه الحوادث تحت ضوء القرآن والسنة ثم يحكم عليها، ولم تظهر من الأئمة علامة التعصب للمذهب. بعد هؤلاء الأئمة الفقهية أخذوا يتقلدون هؤلاء الأئمة، التقليد الذي يقوم على التعصب المذهبي، ولا يعرف التسامح، ولا يطلب الحق لذاته، ولا ينشده تحت ضوء البحث الحر، والنقد البريء.

ومن المفسرين الذين سلكوا في هذا المسلك واتخذوا هذا الموقف باتجاههم الفقهي:

- أبو بكر الرازي المعروف بالجصاص – (ت ٣٧٠ هـ): الحنفي
- أحمد بن أبي سعيد المدعو بملاً جيون. (قرن ١١ هـ): الحنفي
- أبو الحسن الطبري المعروف بلكيا الهراسي (ت ٥٠٤ هـ): الشافعي

<sup>١</sup> الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، التلخيص من كتابه 'تعريف الدارسين بمناهج المفسرين' ص: ٤٣-٤٤

<sup>٢</sup> التفسير والمفسرون، الدكتور محمد حسين الذهبي، ص: ٣٨٠/٢

- شهاب الدين، أبو العباس أحمد بن يوسف بن محمد الحلبي (ت ٧٥٦ هـ) :  
الشافعي
- علي بن عبد الله محمود الشنفي (قرن ٩ هـ) : الشافعي
- جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) : الشافعي
- أبو بكر بن العربي، (ت ٥٤٣ هـ) : المالكي
- أبو عبد الله القرطبي (ت ٦٧١ هـ) : المالكي
- حسين بن أحمد النجدي (قرن الثامن هـ) : الزيدية
- شمس الدين بن يوسف بن أحمد (قرن ٩ هـ) : الزيدية
- محمد بن الحسين بن القاسم (قرن ١١ هـ) : الزيدية
- قاضي عبد الجبار (ت ٤١٥ هـ) : المعتزلي
- أمالي الشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) : المعتزلي
- جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) : المعتزلي
- عبد الرحمن بن رستم الفارسي (قرن ٣ هـ) : الخوارجي
- هود بن محكم الهواري (قرن ٣ هـ) : الخوارجي
- أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوريثاني (قرن ٦ هـ) : الخوارجي
- شيخ محمد بن يوسف اطفيش (ت ١٣٣٢ هـ) : الخوارجي
- الحسن العسكري (ت ٢٥٤ هـ) : الشيعي
- أبو علي الطبرسي (ت ٥٣٨ هـ) : الشيعي
- ملا حسن الكاشاني (قرن ١١ هـ) : الشيعي
- السيد عبد الله رضا العلوي (ت ١٢٤٢ هـ) : الشيعي
- سلطان الخراساني (قرن ١٤ هـ) : الشيعي

## تفسير الصوفية

هناك اختلاف عن أصل الكلمة (تصوف)، إنها مشتقة من الصوف، والذين يلبسون الصوف تقشفا وزهدا إنه من الصوفية، وكذلك إنه صفاء القلب، وطهارة باطنة وظاهرة عن مخالفة ربه، وإنه مأخوذة من الصفة التي يسبب إليها فقراء الصحابة المعروفون بأهل الصفة. معناه 'هو إرسال النفس مع الله على ما يريد'، وقيل هو مناجاة القلب ومحادثة الروح. وهو فكر وعمل، ودراسة، وسلوك، وكان كثير من الصحابة معرضين عن الدنيا ومتاعها، آخذين أنفسهم بالزهد والتقشف، مبالغين في العبادة، لم يعرفوا في زمنهم باسم الصوفية، وإنما اشتهر بهذا اللقب فيما بعد، "وكان هذا الاشتهار في القرن الثاني للهجري، وأول من سمي بالصوفي: أبو هاشم الصوفي المتوفى سنة ١٥٠ هـ".<sup>٢</sup> ومن العلماء الذين ساهموا في هذا المجال بمساهماتهم القيمة:

- أبو محمد سهل بن عبد الله التستري (ت ٢٨٣ هـ)
- أبو عبد الرحمن السلمي (ت ٤١٢ هـ)
- أبو محمد الشيرازي (ت ٦٦٦ هـ)
- أبو محمد بن أبي النصر الشيرازي المعروف بابن عربي (ت ٦٣٨ هـ)

## التفاسير الفلاسفة

ترجمت كتب الفلسفة من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية خاصة في العصر العباسي أنهم نظموا الترجمة الإسلامية وشجعوها. بدأ المنصور هذه الحركة

<sup>١</sup> دائرة المعارف، بطرس البستاني، ص: ١٣٣/٦

<sup>٢</sup> التفسير والمفسرون، الدكتور محمد حسين الذهبي، ص: ٢٩٦/٢

المباركة، وازدهرت في عهد المأمون، وأصبحت بغداد كعبة علمية، يحج إليها الطلاب من كل مكان. لتحقيق هذه الغاية استخدموا طائفة من الفرس والهنود والصابئة والمسيحيين الذين كانوا على اتصال وثيق بالدراسات القديمة، فنقلوا إلى اللغة العربية كتب فلاسفة اليونان، والهند والفرس وغيرهم، وانتشر هذه الكتب بين المسلمين، قرأ بعض من المسلمين هذه الكتب واقترحوا أن هذه تتعارض عن الدين فقصوا حياتهم للرد عليها، مثل الإمام الغزالي وإمام فخر الدين الرازي، ولكن بعض المسلمين قرؤوها وأعجبوا بها رغم ما فيها من نظريات تبدوا متعارضة مع نصوص الشرع القويم، لأنهم وجدوا أن في مقدورهم أن يوفقوا بين الحكمة والدين، وأن يبينوا للناس أن الوحي لا يناقض العقل في شيء، بذلوا كل ما يستطيعون من حلول ليصلوا ويربطوا بين الفلسفة والدين. ومن العلماء الكبار الذين ساهموا في هذا المجال أبو علي الحسين بن سينا (ت ٤٢٨ هـ)، والفارابي (ت ٣٣٩ هـ)

### الاتجاهات الحديثة في التفسير

وقد طرق علم التفسير إلى أبعاد جديدة في العصر الحديث واختصت بسماتها الحديثة العلمية والفضل يرجع إلى المؤسسات السياسية والديمقراطية والبحوث الجادة في العلوم الإنسانية والإختراعات والإكتشافات العلمية وقد انفجر العلوم في العصر الحديث وانقصر العالم إلى قرية عالمية دولية، فأدت الحاجة إلى مخاطبة الجماهير في أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي إلى تأليف التفسير في مناطق أخرى غير الأراضي المركزية للإسلام أي جزيرة العربية. وفي هذا الصدد، له أهمية خاصة في شبه القارة الهندية الباكستانية، حيث تم إنتاج عدد من الأعمال الرئيسية باللغة الأوردية. كما تم إنتاج بعض التفاسير من مغرب وجنوب شرق آسيا.

التغيير في نقاط التركيز ملحوظ في التفسير الحديث. يوجد في بعض الحالات تناقص في التركيز وفي حالات أخرى إهمال كامل فيما يتعلق بجوانب التفسير السابق القديم مثل القواعد والبلاغة واللاهوت، هناك تركيز متزايد على مناقشة المشاكل التي يواجهها المجتمع بشكل عام. وتطرق المؤلفون إلى آيات تؤثر على القضايا في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والسياسية. في الواقع، أصبح التفسير اليوم أداة مهمة لتطوير الأفكار في هذه المجالات، وقد استخدمها عدد قليل من المفسرين لأغراض الإصلاح والإحياء. يظل التفسير سبباً مهماً للتعبير عن الرأي المعارض في المجتمعات المغلقة أو القمعية، ولا يخشى العلماء المسلمون استغلال إمكاناته.

ومن السمات البارزة للتفسير الحديث الافتراض الذي يجعل السور القرآنية كوحدة. يعتقدون أن السور في ترتيبها الطبيعية تمتلك النظام أو التماسك أو الوحدة. ويعتبر هذا الترتيب ذا أهمية تفسيرية من الناحية الجمالية، وكذلك في كثير من الحالات، يتجاوز التفسير القائم على النظام على التفسير القائم على "مناسبة الوحي" المعينة.

يقول الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي: "شهدت العصر الحديث اتجاهات عديدة للتفسير، وألفت عديد من التفاسير المختلفة، منها ما هو أصيل أبداع فيه صاحبه، ومنها ما هو تكرار لما قيل في التفاسير السابقة، ومنها ما لم يضيف إلى عالم التفسير شيئاً يكاد يذكر"<sup>1</sup>. وقد يحكي الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي نظر الدكتور عبد المجيد المحتسب في دراسته 'اتجاهات التفسير في العصر الحديث': إنه رصد ثلاث اتجاهات للتفسير في العصر الحديث:

<sup>1</sup> تعريف الدارسين بمنهج المفسرين، الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص: ٥٦٥

- "الإتجاه السلفي: مثل له بتفسير القاسمي، وتفسير دروزه، وتفسير عبد الكريم الخطيب
- الإتجاه التوفيقي مع الحضارة الغربية: قاده الشيخ محمد عبده، مثل له بتفسير رشيد رضا، وأحمد مصطفى المراغي.
- الإتجاه العلمي: ومثل له بتفسير الجواهر لطنطاوي جوهرى"<sup>1</sup>.

الإتجاهات المعاصرة في علم التفسير كثيرة ومن أهمها الإتجاه الأثري والإتجاه العقلي والإتجاه العلمي والإتجاه الإجتماعي والإتجاه البياني والإتجاه الدعوي الحركي. وقد بين الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي هذه الإتجاهات الستة في كتابه 'تعريف الدارسين بمناهج المفسرين' ومن تلخيصها.

"الإتجاه الأثري: وهو الإتجاه الذي يركز على المأثور. من أشهر التفاسير التي ركزت على تفسير القرآن بالقرآن

- تفسير المنار لمحمد رشيد رضا رحمه الله
- محاسن التأويل لجمال الدين القاسمي رحمه الله
- أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن لمحمد الأمين الشنقيطي رحمه الله
- التفسير الحديث لمحمد عزة دروزة رحمه الله

الإتجاه العقلي: هذا الإتجاه يركز على إعمال العقل، والتحليلات العقلية النظرية، وعلى تقديم الرأي المحمود. ومن أشهر التفاسير من هذا الإتجاه:

- تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور رحمه الله

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص: ٥٦٥

- وتفسير المراغي لأحمد مصطفى المراغي رحمه الله
- التفسير الواضح لمحمد محمود حجازي رحمه الله
- التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب رحمه الله

الإتجاه العلمي: يعنى: "التفسير الذي يحكم الإصطلاحات العلمية في عبارات القرآن. ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها"<sup>١</sup>. في آراء من إتبع هذه الطريقة "أن القرآن يشمل إلى جانب العلوم الدينية الإعتقادية العملية، سائر علوم الدنيا على اختلاف أنواعها وتعدد ألوانها"<sup>٢</sup>.

وأصحاب من يتبع هذا المنهج يقوم على تفسير الآيات تفسيراً علمياً، وفق قواعد العلم الحديث، ويبينون المضامين العلمية للآيات، وفق مقررات وتحليلات العلم الحديث. وقد ازداد أهمية هذا الإتجاه بسبب التقدم العلمي، وحدوث نظريات وكشوف علمية عديدة في مختلف مجالات وميادين العلوم الحديثة: مثل: علم الفلك، وعلم طبقات الأرض، وعلم الفضاء، والنجوم والكواكب، علم النفس الإنساني وجسم الإنسان، وعلم النبات، وعلم الحيوان.

وقد وردت آيات عديدة في القرآن، بمضمون علمية، تشير إلى هذه الميادين العلمية المختلفة، والمناقشة التفصيلية ستعقد في الباب القادم إن شاء الله. ومن أشهر التفاسير من هذا الإتجاه الحديث:

- تفسير الجواهر في تفسير القرآن للشيخ طنطاوي جوهرى رحمه الله
- التفسير الفريد للقرآن المجيد للدكتور محمد عبد المنعم الجمال رحمه الله

<sup>١</sup> التفسير والمفسرون، الدكتور محمد حسين الذهبي، ص: ٤١٧/٢

<sup>٢</sup> المصدر نفسه، ص: ٤١٧/٢

وكذا كتب تقدم تفسيرات علمية لكثير من الآيات على ضوء نظريات العلم الحديث

- التفسير العلمي للآيات الكونية لحنفي أحمد
- البرهان لمحمود شكري الألوسي
- الإسلام والطب الحديث للدكتور عبد العزيز إسماعيل
- القرآن والعلم الحديث للدكتور عبد الرزاق نوفل
- الكتب المقدسة على ضوء العلم الحديث للدكتور موريس بوكاي

الإتجاه الإجتماعي: يركز المفسر على مجتمعات المسلمين، وهو حريص على إصلاح هذه المجتمعات على أساس القرآن، ويعالج مشكلات المجتمع المختلفة، ويقدم السنن الإجتماعية الكفيلة برقيّ المجتمعات وتقديمها. ومن أشهر التفاسير من هذا الإتجاه:

- تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا
- تفسير المراغي
- التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي

الإتجاه البياني: هذا الإتجاه من التفسير ليس جديد في علم التفسير بل متواصل من القديم، فيه المفسر يركز على بيان القرآن وبلاغته ونحوه وصرفه، ومن أشهر التفاسير المعاصر من هذا الإتجاه:

- التفسير البياني للقرآن للدكتورة عائشة عبد الرحمن – بنت الشاطئ.
- إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين الدرويش
- الجدول في إعراب القرآن لمحمود صافي

الإتجاه الدعوي الحركي: المراد بهذا الإتجاه استخدام علم التفسير للحركة الدعوية، والتربية والتزكية، ولدعوة المسلمين للحركة بالقرآن. وأشهر التفاسير من هذا النوع:

- في ظلال القرآن لسيد قطب
- الأساس في التفسير لسعيد حوى<sup>١</sup>.

### ملخص القول

وبالجملة إن علم التفسير هو نوع من أنواع العلوم القرآنية. نشأ هذا الفن في عهد النبي ﷺ بنفسه حيث كان يبين ويفسر الآيات القرآنية لأصحابه عقب نزولها، يقال إن أحاديث النبي ﷺ هي بيان القرآن وتفسيره، وحياة محمد ﷺ بنفسه كان على نمط القرآن وتعاليمه. فكان الرسول المفسر الأول والمعلم البارع على الإطلاق. وفي عهد الرسول كان الناس لا يحتاجون إلى مفسر غيره.

فواضح مما سبق أن الرسول ﷺ كان يأذن لبعض أصحابه أن يسجلوا ما ينزل إليه من القرآن الكريم، كما نهاهم أن يكتبوا عنه شيئاً غير القرآن، وقال: لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه. وأصحاب الرسول مثل ابن عباس ﷺ قد تبخروا في علوم القرآنية بقرابتهم إلى رسول الله ﷺ، وإنهم كانوا يصاحبونه ويلازمونه في جميع أوقاته حتى استطاعوا أن يفهموا بيان آيات القرآن وأسباب نزولها، وناسخها ومنسوخها، وقد لقب ابن عباس ﷺ بترجمان القرآن تقديراً لوفرة علمه حول القرآن. والقرآن بنفسه يشجع لتدبير عن آياته ومعانيه وللبحث وللإطلاع عليها.

<sup>١</sup> التلخيص من كتاب 'تعريف الدارسين بمناهج المفسرين' للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص: ٥٦٧-

ومن المفهوم أن تفسير القرآن قد تطور تدريجيا منذ عهد النبي ﷺ. وهناك تفاوت في فهم القرآن بين الصحابة حسب قدرتهم وملكتهم العقلية في التفكير. اختلف العلماء في تعريف التفسير والتأويل ومنهم من يراهما مترادفان كما يرى فيهما البعض معنيين مختلفين. ومن العلماء من اتخذ موقفا متوسطا حيث يرون أنه ينبغي وجود التفسير والتأويل لحسن فهم القرآن وإدراك معانيه.

قسم العلماء أطوار تطور التفسير إلى أربعة أطوار، ابتداء من عصر النبي ﷺ، وعصر الصحابة، وعصر التابعين، وعصر أتباع التابعين إلى عصر الحديث الذي يعرف بعصر التدوين.

وقد ظهرت اتجاهات مختلفة في فن التفسير في عصور مختلفة. لأن في عهد النبي ﷺ لم يكن يوجد منهج خاص للتفسير حيث كان النبي بنفسه مرجعا وحيدا لأن النبي ﷺ كان على قيد الحياة يعيش بينهم. فكان مرجع في علم التفسير في هذا العصر هو القرآن وسنة نبيه.

وفي عهد الصحابة ظهرت مناهج مختلفة بما فيها تفسير القرآن بالقرآن بنفسه، وتفسير القرآن بحديث الرسول ﷺ وتفسير القرآن بقواعد اللغة العربية ودلالاتها وكذلك التفسير بالاجتهاد والاستنباط. المفسرون في هذا العصر كثيرا ما كانوا يقتبسون من الشعر الجاهلي أثناء بيان الألفاظ الغريبة من القرآن. ومن المفسرين المشهورين في هذا العصر هم الخلفاء الأربعة، وابن عباس وابن مسعود وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وغيرهم من الصحابة الكرماء. ولم يفسروا القرآن بعصره في هذا العصر بل اعتنوا بتفسير الغموض من القرآن الكريم، ولم يدون التفسير في هذا العصر.

العلماء في عصر التابعين لم يروا الرسول في حياتهم بل سمعوا القرآن وتفسيره من أصحاب النبي ﷺ. وخلال هذه المرحلة قد تفرقت الصحابة في الأقطار المختلفة، ودخلت الفتن واختلاف الآراء إلى أمة المسلمين، وبدأت تدوين الحديث والفقه وعلوم القرآن، هذا العهد قد شاهد إنشاء مدارس ثلاثة في فن التفسير وهي مدرسة التفسير بالمكة بأيدي ابن عباس ؓ ومدرسة التفسير بالمدينة بأيدي أبي بن كعب ؓ ومدرسة التفسير بالعراق بأيدي ابن مسعود ؓ، وهذه الثلاثة تعتبر من كبار أصحاب النبي ﷺ.

وهذه المدارس الثلاثة قد أصبحت أساسا لتطور علم التفسير فيما بعد، أشهر المفسرين من هذه المدارس الثلاثة هم مجاهد بن جبر، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عباس من مدرسة مكة، وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن وعبد الله بن وهب من المدينة وعلقمة بن قيس، بن عبد الله، وابن مالك النخعي الكوفي وأبو عائشة ومسروق بن الأجزع وغيرهم من العراق.

ولهذه المدارس الثلاثة ميزاتها وخصائصها في المناهج، مدرسة التفسير بمكة كانت تعتمد على تفسير القرآن بالقرآن، وبالحديث، وباللغة العربية والشعر الجاهلي، والاستنباط والاستدلالات. ومدرسة المدينة أيضا كانت تعتمد على مناهج الأربعة المذكورة أعلاه مثل مدرسة مكة، وإضافة إلى ذلك كانوا مكثرين في التفسير والرواية. أما مدرسة التفسير بالعراق اعتمدوا على الرأي مع المناهج المذكورة في مكة والمدينة، وأهل العراق معروف بأهل الرأي.

عصر التابعين وعصر أتباع التابعين يتميزان بانفصال علم التفسير من الحديث حتى أصبح فنا مستقلا على أصوله ونظامه، وبدأ تدوين التفسير أيضا في هذه المرحلة. وامتاز هذا العهد بتنوع التفسير وتفرعه، وشاهد فن التفسير اتجاهين في

مناهجه هما 'التفسير بالمأثور' و'التفسير اللغوي البياني'. وركز المفسرون على التفسير بالمأثور وبيان ألفاظ القرآن لغويا كما بدؤوا تأويل التفسير في هذا العهد. ونشأت اتجاهات جديدة في هذا العهد مثل منهج 'الجامع' و'المنهج الغالب'. وهذا ما أدت إلى تنوع التفسير وتفرعه كما تدخل فيه العلوم العقلية والفلسفية والصوفية. نشأت الحركات الدينية والإصلاحية والمذهبية والسياسية أيضا في هذا العهد وأثرت على علم التفسير. فهذه العناصر هي التي أدت إلى بعض الفساد في مجال التفسير حتى اضطر العلماء إلى تمييز التفسير وتقسيمها إلى 'التفسير الممدوح' و'التفسير المذموم'. ومن أنواع التفسير التي تفرعت في عصر التدوين التفسير بالمأثور، والتفسير البياني اللغوي، والتفسير العقلي أو التفسير بالرأي، والتفسير الفقهي أو المذهبي، والتفسير الصوفي، والتفسير الفلاسفة، والتفسير العلمي، والتفسير الاجتماعي والتفسير الدعوي الحركي.

## الباب الثاني : التفسير العقلي والعلمي:

### دراسة عن الإتجاهات الإبداعية في مجال التفسير

الفصل الأول : التفسير الممدوح والمذموم

الفصل الثاني : التفسير العقلي أو التفسير بالرأي

الفصل الثالث: التفسير العلمي واتجاهاته

## التفسير العقلي والعلمي:

### دراسة عن الإتجاهات الإبداعية في مجال التفسير

علم التفسير يعالج توضيح الآيات القرآنية، وفي السنوات الأولى من الإسلام لم يكن أصحاب النبي ﷺ يهتمون بعلم التفسير حيث كان النبي ﷺ على قيد الحياة، يفسر ما ينزل من الله تعالى ولكنهم كانوا يشترطون إلى معرفة مضامين القرآن وتعاليمه.

وبعد عصر النبي ﷺ لما انتشرت الدولة الإسلامية، وكثر عدد المسلمين في بلدان عربية وغير عربية يحتاجون إلى تأويل القرآن وتفاسيره، ولما ظهرت المشاكل الجديدة، والمفاهيمية والعملية، طلب العلماء والأمراء الحلّ لتلك المشاكل فاتجه العلماء إلى الإجتهد والبحوث عن الإجابات للمشاكل الجديدة.

بعد عصر الصحابة، في عصر التابعين، ظهرت مدارس في التفسير سمي بالمدارس - مكة، والمدينة، والعراق كما ناقشنا في الباب الأول وقد أصبح منهج الرأي في علم التفسير مهتما عند العراقيين أكثر من علماء مكة والمدينة. وكان أصحاب هذا المنهج يعتمدون على الحكم الشخصي وآرائه مع الإعتماد على التقارير الواردة من النبي وأصحابه من أسانيد معتمدة عليها حتى عصر التابعين، وكان علم التفسير منقولاً بشكل شفهي ولم يكن مجموعاً ومدوّناً.

وفي المرحلة الأولى كان علماء التفسير يهتمون كثيراً بالنحو والبلاغة في علم التفسير، حتى دارت المناقشة حول المفردات والنحو ومعاني الكلمات العديدة المحتملة على معان مختلفة في سياق مختلفة. وإشتغل العلماء بالقضايا القانونية التي أثرت على علم التفسير مثل مسألة الناسخ والمنسوخ، لأنّ بعض الأوامر كانت مؤقتة حيث تم إلغاؤها بالأوامر اللاحقة، لأنه كان يتم التمييز بين التطبيق العام والخاص.

ولم يكن علم التفسير منعزلاً عن علم الحديث بل كان جزءاً من أجزاء علم الحديث نفسه. في الواقع، فالعلماء المحدثون هم الذين مهدوا الطريق لتنمية نظام مستقل للتفسير بتضمين تقارير التفسير في ديوانهم ومجموعاتهم حتى أدى إلى ظهور المفسرين الرئيسيين وأعمالهم.

وبعد القرون الأولى من الهجرة قد شاهد مجال التفسير التنوع والتفرع في مادته وموضوعاته، كما أخذ المفسرون يدخلون إلى التأويل أيضاً مع التفسير المأثور، ونشأت إتجاهات جديدة في فن التفسير مثل التفسير العقلي أو التفسير بالرأي، فأصبح تمييز الجيد من الرديء أمراً صعباً، فاضطر علماء القرآن وأصول الدين إلى أن يضعوا معياراً للتمييز بين التفسير الممدوح المقبول والتفسير المذموم المرفوض.

## الفصل الأول: التفسير الممدوح والمذموم

يقسم العلماء التفسير إلى قسمين هما 'التفسير المحمود' و'التفسير المذموم' وذلك إعتباراً لصحة التفسير ومنهجه الذي إتخذ المفسر في تأليفه، وقد وضع العلماء عدة مقاييس لتقسيم التفسير وتنويعه إلى هذين النوعين، لأن هذا المجال تتوفر فيه مؤلفات غزيرة منذ عهد التدوين في مجرى تقدمه وتطوره. يقول صاحب كتاب 'مناهل العرفان في علوم القرآن' الزرقاني رحمه الله: "تفسير الصحابة والتابعين، وتفسير الذين اعتمدوا على أقوال الصحابة والتابعين بالأسانيد الصحيحة، وتفسير أهل الرأي الموقق الذين جمعوا بين المأثور الصحيح مع حذف أسانيد وبين آرائهم العلمية المعتدلة، كل هذه الثلاثة من التفسير المحمود. ويغلب هذا النوع الثالث في عصرنا الحاضر؛ إذ تجمع التفاسير لدينا بين معان مأثورة، ومعان توسعوا في ذكرها عن طريق الرأي والإجتهد المعتمد على العلم والإعتدال".<sup>1</sup>

يضيف صاحب مناهل العرفان قائلاً إن هناك نوع آخر الذي يعتبر نوعاً رابعاً من التفسير حيث يقول: "هو تفسير أهل الأهواء والبدع وحكمه أنه مذموم، قالوا وأشهر الغارقين في هذا الضلال الرماني والجبائي والقاضي عبد الجبار. ثم اختلفوا في الزمخشري، فمنهم من عدّ تفسيره من هذا النوع لما فيه من مناحي الإعتزال. ومنهم من قال: إن فيه فوائد مهمة. يريد بذلك أن يلتمس له المعاذير وأن يغلب جانب الفوائد التي فيه على جانب الإعتزال الذي يحتويه. ولكن عدالة الأحكام تقضي بأن نسوّي بين جميع التفاسير وأن نحاكمها إلى مبدأ واحد، فما وافق منها وجه الصواب وكان بمنأى عن البدع والأهواء فهو محمود. وما تورط منها في الخطأ وتخبط في

<sup>1</sup> مناهل العرفان في علوم القرآن، الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، ص: ١/٥٠٠-٥٠٢.

الهوى والبدعة فهو مذموم، لا فرق بين الزمخشري وغير الزمخشري، ولا بين معتزلي وغير معتزلي<sup>١</sup>.

موقف الشيخ الزرقاني واضح مما سبق، وهو موقف أهل السنة في هذه القضية، ويعتبر موقفه معتدلاً متوسطاً. التفسير بالهوى النفسية هو فاسد مذموم، وأنه هو تفسير غير معتمد.

### مقاييس علم التفسير

وضع العلماء ميزاناً لتقسيم التفسير إلى المحمود والمذموم؛ وبه يجب أن يحكم ويوزن كل تفسير به، إذا تم استيفاء عناصر المعايير فيكون التفسير في هذا الميزان مقبولاً ومحموداً، وإذا فشل في إتمام الاستيفاء العناصر المعيارية فيكون مرفوضاً ومذموماً. والمدح والذم لهما درجات يتفاوق بعضها عن بعض حسب استيفاء عناصر التفسير لوجوه المدح والذم أو نقصها قليلاً أو كثيراً.

ويشترط على من يريد إتباع منهج التفسير برأيه أموراً؛ أهمّ منها أنه لا يجوز له بحال من أحوال إهمال تفسير القرآن بالقرآن، ولا ما صح من التفسير عن رسول الله وعن الصحابة. إذا أهمل أحد شيئاً من ذلك وطغى هذا الحد، ولم يأخذ به ولم ينظر فيه، يعتبر تفسيره من التفسير بالرأي المذموم، لأن رأيه يكون معارضاً لما هو أقوى منه وأحق بالقبول.

والتفسير بالرأي المسموح هو ما لم يخرج عن قوانين اللغة، وهو ما يجري على موافقة الكتاب والسنة، ومراعاة سائر شروط التفسير، ولم يتخط حدود الشريعة.

<sup>١</sup> مناهل العرفان في علوم القرآن، الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، ص: ٥٠٢/١

فأما القسم الثاني، التفسير بالرأي المذموم هو غير جار على قوانين اللغة العربية، ولا يوافق للأدلة الشرعية ولا يتم لشرائط التفسير، وهذا هو التفسير المذموم.

المصادر والمراجع أمر مهم في تعيين الممدوح والمقبول في التفسير كما وضّحها علماء الأمة، يصف الدكتور محمد حسين الذهبي المصادر التي يجب على المفسر أن يرجع إليها عند تأويل القرآن وتفسيره حتى يكون تفسيره جائزا ومقبولا وممدوحا. ومن تلخيص قوله:

١. "الرجوع إلى القرآن نفسه: عليه أن ينظر في القرآن نظرة فحص مدقق، وأن يجمع الآيات التي في موضوع واحد، وأن يقارن بعضها ببعض، بالموجز يقال هذا تفسير القرآن بالقرآن.

٢. النقل عن الرسول، مع الإحتراز عن الضعيف والموضوع، إذا رأي تفسيراً صحيحاً عن رسول الله عليه أن يقبله وأن يتجنب عن رأي نفسه، لأن النبيّ مؤيد من ربه، وموكل إليه أن يبين للناس ما نزل إليهم.

٣. الأخذ بما صح عن الصحابة في التفسير: ليس عليه أن يقبل جميع ما ينسب إلى الصحابة، لأن كثيراً من الوضع في التفسير على الصحابة كذبا وافتراء واختلافاً. إن وجد قولاً صحيحاً من الصحابي في التفسير فليس له أن يهجره ويقول برأيه، لأنهم أعلم بكتاب الله، وأدري بأسباب التنزيل. وفي أقوال التابعين، ليس فيه إجماع العلماء.

٤. الأخذ بمطلق اللغة، لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين، على المفسر أن يحتز من صرف الآية عن ظاهرها إلى معان خارجة محتملة يدل عليها القليل من كلام العرب.

٥. التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع، هذا هو الذي دعا به النبي ﷺ لإبن عباس حيث قال: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل". إختلف الصحابة في فهم بعض آيات القرآن، فأخذ كل بما وصل إليه عقله، وأداه إليه نظره"<sup>١</sup>.

على أساس هذه المصادر وعلى هذا الضوء يعتبر العلماء التفسير بالرأي إجتهادا في القرآن، فعلى المفسر أن يراعي أموراً في تفسيره بالرأي ليجعله محموداً وإلا فيكون مذموماً، يقول الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني في كتابه مناهل العرفان في علوم القرآن: "والأمور التي يجب استناد الرأي إليها في التفسير نقلها السيوطي في الإتقان عن الزركشي فقال ما ملخصه: للناظر في القرآن لطلب التفسير مأخذ كثيرة أهمها أربعة:.

- الأولى: النقل عن رسول الله مع التحرز عن الضعف والموضوع
- الثانية: الأخذ بقول الصحابي، فقد قيل إنه في حكم المرفوع مطلقاً، وخصه بعضهم بأسباب النزول ونحوها مما لا مجال للرأي فيه.
- الثالث: الأخذ بمطلق اللغة مع الإحتراز عن صرف الآيات إلا ما لا يدل عليه الكثير من كلام العرب
- الرابع: الأخذ بما يقتضيه الكلام ويدل عليه قانون الشرع. وهذا النوع الرابع والذي دعا به النبي ﷺ لإبن عباس في قوله: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> التلخيص من عبارات الدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه 'علم التفسير'، ص: ٥٥-٥٧

<sup>٢</sup> مناهل العرفان في علوم القرآن، الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، ص: ١/٥١٧-٥١٨

وعلى المفسر أن يراعي بما سبق لأن يكون إجهاده موافقا أي مستندا إلى ما يجب الإستناد إليه بعيدا عن الجهالة والضلالة، وإذا فسر أحد القرآن برأيه ملتزما الوقوف عند مأخذ أربعة المذكورة أعلاه ومعتمدا عليها فيما يرى من معاني كتاب الله، يكون تفسيره محمودا، وإلا فيكون ساقطا مردولا خليقا ويسمى التفسير بالتفسير المذموم.

وينبغي على المفسر بالرأي أن يعلم أن في القرآن علوم لم يطلع الله عليه أحدا من خلقه، وعلوم ما أطلع الله عليه نبيه واختص به، وإليه يشير الشيخ الزرقاني في مناهل العرفان في علوم القرآن: "ينبغي أن يعلم أن في القرآن علوما تتنوع إلى ثلاثة:

الأول: علم لم يطلع عليه أحدا من خلقه بل استأثر به وحده كمعرفة حقيقة ذاته وصفاته وغيوبه التي لا يعلمها إلا هو، وهذا النوع لا يجوز الكلام فيه لأحد إجماعا.

الثاني: ما أطلع الله عليه نبيه ﷺ واختص به، وهذا لا يجوز الكلام فيه إلا له عليه الصلاة والسلام ولمن أذن له الرسول، قيل: ومنه أوائل السور.

الثالث: العلوم التي علمها الله تعالى لنبيه مما أمر بتبليغه. وهذا النوع قسمان: (قسم) لا يجوز الكلام فيه إلا بطريق السمع كالكلام في الناسخ والمنسوخ والقراءات، وقصص الأمم الماضية، وأسباب النزول وأخبار الحشر والنشر والمعاد. (وقسم) يعرف بطريق النظر والإستدلال، وهذا منه المختلف في جوازه، وهو ما يتعلق بالآيات المتشابهات. ومنه المتفق على جوازه وهو ما يتعلق بآيات الأحكام والمواعظ والأمثال والحكم ونحوها لمن له أهلية الإجهاد"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> مناهل العرفان في علوم القرآن، الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، ص: ٥١٨/١-٥١٩

هذا واضح من البحث أنّ تقدم الزمان والتغيرات في حاجات الإنسان والمشكلات الجديدة في طريق حياته صارت سببا لتأويل الآيات القرآنية في القرون التالية من حياة النبي ﷺ، فاضطر العلماء لإستنباط الأحكام واكتشاف الحلول في الأمور. شاهد مجال علم التفسير تنوعا وتطورا، وازداد المفسرون والتفاسير.

بعد القرون الأولى من الهجرة قد بدأ فن التفسير يتجاوز الحد الذي رسمه السلف فيه والناس يستخدمونه لإتمام إرادتهم، ولتشديد رأيهم ومذاهبهم، ولتقوية إدعائهم في أمور شتى من الإختلاف بينهم، وقد أدت هذه الإختلافات في علم التفسير إلى ضرورة تقسيم التفسير إلى الممدوح والمذموم. فوضع العلماء معايير لتعيين التفسير مقبولا أو مرفوضا، وساعد هذا التقسيم لتعريف الجيد من الرديء في مجال التفسير. إذا وجدوا في التفسير إستيفاء المعيار والمقاييس فاعتبروه تفسيرا ممدوحا مقبولا، وأما إذا فشل فاعتبروه مذموما مخذولا.

## الفصل الثاني: التفسير العقلي أو التفسير بالرأي

التفسير العقلي يطلق عليه بالتفسير بالرأي أيضا، ولما إقتضى المجتمع في العصور المتأخرة إلى الأحكام والآراء مستنبطة من القرآن الكريم، قد حاول العلماء لتوسيع نطاق التفسير بالمأثور حتى أدى إلى إبتكار أنواع جديد في علم التفسير بما فيها التفسير العقلي أو التفسير بالرأي. والقرآن بنفسه يشير إلى أن يدبر ويتذكر الإنسان في مضامينه حيث يقول الله تعالى في سورة 'ص': "كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبّروا آياته، وليتذكر أولو الألباب"<sup>١</sup>. لم يستطع التفسير بالمأثور أن يصبح أساسا لتفسير القرآن بأكمله بسبب قلة نسبته. قد غلبت على هذا النوع من التفسير ومفسريه في إتجاهاتهم عناصر مختلفة بما فيها المباحث العقلية، والمسائل الكلامية، والإستنباطات والدلالات الناتجة عن إعمال الرأي وإنفاذ النظر.

### التفسير بالرأي لغة واصطلاحا

كلمة الرأي هي مصدر لفعل رأى تقول: "رأى - يرى - رأياً. وأصل إستعماله في الإبصار والرؤية والمشاهدة. رآه: أبصره بعينه. ويستعمل في الإعتقاد والتدبير والتفكير، والنظر والتأمل"<sup>٢</sup> أيضا. وفي قوله تعالى: "يرونهم مثلهم رأي العين"<sup>٣</sup>، أي يظنونهم بحسب مقتضى مشاهدة العين مثلهم. وقال بعضهم: "الرأي هو: إجابة خاطر في المقدمات، التي يرجى منها إنتاج المطلوب"<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> سورة ص، آية: ٢٩

<sup>٢</sup> المعجم الوسيط، ص: ٣٢٠

<sup>٣</sup> سورة آل عمران، الآية: ١٣

<sup>٤</sup> الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الحسيني، ص: ٤٢٠

وقد ورد في معجم المعاني "رأي: (اسم)، الجمع: آراء، الرأي: الاعتقاد، الرأي: العقل، الرأي: التدبير، الرأي: النظر، والتأمل. والرأي (عند الأصوليين<sup>١</sup>): استنباط الأحكام الشرعية في ضوء قواعد مقررة، رأيته رأي العين: حيث يقع عليه البصر، أخذ الرأي على أمر: إجراء تصويت عليه، أصحاب الرأى والقياس / أهل الرأى والقياس: الفقهاء الذين يستخرجون أحكام الفتوى باستعمالهم رأيهم الشخصي والقياس الشرعي فيما لا يجدون فيه حديثاً أو أثراً"<sup>٢</sup>.

ويقول الدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون: "يطلق الرأي على الإعتقاد، وعلى الإجتهد وعلى القياس، والمراد بالرأي هنا الإجتهد عليه، فالتفسير بالرأي عبارة عن تفسير القرآن بالإجتهد بعد معرفة المفسر للكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالاتها، واستعانتة في ذلك بالشعر الجاهلي، ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر"<sup>٣</sup>.

وفي تعريف آخر الذي عرفه الشيخ خالد العك أن التفسير بالرأي أو التفسير العقلي: "يعتمد على الفهم العميق والمركّز لمعاني الألفاظ القرآنية، بعد إدراك مدلول العبارات القرآنية، التي تنتظم في سلكها تلك الألفاظ، وفهم دلالاتها"<sup>٤</sup>.

يسمى التفسير بالرأي أيضاً بالتفسير العقلي، لأنه يقوم على إعمال استخدام العقل والتفكير في مضامين القرآن، وكذلك يسمى التفسير النظري أيضاً، لأنه ينتج عن النظر العميق في القرآن، لإستخراج الأحكام والدلالات.

<sup>١</sup> المبرزون في علم أصول الفقه

<sup>٢</sup> زار الباحث موقع ويب <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar> بتاريخ ٢٢/٠٥/٢٠٢٠

<sup>٣</sup> علم التفسير، الدكتور محمد حسين الذهبي، ص: ٤٧

<sup>٤</sup> أصول التفسير وقواعده، الشيخ خالد العك، ص: ١٦٧

ومن الواضح من هذه التعاريف أن التفسير بالرأي يقوم على اجتهاد المفسر، وعمله بعقله، ونظره العميقة، وتقديم الخلاصة في تفسير القرآن، وبيان معانيه واستخراج دلالاته وأحكامه.

### موقف العلماء على التفسير بالرأي:

وقد اختلف العلماء من قديم الزمان في جواز تفسير القرآن بالرأي، يقول الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي في كتابه تعريف الدارسين بمناهج المفسرين: "فمنهم من منعه مطلقا، واعتبره قولاً بدون علم، ومنهياً عنه، ومن فعله فهو آثم، ومنهم من أباحه مطلقا، وأجاز لكل إنسان أن يفسر القرآن برأيه وعقله ونظره واجتهاده، بدون شروط ولا قيود ولا ضوابط"<sup>١</sup>.

وللعلماء في علوم القرآن موقفان متعارضان في هذه القضية، وفي الموقف الأول يرفضون التفسير بالرأي وفي ادعائهم لا يجوز التفسير بالرأي وإليه يشير بقوله الدكتور محمد حسين الذهبي: "حتى لمن كان ملماً بكل العلوم والأدوات التي يحتاج إليها المفسر. وقالوا بوجوب انتهاء المفسر إلى ما ثبت عن النبي ﷺ، وعن الذين شهدوا التنزيل من الصحابة، وعن الذين أخذوا عنهم من التابعين"<sup>٢</sup>.

يقول الشيخ الراغب الإصفهاني في مقدمة تفسيره: "فقوم تشددوا في ذلك فلم يجرؤوا على تفسير شيء من القرآن، ولم يبيحوه لغيرهم وقالوا: لا يجوز لأحد تفسير شيء من القرآن وإن كان عالماً أديباً متسعاً في معرفة الأدلة والفقه والنحو والأخبار

<sup>١</sup> تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص: ٤١٥

<sup>٢</sup> علم التفسير، الدكتور محمد حسين الذهبي، ص: ٤٧-٤٨

والآثار، وإنما له أن ينتهي إلى ما روى النبي صلعم وعن الذين شهدوا التنزيل من الصحابة، أو عن الذين أخذوا عنهم من التابعين".<sup>١</sup>

وهناك موقف آخر عند بعض العلماء وهو يتعارض الأول في جميع معناه، وهذا الفريق من العلماء أجازوا التفسير بالرأي في القرآن خلافاً عن آراء الفريق الأول، وأجازوه لمن كان ملماً بكل العلوم والأدوات التي يقتضي إليها المفسر. يشير إليها صاحب كتاب التفسير والمفسرون الدكتور محمد حسين الذهبي: "وقوم كان موقفهم على العكس من ذلك، فلم يروا بأساً من أن يفسروا القرآن بإجتهدهم، ورأوا أن من كان ذا أدب وسيع فموسع له أن يفسر القرآن برأيه واجتهاده".<sup>٢</sup>

ولكل فريق من هذين الفريقين أدلة وبراهين ليعزز ويقوي آرائهما، وفي رأي من لا يجوز إن التفسير بالرأي قول على الله بغير علم منهي عنه، فالتفسير بالرأي منهي عنه. وشددوا بآرائهم واكتشفوا براهينهم من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، كما وجدوا الدليل في قوله تعالى: "ولا تقف ما ليس لك به علم؛ إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا".<sup>٣</sup> وكذلك قالوا إن الله تعالى قال لنبيه عليه الصلاة والسلام: "وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم".<sup>٤</sup> وفي رأيهم هذا مفهوم من هذه الآيات بيان معاني الآية مسؤولية على النبي ﷺ.

<sup>١</sup> مقدمة التفسير للراغب الأصفهاني، الملحقه بآخر تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار، ص: ٤٢٢-

٤٢٣

<sup>٢</sup> التفسير والمفسرون، الدكتور محمد حسين الذهبي، ص: ٢٢٢/١

<sup>٣</sup> سورة الإسراء، الآية: ٣٦

<sup>٤</sup> سورة النحل، الآية: ٤٤

وأضافوا إليها لتشديد إدعاهم قول النبي ﷺ الذي ورد في حديث رواه الترمذي مرفوعاً: ".... ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار"<sup>١</sup>. وورد في حديث رواه الترمذي وأبو داود عن جندب أنه قال: قال رسول الله ﷺ "من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ"<sup>٢</sup>.

يقول ابن جريج رحمه الله في مقدمة تفسيره: "ورد عن السلف من الصحابة والتابعين من الآثار ما يدل على أنهم كانوا يعظمون تفسير القرآن، ويتخرجون من القول فيه بأرائهم، مثلاً: ما جاء عن أبي مليكة أنه قال: سئل أبو بكر الصديق ﷺ في تفسير حرف من القرآن فقال: أي سماء تظلي، وأي أرض تقلني، وأين أذهب إذا قلت في حرف من كتاب الله بغير ما أراد الله تبارك وتعالى"<sup>٣</sup>.

وأما الدلائل لمن أجازوا التفسير بالرأي أيضاً مأخوذة من الآيات القرآنية والأحاديث الواردة، فوجدوا في القرآن نصوصاً كثيرة تدل على جواز التفسير بالرأي، فمن ذلك قوله تعالى في سورة محمد: "أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها"<sup>٤</sup>، وفي سورة النساء: "ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم"<sup>٥</sup>. وكذلك قوله تعالى في سورة النحل: "وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم"<sup>٦</sup>.

يقول الدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون عن إجازة التفسير بالرأي بقوله: "إن النبي مأمور بالبيان، ولكنه مات ولم يبين كل شيء، فما ورد بيانه

١ الترمذي في أبواب التفسير، ص: ١٥٧/٢

٢ المصدر نفسه، ص: ١٥٧/٢

٣ تفسير ابن جريج، علي حسن عبد الغني، ص: ٧٨/١

٤ سورة محمد: الآية ٢٤

٥ سورة النساء: الآية ٨٣

٦ سورة النحل: الآية ٤٤

عنه ففيه الكفاية عن فكرة من بعده، وما لم يرد عنه ففيه حينئذ فكرة أهل العلم بعده".<sup>١</sup>

وفي رأي من أباحوا التفسير بالرأي أنه لا يجوز الإجتهد إلا إذا كان التفسير بالرأي جائزاً، وإلا سيتعطل كثير من الأحكام، وباب الإجتهد لا يزال مفتوحاً إلى يوم القيامة والمجتهد مأجور، والنبى لم يفسر لنا جميع آيات القرآن، ولم يستنبط لنا جميع أحكامه.

وقد وجد هؤلاء المفسرون في حياة الصحابة دلائلاً لتشديد رأيهم وقالوا إن الصحابة قالوا في القرآن برأيهم، واختلفوا في فهم بعض نصوصه، ولم يسمعوا جميع ما قال عنه رسول الله، ولو كان القول بالرأي في القرآن محظوراً لكانوا قد خالفوا ووقعوا فيما حرم الله.

يشير إليها الدكتور محمد حسين الذهبي بقوله: "قالوا: إن النبي ﷺ دعا لإبن عباس بقوله: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"، فلو كان التأويل مقصوراً على السماع والنقل كالتنزيل ما كان هناك فائدة لتخصيص ابن عباس بهذا الدعاء، فدل ذلك على أن التأويل الذي دعا به الرسول لإبن عباس أمر آخر وراء السماع والنقل، وهو التفسير بالرأي والإجتهد".<sup>٢</sup>

ولو كان التفسير بالرأي غير جائز لما كان الإجتهد جائزاً، إن باب الإجتهد لا يزال مفتوحاً إلى اليوم، والمجتهد في حكم الشرع مأمور أصاب أو أخطأ، والنبى لم يفسر كل آيات القرآن، ولم يستخرج لنا جميع ما فيه من أحكام. كان إمام أبو حامد

<sup>١</sup> التفسير والمفسرون، الدكتور محمد حسين الذهبي، ص: ٢٢٣/١

<sup>٢</sup> علم التفسير، الدكتور محمد حسين الذهبي، ص: ٤٨-٥١

الغزالي معزز هذا الرأي في قضية التفسير بالرأي وهو يقول: "إن في فهم معاني القرآن مجالاً رحباً، ومتسعاً بالغاً، وإن المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الإدراك فيه. وإنما ينكشف للراسخين في العلم من أسراره بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم، وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب. ويكون لكل واحد حدّ في الترقى إلى درجة أعلى منه. فأما الإستيفاء فلا مطمع فيه، ولو كان البحر مداداً، والأشجار أقلاماً فأسرار كلمات الله لانهية لها، فتنفذ الأبحر قبل أن تنفذ كلمات الله عز وجل".<sup>١</sup>

### الموقف المقسط والمتوسط في تفسير الرأي

وقد إتخذ بعض العلماء موقفاً آخر وذلك الموقف المقسط والمتوسط، فلم يقبلوا الموقفين السابقين، حيث لم يجيزوا التفسير بالرأي تماماً كما لم يقوموا معارضين عليه، وإلى هذا الموقف يشير الراغب الأصفهاني، وهو يقول: "وذكر بعض المحققين: أن المذهبين هما الغلو والتقصير، فمن إقتصر على المنقول إليه فقد ترك كثيراً مما يحتاج إليه، ومن أجاز لكل أحد الخوض فيه فقد عرضه للتخليط، ولم يعتبر حقيقة قوله تعالى: ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب (سورة ص: ٢٩)".<sup>٢</sup>

التفسير بالرأي جائز لمن يقدم براهينا ودلائلا لتشديد رأيه، يشير إليها صاحب كتاب التفسير والمفسرون الدكتور محمد حسين الذهبي وهو يقول: "وفي رأي المجيزين المراد إذا شدد أحد رأيه بالبراهين والدليل فالقول جائز. فالنهي على هذا متناول لمن كان يعرف الحق ولكنه له في الشيء رأي وميل إليه من طبعه وهواه، فيتأول القرآن

<sup>١</sup> إحياء علوم الدين، الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي، ص: ٣٩٣-٣٩٤

<sup>٢</sup> مقدمة التفسير للراغب، ص: ٤٢٣

على وفق هواه ليحتج به على تصحيح رأيه الذي حمل القرآن عليه، ومتناول لمن كان جاهلا بالحق أيضا".<sup>١</sup>

أن الجمود على المنقول من التفسير تقصير وتفريط بلا نزاع لأن المشاكل الجديدة التي يواجه الإنسان في المجتمع والمناسبات المعقدة حوله تقتضي إلى الحلول الموافقة من القرآن والسنة، والخوض في التفسير لكل إنسان غلو وإفراط بلا جدال، والموقف المعتدل المتوسط المقبول بين هذين الموقفين المتعارضين كما يقول الإمام الذهبي "الرأي قسمان: قسم جار على موافقة كلام العرب ومناحيهم في القول مع موافقة الكتاب والسنة ومراعاة سائر شروط التفسير، وهذا القسم جائز لاشك فيه، وقسم غير جار على قوانين العربية، ولا موافق للأدلة الشرعية، ولا مستوف لشرائط التفسير، وهذا هو مورد النهي ومحط الذم".<sup>٢</sup> يقول صاحب الكتاب 'علوم القرآن الكريم' نور الدين محمد عتر الحلبي: قال عمر رضي الله عنه: "إنما أخاف عليكم رجلين: رجل يتأول القرآن على غير تأويله ورجل ينافس الملك على أخيه".<sup>٣</sup>

هذا واضح من قول من أجاز التفسير بالرأي ومن لا يجوزه، إن التفسير بالرأي شيء عظيم، على من رغب فيه أن يكون مدققا ويحافظ على معلومات كثيرة في موضوعات شتى قبل أن يدخل إليه، ووجود العلماء الكبار مثل الغزالي في هذين الإدعائين المتعارضين يجعل هذه القضية أكثر صعوبة للحكم النهائي عليه. وهذا أفضل أن يقبل الموقف المتوسط بين هذين الموقفين. وهذا ليس من الجيد أن يقبلها وينكرها مطلقا.

<sup>١</sup> التفسير والمفسرون، الدكتور محمد حسين الذهبي، ص: ٢٢٣/١

<sup>٢</sup> المصدر نفسه، ص: ٢٢٨/١

<sup>٣</sup> علوم القرآن الكريم، نور الدين عتر، ص: ٨٧

## شروط التفسير بالرأي

قد وضع العلماء شروطا للتفسير بالرأي حتى تجعله ممدوحا دون مذموما، كما بينوا الأمور التي يجب على المفسر أن يتركها في التفسير. والمفسر الذي يريد أن يؤول القرآن برأيه فيما لم يرد فيه أثر صحيح، عليه أن يكون ملما بجملته من العلوم التي يستطيع بواسطتها أن يفسر القرآن تفسيرا عقليا مقبولا، وضع العلماء قائمة شروط تجعل هذه العلوم بمثابة أدوات تعصم المفسر من الوقوع في الخطأ، وتحمية من القول على الله بدون علم.

الدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه علم التفسير يشترط بالعناصر التالية لمن يريد أن يفسر بالرأي:

- "عليه أن يعرف علم اللغة: يمكن شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها
- عليه أن يعرف علم النحو: المعنى يختلف ويتغير باختلاف الإعراب
- عليه أن يعرف علم الصرف: يعرف به الأبنية والصيغ
- عليه أن يعرف الإشتقاق: لأن الإسم إذا كان إشتقاقه من مادتين مختلفتين  
إختلف باختلافهما
- عليه أن يعرف علوم البلاغة (المعاني، والبيان، والبديع)
- عليه أن يعرف علم القراءات: يمكن ترجيح بعض الوجوه المحتملة على بعض
- عليه أن يعرف أصول الدين: يستطيع أن يستدل على ما يجب في حقه تعالى،  
و ما يجوز، وما يستحيل
- عليه أن يعرف أصول الفقه: يعرف كيف يستنبط الأحكام من الآيات  
ويستدل عليها.

- عليه أن يعرف علم أسباب النزول: تعين على فهم المراد من الآية
- عليه أن يعرف علم القصص: تعين على توضيح أجمل منها في القرآن
- عليه أن يعرف علم النسخ والمنسوخ: يعرف المحكم من غيره، ومن فقد هذه الناحية فربما أفتى بحكم منسوخ فيقع في الضلال
- عليه أن يعرف علم الأحاديث: يستعين به على معرفة المجمل والمهم
- علم الموهبة: وهو علم يورثه الله من عمل بما علم".<sup>1</sup>

ومع ذلك على المفسر أن يكون عالماً عن الأساليب اللغوية العربية لأن الإنسان لا يستطيع فهم جميع ما أراد الله على وجه الكمال والتمام، ولكن يمكنه فهم ما يهتدي به بقدر الطاقة، ويحتاج إلى علم الإعراب وعلم الأساليب (المعاني والأساليب) لحسن فهم معنى الآية ومرادها.

والعلم عن أحوال البشر أيضاً محتاج لمن أراد التأويل بالرأي في آيات الله، بأن الله قد بين فيه كثيراً من أحوال الخلق وطبائعهم، والسنن الإلهية في البشر، وقص علينا أحسن القصص عن الأمم السابق. وبالجملة كل علم يتوقف عليه تفسير شيء من كتاب الله تعالى يجب على المفسر معرفته، وإلا كان غير مستوف لشروط التفسير.

وهناك أمور التي عدّها العلماء كالواجبات على المفسر أن يتجنبها في تفسيره بالرأي لعدم الخطأ وأن لا يكون تفسيره مذموماً، وقد وضعوها لأن يكون التفسير خالياً من الخلل والعلل. يصفها الدكتور الذهبي في كتابه علم التفسير:

<sup>1</sup> علم التفسير، الدكتور محمد حسين الذهبي، ص: ٥٣-٥٥

- "التهجم على بيان مراد الله تعالى من كلامه مع الجهالة بقوانين اللغة، وأصول الشريعة، وبدون حصول العلوم التي يجوز معها التفسير
- الخوض فيما استأثر الله بعلمه: ذلك كالمثابه الذي لا يعلمه إلا الله. فليس للمفسر محاولة لتفسير الغيب الذي جعله الله سرا من أسرارهِ وحجة على عباده.
- السير في الهوى والإستحسان: عليه أن لا يفسر بهواه، ولا يرجح باستحسانه
- التفسير المقرر للمذهب الفاسد: عليه أن لا يجعل المذهب أصلا والتفسير تابعا، فيحتال في التأويل حتى يصرفه إلى عقيدته، ويرده إلى مذهبه بأي طريق أمكن.
- التفسير مع القطع بأن مراد الله كذا وكذا من غير دليل، وهذا منهي عنه شرعا"<sup>١</sup>.

ومن الواضح مما سبق على المفسر أن يتجنب من جميع الأمور التي تخضع للشك والإلتباس، وعليه أن يراعي بتجنب هوي نفسه، وألا يجعل المذهب أصلا لتفسيره، وأن يتجنب بنفسه من محاولة التفسير ما لا يعلمه إلا الله. وإذا اتبع هذه الشروط كما تجنب مما ذكرت أعلاه سيعتبر تفسيره بالرأي مقبولا.

---

<sup>١</sup> علم التفسير، الدكتور محمد حسين الذهبي، ص: ٥٨

## المؤلفات في التفسير بالرأي المحمود

ألفت في فن التفسير كتب كثيرة ولكن اختلفت مناهجها حسب إختلاف ذوق مؤلفيها، وقد صار منهج التفسير بالرأي منهجا مألوفاً بين المفسرين، وهناك كتب وافرة ألفت في هذا المنهج من التفسير أي المنهج الرأي. ففي كل عصر يوجد جديد من الكتب المؤلفة في التفسير بالرأي الجائز، ومن أشهر التفاسير المطبوعة في هذا الإتجاه:

- مفاتيح الغيب/التفسير الكبير لفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ)
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للقاضي بيضاوي (ت ٦٩١ هـ)
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات النسفي (ت ٧٠١ هـ)
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين النيسابوري (ت ٧٢٨ هـ)
- لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين الخازن (ت ٧٤١ هـ)
- تفسير الجلالين لجلال الدين المحلي (ت ٧٩١ هـ) وجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)
- السراج المنير للخطيب الشربيني (ت ٩٧٧ هـ)
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود العمادي (ت ٩٨٢ هـ)
- روح المعاني لشهاب الدين الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ)

والكتب التفسير بالرأي للمعتزلة وللخوارج الأباضية وللشيعة الإمامية الإثني عشرية وللشيعة الزيدية تعد من كتب التفسير بالرأي المذموم عند علماء أهل السنة.

وقد توضّح أن التأويل أو التفسير بالرأي في القرآن إجتهد من جهة المفسر، وهذا الجهد يحتاج إلى المراعات في كثير من الأمور ليجعله تفسيراً مقبولاً ممدوحاً، وإذا صار المفسر غافلاً أو فشل في الجهد يكون تفسيره مذموماً وغير مقبولاً.

قد توضّح من البحث أن إقتضاء المجتمع في العصور المتأخرة إلى الأحكام والآراء المستنبطة من القرآن الكريم أدّت إلى توسيع نطاق التفسير بالمأثور. فاضطر العلماء للدخول إلى منهج جديد من التفسير واستخدموا منهجاً جديداً في علم التفسير معروفاً بالتفسير بالرأي أو العقلي أو النظري، فيها المباحث العقلية والنظرية. التفسير بالرأي يعتمد على الفهم العميق في معاني الألفاظ القرآنية بعد إدراك مدلول العبارات القرآنية، وهو يقوم على إجتهد المفسر وعمله بعقله ونظره.

وهذا واضح من البحث، بين العلماء إختلاف في جواز تفسير القرآن بالرأي، ولكلّ من يجيز ولا يجيز التفسير بالرأي دلائل وبراهين لتشديد إدّعائهم، بعض من العلماء أباحوه مطلقاً والبعض أنكروه مطلقاً، والآخر أخذوا موقفاً متوسطاً مقسطاً بين هذين الموقفين المتعارضين. والعلماء وضعوا شروطاً لمن يرغب في تأويل القرآن على منهج التفسير بالرأي أن يجعله مقبولاً ممدوحاً.

وعلى المفسر أن يكون ملماً بجملة من العلم التي يستطيع بواسطتها أن يفسر القرآن تفسيراً عقلياً مثل علم اللغة، وعلم النحو، وعلم الصرف، وعلوم البلاغة وأصول الدين والفقه، والقصص والتاريخ عن الأمم السابقة والناسخ والمنسوخ، وعلوم متعلقة بأحوال البشر والكون وغيرها، وبالجملة كلّ علم يتوقف عليه تفسير شيء من كتاب الله.

ومن المفهوم أن العلماء قد بينوا عن الأمور التي يجب على المفسر إجتنبها في تفسيره بالرأي لأن لا يكون تفسيره مذموماً مرفوضاً، وأن يجعلها خالياً من العلل

والخلل مثل الغيب الذي لا يعمله إلا الله والمتشابه، وأن لا يسير في الهوى بنفسه.  
وفي فن علم التفسير كتب ألّفت في هذا المنهج أي التفسير بالرأي مثل مفاتيح  
الغيب لفخر الدين الرازي وغيره.

## الفصل الثالث: التفسير العلمي واتجاهاته

كان المسلمون في أزمة عميقة خلال العصر الحديث ماديا ومعنويا. لأنه قد شهد العصر الحديث غلبة المادية الغربية في العالم، حيث تقدمت الغرب كثيرا في العلوم المادية والتكنولوجيا. وإن محاولات الأوروبيين للإستعمار بعد منتصف القرن الخامس العشرة قد أدت إلى وجود المستعمرين الغربيين في معظم أنحاء العالم وخاصة في الشرق أي في القارة الأفريقية وآسيوية.

وفي أول الأمر قامت اسبانيا وهولندا، وبلجيكا، والبرتغال في مقدمة المحاولات الإستعمارية، ثم تقدمت ألمانيا وفرنسا وبريطانيا، وروسيا وأمريكا إلى هذا المجال حتى غلبت هذه الدول على باقي البلدان واستعمرتها، وكانوا أشداء في خشونتهم الخلقية، وتعصيم الدينية طوال مسيرهم تجاه الحضارات الإنسانية في الشرق خاصة ضد الحضارة الإسلامية، لأن ذكرى الحروب الصليبية من التاريخ لعب عنصرا خفيا عندهم حتى أظهروا قسوتهم ضد الإسلام والمسلمين.

وقد حاول الغرب أن تحكم الناس سياسيا ولتهديم البلدان إقتصاديا بنثر الخوف في نفوس الناس، كما حاولوا لترويج أفكارهم وفلسفاتهم المادية والمعنوية، ولإبعاد المسلمين عن إعتقاداتهم الوثيقة في الله، ولمهاجمة الدين والإيمان بالآراء، وللدعوة إلى اللادينية والنظريات العلمية والسياسية والإقتصادية والإجتماعية والنفسية، هذه المحاولة لم توقف ولم تنته.

استعمروا جميع بلدان المسلمين بعد الحرب العالمية الأولى خاصة بعد انحطاط الدولة العثمانيين. ووجه اليهود جهودهم لإقامة دولة يهودية في فلسطين، واحتلوا أراضي الفلسطينيين وبنوا دولتهم بمعاونة جميع المستعمرين. وبينما شهد العصر

الحديث تقدم وتحكم الجاهلية الأوروبية، فقد شهد تأخر وانحطاط المسلمين، حيث ابتعد المسلمون كثيرا عن حضارتهم العالية وثقافتهم العظيمة، وتأخروا عن ركب العلم والحضارة والتقدم، قام الغربيون بغزو وباستعمار بلادهم وامتصاص مواردهم وخيراتهم، ونشر الأفكار الفاسدة بينهم. ظهر في العصر الحديث فلاسفة ومفكرون لادينيون في الغرب، مثل: هيغل وماركس ودارون ونيتشه وسارتر، وظهرت الحركات مثل الماركسية والوجودية والداروينية والقومية والرأسمالية والإشتركية وغيرها.

وقامت حركات إسلامية في بلاد المسلمين تدعو الأمة إلى العودة لإسلامها وإلى حضارتها وثقافتها الأصلية، وتطبيق شريعتها، والتخلي عن تبعيتها للأعداء، واستقطبت هذه الحركات الإسلامية كثيرا من فئات وطبقات الأمة، ودعوا الناس إلى الإقبال على القرآن، يدرسونه ويتدبرونه ويفسرونه، ويستلهمونه في جهودهم في الدعوة والحركة والتربية والإصلاح. ظهرت مدارس فكرية إسلامية، انطلقت من تفسير القرآن في إصلاح المجتمع، مثل مدرسة الشيخ محمد عبده وغيرها.

وكان التركيز عند المفسرين خلال هذه المدة على إصلاح أحوال المجتمع على أساس القرآن، ويحرصون للوقوف أمام الأفكار والمذاهب الجاهلية الغازية على أساس القرآن. كما أشار الباحث في الباب الأول، الإتجاهات المعاصرة في التفسير عديدة عند المفسرين مثل الإتجاه السلفي، والإتجاه الأثري، والإتجاه التوفيقي، والإتجاه العقلي والإتجاه العلمي.

والإتجاه العلمي قد أصبح مهتما في العصر الحديث بسبب التقدم العلمي، فتقدم العلماء إلى محاولات تبين الحقائق العلمية الكونية الواردة في القرآن الكريم في عديد

من آياته في ضوء المخترعات العلمية الحديثة. والتفسير العلمي من فئة التفسير بالرأي.

مصطلح "التفسير العلمي للقرآن الكريم" هو من المصطلحات الحديثة، وهو يشير إلى تأويل الآيات القرآنية أو تفسيرها بما يتفق بالنظريات العلمية أو الاكتشافات الحديثة. وهو طريقة أخذها المفسرون المعاصرون في تأويل آيات القرآن المتعلقة بالكون وبأسرارها وتفسيرها. يحاول المفسر حسب هذا المنهج أن يكتشف الإعجاز العلمي في القرآن وإخبار عامة الناس عن عجائب القرآن وإظهار قدرة الإلهي في خلق الكون والطبيعة.

عصر التدوين للتفسير في القرن الثاني من الهجرة شاهد التفرع والتنوع في مجال علم التفسير، ونهجوا إلى مناهج متنوعة خلافاً عن المنهج القديم المسمى 'بالتفسير بالمأثور'، أول من أرى هذا التنوع للعالم في التفسير هو إمام المفسرين الطبري رحمه الله في تفسيره 'جامع البيان عن تأويل آي القرآن' بمنهجه الجليل يسمى به العلماء 'المنهج الجامع'، فيه جمع الإمام منهج التفسير باللغة و التفسير بالمنقول أو المأثور وتقديم إستنباط القرآن واجتهاده وتأويله. والمنهج العلمي منهج من مناهج التفسير الذي بدأ من القرون الوسطى بأيدي المفسرين الكبار مثل فخر الدين الرازي (ت 6٠٦ هـ) في صورة منهج التفسير بالرأي، وبذلك يعد هذا المنهج العلمي فرعاً من فروع التفسير بالرأي. ترى الدكتورة هند شلبي أن الآيات المتعلقة بالكون من القرآن لها صورتان، وإنها تصف هاتين الصورتين في كتابها التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق:

"الأولى: صورة نسجت على منوال مناهج بعض المفسرين بتقسيم السورة إلى مقاصد، وتحليل كل مقصد بعد ذلك بالوقوف على الآيات، بعد توزيعها إلى

مجموعات تتحد في الموضوع، وتفسير كل مجموعة منها لفظيا أولا، ثم بما يقتضيه الكلام الوارد فيها من بيان يعتمد علوم الأثر أو علوم العقل، وأبرز من تبني هذه الطريقة من القدامى الفخر الرازي في 'التفسير الكبير'، ومن المحدثين الشيخ طنطاوي جوهرى في تفسيره 'الجواهر'.

والثانية: هي الدراسة المركزة على الآيات العلمية أو الآيات الكونية الواردة في القرآن يذكرها المؤلف عادة دون تقييد بترتيبها في المصحف، بل يستشهد بما تيسر منها كلما تطلب منه البحث ذلك. والغالب على هذه الدراسات أن تكون مبنية على الموضوعات. وعرف البحث في هذا الموضوع بالتفسير العلمي أو الإتجاه العلمي في التفسير أو التفسير العصري".<sup>١</sup>

هذا واضح من بيان الدكتورة هند شلبي عن طريقتين في تفسير الآيات الكونية بين المفسرين، في الطريق الأول يقسم المفسر السورة إلى مقاصد، ويحلل كل مقصد، ثم يوزع إلى مجموعات حسب الموضوع، ويفسر كل مجموعة لفظيا ثم يبين اعتمادا على علوم الأثر أو العقل. وفي الطريق الثاني تركز الدراسة على الآيات الكونية والعلمية التي وردت في القرآن الكريم، بدون اعتبار ترتيب المصحف.

### العلم لغة واصطلاحا

'العلم' جذرها اللغوي 'عَلِمَ'، يقول الزمخشري في كتابه أساس البلاغة: "عَلِمَ ما علمت بخبرك: ما شعرت به"<sup>٢</sup>، وفي تعريف آخر يقول ابن منظور في لسان العرب:

<sup>١</sup> التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيقات، الدكتورة هند شلبي، ص: ١٤-١٥

<sup>٢</sup> أساس البلاغة، الزمخشري، ص: ٥٦٤

"علم: من صفات الله عز وجل العليم والعالم والعلام، العالم: الذي يعمل بما يعلم (...). علمت الشيء أعلمه علما: عرفتة، علم بالشيء: شعر"<sup>١</sup>.

في اللغة، هو مصدر يرادف الفهم والمعرفة ويرادف الجزم في رأي، وهو إدراك الأشياء على حقائقها، والمقصود هو 'العلم التجريبي'، والمعنى اللغوي للجذر هنا هو المعرفة والشعور. وفي المعاجم الحديثة: "العلم إدراك الشيء بحقيقته، واليقين ونور يقذفه الله في قلب من يحب، والمعرفة ويطلق العلم على مجموع مسائل وأصول كلية تجمعها جهة واحدة، كعلم الكلام وعلم النحو، (ج) علوم وعلوم العربية: العلوم المتعلقة باللغة العربية"<sup>٢</sup>.

وفي الإصطلاح هو إدراك لأمر ما هو المعلوم ولكي يتحقق هذا العلم لا بد من الملكة، هذا يقال: "أن العلوم هو بحث ظواهر معينة لبيان حقيقتها وعناصرها ونشأتها وتطورها ووظائفها وعلاقاتها وقوانينها وهو كل نوع من العلوم والمعارف والأفكار والتطبيقات، وهي مجموعة مسائل وأصول كلية تدور حول موضوع معين أو ظاهرة محددة وتعالج بمنهج معين وينتهي إلى النظريات والقوانين"<sup>٣</sup>.

يقول الجرجاني: "العلم: هو الإعتقاد الجازم المطابق للواقع، وقال الحكماء هو حصول صورة الشيء في العقل، والأول أخص من الثاني، وقيل: العلم هو إدراك الشيء على ما هو عليه، وقيل: زوال الخفاء من المعلوم الجهل نقيضه، وقيل: هو مستغن عن التعريف، وقيل: هو صفة راسخة ندرك بها الكليات والجزئيات، وقيل

١ لسان العرب، ابن منظور، ص: ٢٦٣-٢٦٤

٢ المعجم الوسيط، ص: ٦٢٤

٣ <https://ar.wikipedia.org/wiki>

هو وصول النفس إلى معنى الشيء<sup>١</sup>. وفي نظرية علي القاسمي المصطلح العلمي هي: "عبارة عن مجموعة من الرموز اللغوية التي تدل على مفاهيم تتعلق بفرع من فروع العلم أو التكنولوجيا"<sup>٢</sup>. هذا مفهوم من هذه التعاريف اللغوية والإصطلاحية أن المصطلح العلمي هو رمز لغوي وهو يدلّ على مفهوم في مجال معرفي، والعلم هو حصول صورة الشيء في العقل.

وقد يصعب تحديد الاصطلاح العلم، لأن ' العلم ' كلمة شاملة تشمل شتى أنواع المعارف البشرية دون أن تقتصر على واحدة منها، وتفيد الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، فقد تجاذب هذا المصطلح أيدي العلماء فكل يطلقه على ما تدور أبحاثه عليه، فتعريف الحكماء يختلف عن تعريف المتكلمين. فيشير إليها الشيخ الزرقاني في كتابه مناهل العرفان في علوم القرآن: "أنه صورة الشيء الحاصلة في العقل أو حصول الصورة في العقل، أو تعلق النفس بالشيء على جهة انكشافه. وقال المتكلمون انه صفة يتجلى بها الأمر لمن قامت به، وزعم الماديون أنه ليس الا خصوص اليقينيّات التي تستند إلى الحس وحده. وقال علماء التدوين أنه المسائل المضبوطة بجهة واحدة والغالب ان تكون تلك المسائل نظرية كلية وقد تكون ضرورية وقد تكون جزئية"<sup>٣</sup>.

والمراد بكلمة العلم أكثر واضح من تعريف الدكتور محمد اسماعيل إبراهيم الذي عرفه في كتابه القرآن وإعجازه العلمي حيث يقول: "ان العلم هو العلم الطبيعي القائم على دراسة ما في الكون من مواد وعناصر وكائنات، لها خصائصها الذاتية وأنظمتها التي تحكمها من كيمياء وطبيعة وميكانيكا وغير ذلك من علوم الطب

١ التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ص: ١٢/١٢٧

٢ علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العلمي، علي القاسمي، ص: ١٩٣

٣ مناهل العرفان في علوم القرآن، الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، ص: ١/٦-٥

والرياضة والفلك وما يتضمنه ذلك من حقائق كونية، وأن العمل في إطار هذا المفهوم للعلم هو تطبيق العلم عملياً بإستعمال الأجهزة والأدوات والوسائل الأخرى الحديثة من مختبرات ومراصد وتجارب واستنباطات منطقية وغير ذلك".<sup>١</sup>

وقد ورد في موقع 'ويكي بديا' "أن العلوم هو بحث ظواهر معينة لبيان حقيقتها وعناصرها ونشأتها وتطورها ووظائفها وعلاقاتها وقوانينها وهو كل نوع من العلوم والمعارف والأفكار والتطبيقات، وهي مجموعة مسائل وأصول كلية تدور حول موضوع معين أو ظاهرة محددة وتعالج بمنهج معين وينتهي إلى النظريات والقوانين".<sup>٢</sup>

والمقصود بالعلم هنا، هو العلم التجريبي وما يتعلق به من علوم الطبيعة الموجودة في الكون مثل الفيزياء والكيمياء وطبقات الأرض وعلوم الأحياء وعلوم البحار وعلوم الفلك وغير ذلك. خلافاً عن المعارف الأخرى، العلم يركّز على التجربة، وفقاً للعلم لا يمكن قبول أي معلومات بدون تجربة، يجب اختبار كل جزء من المعرفة، والتحقق منه وفقاً لقانون العلم.

### التفسير العلمي معناه وتعريفه

فخلاصة القول إن التفسير العلمي هو فرع من فروع التفسير بالرأي، وهو يعد من خصائص التفسير في العصر الحديث. وله تعاريف شتى بين العلماء، عرفه الأستاذ أمين الخولي: بأنه "التفسير الذي يحكم الإصطلاحات العلمية في عبارات القرآن، ويجتهد في إستخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها".<sup>٣</sup> واختصر هذا التعريف

<sup>١</sup> القرآن وإعجازه العلمي، محمد اسماعيل ابراهيم، ص: ٤٤

<sup>٢</sup> <https://ar.wikipedia.org/wiki> زار الباحث هذا الموقع بتاريخ ١٥/٦/٢٠٢٠

<sup>٣</sup> التفسير معالم حياته، منهجه اليوم، أمين الخولي، ص: ١٩-٢٠

الدكتور موسى شاهين لاشين في كتابه اللآلئ الحسان في علوم القرآن، وهو يقول: "يقصد بالتفسير العلمي التفسير الذي يحكم الإصطلاحات العلمية في عبارات القرآن، ويحاول استخراج العلوم المختلفة من آياته"<sup>١</sup>. وفي رأي الأستاذ محمد الصباغ: "انه تحكيم مصطلحات العلوم في فهم الآية، والربط بين الآيات الكريمة ومكتشفات العلوم التجريبية والفلكية والفلسفية"<sup>٢</sup>.

وقد إنتقد بعض العلماء مثل الشيخ عبد المجيد الزنداني والدكتور عبد القهار العاني والدكتور صلاح الخالدي وغيرهم من هذه التعبيرات والتعريفات للتفسير العلمي، ورأوا فيها النقصان وعدم التدقق، وحاولوا لأن يجعلوه أكثر واضحاً، وعرفوه لأن التفسير العلمي هو اجتهاد المفسر لكشف الصلة بين آيات القرآن بالكون وما فيها.

هذا ما قال أحمد عطا عمر في مقالة نشرها في أحد المواقع بعنوان 'المنهج القويم للتفسير العلمي في القرآن الكريم' وهو يقول: "فجميع هذه التعريفات تصف هذا اللون من التفسير، بأنه إخضاع أو تحكيم للمصطلحات العلمية في عبارة القرآن، ولكن مع البحث نجد أن هذه التعبيرات على إطلاقها قاصرة وغير دقيقة لأنها توجي بأن الآية المراد تفسيرها، لها معنى بعيد عن المعنى العلمي الذي تفسر به، وهذا وإن صدق على بعض التفسيرات العلمية التي فيها شطحات إلا أنه لا ينطبق على جميعها. وقد سبقني إلى الإشارة إلى قصر هذه التعريفات مجموعة من العلماء والباحثين. والذي يظهر لي هنا أن التعريف الأقرب إلى الصواب أن يقال: التفسير العلمي هو اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن المتعلقة بالكون وما فيه

<sup>١</sup> اللآلئ الحسان في علوم القرآن، موسى شاهين لاشين، ص: ٣٧٧

<sup>٢</sup> لمحات في علوم القرآن، محمد الصباغ، ص: ٢٠٣

ومكتشفات العلم التجريبي على وجه يظهر به إعجاز القرآن ليدل على مصدره الإلهي وصلاحيته لكل زمان ومكان.

وقد عرفه بنحو هذا التعريف كل من: الشيخ عبد المجيد الزنداني في بحثه (المعجزة العلمية في القرآن والسنة)، والدكتور عبد القهار العاني في بحثه (التفسير العلمي معالمه وضوابطه)، والدكتور صلاح الخالدي في كتابه (البيان في إعجاز القرآن)<sup>١</sup>.

وفي تعريف آخر للتفسير العلمي لعبد الله بن عبد الله الأهدل: "هو تفسير الآيات الكونية الواردة في القرآن على ضوء معطيات العلم الحديث بغض النظر عن صوابه وخطئه"<sup>٢</sup>. وتعريف فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي هو أوضح من الآخرين وهو يقول إن المراد بالتفسير العلمي: "هو إجهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم ومكتشفات العلم التجريبي على وجه يظهر به إعجاز للقرآن يدل على مصدره، وصلاحيته لكل زمان ومكان"<sup>٣</sup>. يقول الدكتور محمد حسين الذهبي، في آراء من إتبع هذه الطريقة: "أن القرآن يشمل إلى جانب العلوم الدينية الإعتقادية العملية، سائر علوم الدنيا على اختلاف أنواعها وتعدد ألوانها"<sup>٤</sup>.

ومن المفهوم من التعاريف السابقة إن الحاجة إلى إظهار الانسجام بين العلم والدين الإسلامي قد دفعت بعض الكتاب المسلمين إلى إكتشاف العلاقة بين التطورات العلمية الحديثة والتكنولوجية والآيات القرآنية. ومن يتبع هذا المنهج يقوم على تفسير الآيات تفسيراً علمياً وفق قواعد العلم الحديث، ويبينون المضامين العلمية للآيات وفق مقررات وتحليلات العلم الحديث.

<sup>١</sup> <https://vb.tafsir.net/tafsir7818>

<sup>٢</sup> التفسير العلمي للقرآن الكريم، عبد الله بن عبد الله الأهدل، ص: ١٥

<sup>٣</sup> الاتجاهات التفسيرية في القرن الرابع عشر الهجري، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ص: ٥٩٥

<sup>٤</sup> التفسير والمفسرون، الدكتور محمد حسين الذهبي، ص: ٤١٧/٢

## أهمية التفسير العلمي

آيات الكونية في كتاب الله، يزيد عددها على سبع مائة آية صريحة بالإضافة إلى آيات أخرى عديدة تقترى دلالتها من الصراحة، والتي تشكل في مجموعها حوالي سدس آيات القرآن بالجملة، هذه الآيات لا يمكن فهمها فهما عميقا في إطارها اللغوي فقط، بل لا بد من توظيف المعارف العلمية الحديثة من أجل ذلك، لأن فهمها من الألفاظ والمعاني ما لا يقف على دلالتها إلا الراسخون في العلم، كل في حقل تخصصه، ومن هنا كانت الآيات القرآنية العديدة التي تشير إلى مستقبلية الفهم لبعض الآيات القرآنية، كما أشار إليها قول الله: "لكل نبي مستقر فسوف تعلمون"<sup>١</sup>.

وقد ازداد أهمية هذا الإتجاه بسبب التقدم العلمي، وتحديث نظريات وكشوف علمية عديدة في مختلف مجالات وميادين العلوم الحديثة: بما فيها علم الفلك، وعلم طبقات الأرض، وعلم الفضاء، والنجوم والكواكب، وعلم النفس الإنساني وجسم الإنسان، وعلم النبات، وعلم الحيوان.

إن القرآن هو معجزة النبي ﷺ الخالدة حتى يوم القيامة، بذلك عليه أن يبقى بإعجازه من جميع معناه، ويتحدى كل البشر الذين يشكون حقيقته من الله العزيز العليم، ولا يعترفون بأنه كتاب الله وإليه يشير قوله تعالى في سورة البقرة "وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين"<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> سورة الأنعام، الآية: ٦٧

<sup>٢</sup> سورة البقرة: ٢٣

والمعجزة هي حدث لا يمكن تفسيره حسب قوانين الطبيعة. وهذا الحدث إنما هو تحدٍ للبشر المعارضين لأمر الدعوة لإثبات صدقها وأنها من عند الله مثلما قال الله تعالى " قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا"<sup>١</sup>.

يشرح الدكتور زغلول النجار في كتابه قضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم: "وسبق القرآن الكريم بالعديد من الحقائق العلمية قبل وصول المعارف المكتسبة إليها هو المقصود بتعبير (الإعجاز العلمي في القرآن الكريم)؛ بمعنى أن هذا الكتاب العزيز قد سبق بالإشارة إلى عدد من حقائق الكون وظواهره التي لم تتوصل إليها معارف الإنسان المكتسبة إلا بعد قرون عديدة من نزول القرآن الكريم يزيد عددها في كثير من الأحيان عن عشرة قرون كاملة في أقل التقديرات لها"<sup>٢</sup>.

إن كان عصر نزول القرآن عصر قمة الأدب العربية في تاريخها، والعصر الراهن عصر التقدم العلمي، وأعجز القرآن جميع تحديات في عصر نزول القرآن أي فصحاء العرب ببلاغته وبقيمته الأدبية، وكذلك جميع العصور التي مر بها القرآن من بدايته حتى الآن شهدت لتحديات متنوعة من جهة نقاده عن صحته الإلهية، وفي العصر الراهن أيضا يواجه القرآن تحديات عديدة أكثر من أي عصور شهدت، هذا العصر يطرح أسئلة عديدة أمامه وتحديات جديدة خاصة من جهة العلم في آياته وموضوعاته المتعلقة بأسرار الكون وعجائبه، بذلك عليه ان يبقى معجزا وأن يستقبل كل التحديات التي تطرح أعداءه في العالم، فإنه يعجز اليوم بمعانيه

١ سورة بنى الإسراء: ٨٨

٢ قضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، الدكتور زغلول النجار: ص ١٢٨

وبالعلم الذي أودع فيه. وقال تعالى: "سنزيهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد".<sup>١</sup>

إن أزمنة التخلف والانحطاط التي عاشتها الأمتان العربية والإسلامية خلال القرون الأخيرة شاهدة للمحاولة للفصل بين المعارف بتقليد الغربيين، قسموها إلى التعليم الديني والتعليم المدني، بذلك تخلفت المجتمعات المسلمة تخلفا ملحوظا، ركز العلماء الشرعيين في تخصصاتهم من العلوم الدينية وانعزلوا عن المعطيات كلها للمعارف المكتسبة. وانعزلوا عن مجتمعاتهم كاملا، وبالمقابل تخرج علماء مدنيون قد يحققون التفوق في تخصصاتهم، ولكن لعزلتهم عن الدين لم يروا أي ربط بين الدين والعلوم المكتسبة.

وكثيرا ما يواجه الإنسان في عصر الحديث أزمة ومشاكل في الجمع بين الدراسات القرآن وتعاليم العصرية. وإليه يشير الدكتور زغلول النجار بقوله: "فالعلماء الشرعيون يرون أن معجزة القرآن الكريم هي معجزة بيانه ونظمه فقط". ولكن نفر من العلماء قاموا بالجمع بين الثقافتين الدينية والمكتسبة "فأثبتوا بالأدلة المنطقية التي لا يرفضها عاقل أن القرآن الكريم لا بد أن يكون معجزا في كل أمر من أموره: في بيانه ونظمه، في فصاحته وبلاغة أسلوبه، في كمال رسالته ودقة مضامينه؛ ..... وفي إشارته العلمية الصحيحة والدقيقة إلى الكون ومكوناته وظواهره، وإلى الإنسان وخلقته وإفنائته وبعثه، وإلى مراحل الأجنة التي يمر بها نسله، وإلى غير ذلك من حقائق الوجود".<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> سورة فصلت: الآية ٥٣

<sup>٢</sup> قضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، الدكتور زغلول النجار، ص: ١٢٨

فالقرآن حجة على العباد ولا تثبت لهم الحجة إلا إذا ثبت لهم إعجازه ولذلك لا بد أن يكون لإعجاز القرآن الكريم نواح أخرى غير النواحي اللغوية والبلاغية كما وجدت في معظم التفاسير القديمة. ويعتبر هذا الأمر من أهم وأبرز دوافع التفسير العلمي في هذه الأيام.

### الموازنة بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي

'التفسير العلمي' و'الإعجاز العلمي' مصطلحان مختلفان، لقد شاع مصطلح الإعجاز العلمي في العصر الحديث، للدلالة على أوجه إعجاز القرآن والسنة التي كشفت عنها العلوم الكونية. والقرآن الكريم ليس كتاب العلوم، ولكن إذا نظر إلى القرآن من جانب العلوم توجد كثير من الحقائق العلمية التي عبّر عنها القرآن بدقة وعمق في آياته، ولم تكن هذه الحقائق معروفة في الوقت الذي كان القرآن ينزل فيه.

في رأي الدكتور مساعد الطيار، الإعجاز العلمي المراد به: "سبق القرآن إلى الإخبار بأمور كانت غير معلومة للجيل الذين نزل عليهم القرآن، وظهرت معرفتها في هذا العصر المتأخر"<sup>1</sup>. أي إن القرآن الكريم قد سبق بالإشارة إلى عدد من حقائق الكون وظواهره التي لم تتمكن العلوم المكتسبة من الوصول إلى فهم شيء منها إلا بعد قرون عديدة من تنزل القرآن الكريم، وكذلك لم يكن ممكناً لأي من البشر إدراكها في زمن الوحي ولا لقرون عديدة من بعده.

يوجد من خلال التعريفات، أن هناك فرقاً بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي من جهة، وتوافقاً واتصالاً من جهة أخرى. أما الفرق فهو أن التفسير العلمي هو كشف

<sup>1</sup> 'تصحيح طريقة معالجة تفسير السلف في بحوث الإعجازي العلمي'، د. مساعد الطيار، مقالة منشورة في

مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد (٢) ذو الحجة ١٤٢٧ هـ

عن معاني الآية الكريمة أو الآيات أو بعضها في ضوء ما ترجحت صحته من نظريات العلوم الكونية، وهو محاولة بشرية لحسن فهم دلالة الآية القرآنية في طريق ممدوح. والإعجاز العلمي هو إخبار وإثبات سبق القرآن الكريم بالإشارة إلى حقيقة من حقائق الكون أو تفسير ظاهرة من ظواهره قبل وصول العلم المكتسب إليها، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول ﷺ. وأما العلاقة والاتصال فهي: أن التفسير العلمي طريق إلى الإعجاز العلمي وبدون التفسير العلمي لا يمكن الوصول إلى الإعجاز العلمي.

### موقف العلماء على التفسير العلمي

وقد اختلف العلماء في جواز هذا اللون من التفسير، فمنهم من يراه بابا جديدا في مسلك الدعوة، ومنهم من يرى عكس ذلك تماما حيث يرون أن هذا اللون من التفسير يضر القرآن لأنه يخرج به عن الغاية التي أنزل من أجلها، وقد كان لكل فريق حجته ودليله.

كان الإمام الغزالي المتوفي سنة ٥٠٥ هجري من الأبرز في مجال تفسير العلمي، وإنه قد بذل جهوده في ترويج هذا النوع من التفسير في الأوساط العلمية الإسلامية في القرون الوسطى. وقد ذكر الإمام الغزالي في كتابه 'جواهر القرآن' الذي ألفه بعد 'إحياء علوم الدين' عن علم الطب والنجوم، وهيئة العالم، وهيئة بدن الحيوان، وتشريح أعضائه وعلم السحر، وعلم الطلسمات وغيرها، وهو يقول: "ثم هذه العلوم ما عدناها وما لم نعدنا ليست أوائلها خارجة عن القرآن، فإن جميعها مغترفة من بحر واحد من بحار معرفة الله تعالى".<sup>١</sup>

<sup>١</sup> جواهر القرآن، الإمام أبو حامد الغزالي، ص: ٤٥

في رأي الإمام الغزالي رحمه الله لا يعرف أحد كمال معنى إصطلاحات العلمية من الآيات الكريمة إلا إذا عرف عن علم الفلك والطب والجغرافية<sup>١</sup>، وهو يقول في كتابه جواهر القرآن: "الشفاء والمرض كما قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم (وإذا مرضت فهو يشفين)<sup>٢</sup> وهذا الفعل الواحد لا يعرفه إلا من عرف الطب بكماله، إذ لا معنى للطب إلا معرفة المرض بكماله وعلاماته، ومعرفة الشفاء وأسبابه. ومن أفعاله تقدير معرفة الشمس والقمر ومنازلهما بحسبان، وقد قال الله تعالى: (الشمس والقمر بحسبان)<sup>٣</sup> وقال: (وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب)<sup>٤</sup> وقال: (وخسف القمر، وجمع الشمس والقمر)<sup>٥</sup>، وقال: (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل)<sup>٦</sup>، وقال: (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم)<sup>٧</sup>، ولا يعرف حقيقة سير الشمس والقمر بحسبان وخسوفهما، وولوج الليل في النهار، وكيفية تكور أحدهما على الآخر إلا من عرف هياكل تركيب السماوات والأرض، وهو علم برأسه"<sup>٨</sup>.

حسب رأي الإمام الغزالي أنه من المستحسن أن يدرك العلوم والمخترعات العصرية في فهم معاني القرآن فهما حقيقيا. إنه أجاز لكل إنسان أن يستنبط من القرآن الكريم بقدر فهمه وحد عقله، وأن القرآن هو البحر المحيط، ومنه يتشعب علم الأولين والآخرين.

١ التفسير والمفسرون، الدكتور محمد حسين الذهبي، ص: ٤١٩/٢

٢ سورة الشعراء: الآية ٨٠

٣ سورة الرحمن: الآية ٥

٤ سورة يونس: الآية ٥

٥ سورة القيامة: الآية ٨-٩

٦ سورة لقمان: الآية ٢٩

٧ سورة يس: الآية ٣٨

٨ جواهر القرآن، الإمام الغزالي، ص: ٤٥-٤٦

وتبعه في ذلك كثيرون، وأشهرهم الإمام فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ)، يقول الدكتور زغلول النجار: "وتفسيره 'مفاتيح الغيب' يعتبر أول تفسير يفيض في بيان المسائل العلمية والفلسفية، خاصة ما يتعلق منها بعلم الهيئة، وغير ذلك من الفنون التي كانت معروفة في زمانه، والتي كان هو على دراية بها".<sup>١</sup>

يوضح الإمام جلال الدين السيوطي في كتابه الإتيقان في علوم القرآن عن آرائه في التفسير العلمي، وكذلك يوضح في كتابه الآخر 'الإكليل في استنباط التنزيل' إنه يسوق من الآيات والأحاديث والآثار ما يستدل به على أن القرآن مشتمل على كل العلوم وهو يقول: "وأنا أقول قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شيء، أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي ما يدل عليها و فيه عجائب المخلوقات وملكوت السموات والأرض وما في الأفق وماتحت الثرى"<sup>٢</sup>. في رأي الإمام السيوطي أن القرآن يشتمل جميع أنواع من العلم. ويقرر بالإستيناد إلى قوله تعالى: "ما فرطنا في الكتاب من شيء"<sup>٣</sup>، وقوله "ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء"<sup>٤</sup>.

الدكتورة هند شلبي تبين تلخيصا عن آراء المثبتين المعتدلين للتفسير العلمي في عملها 'تفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيقات': "خاض القادمي في إعجاز القرآن فأثبتوه، وبينوا وجوهه وتباينت أقوالهم فيه، فمنهم من أكد على فصاحة اللفظ، ومنهم من أشار إلى بلاغة النظم، وآخرون نهوا إلى صدق المعاني وما فيه من إخبار بالغيب، وعمد بعضهم إلى جمع ذلك كله وجعل القرآن معجزا بها مجتمعة، لكن التركيز القدامى على البحث في الإعجاز كان على جهة النظم القرآني

<sup>١</sup> قضية الإعجاز العلمي، الدكتور زغلول النجار، ص: ٢٤

<sup>٢</sup> الإتيقان في علوم القرآن، الإمام السيوطي، ص: ١٢٩/٢

<sup>٣</sup> سورة الأنعام، الآية ٣٨

<sup>٤</sup> سورة النحل، الآية ٨٩

أو البلاغة القرآنية. ولفرط تأكيدهم على هذا الجانب ونجاحهم العجيب في دراسة مسأله تأثرت بهم الأجيال المتعاقبة فاقتفت آثارهم فيه ووقفت عند حدودهم<sup>١</sup>.

وأضافت الدكتورة قائلة: "وارتأت مجموعة من الباحثين المعاصرين أن الوقوف عند هذه المعاني لبيان جانب الإعجاز في القرآن لم يعد كافيا، ومن أبرز القائلين بذلك الشيخ محمد عبده (تفسير المنار)، والشيخ محمد الطاهر ابن عاشور (التحرير والتنوير)، والشيخ محمد متولي الشعراوي (معجزة القرآن)، ومصطفى صادق الرافعي (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية)، وعبد الرزاق نوفل (بين الدين والعلم)، والأستاذ محمد عبد الحليم أبو زيد (في مجلة الأزهر)، والدكتور بشير التركي (الله العلم). يرى هؤلاء أن من معجزة القرآن أن يكون قد ادخر للبشر من أوجه التحدي ما كان الله وحده يعلم أن البشرية ستصير اليه يعني الإتجاه العلمي"<sup>٢</sup>.

يقول مصطفى صادق الرافعي في كتابه إعجاز القرآن: "ثم إن في ذكر الآيات الكونية والعلمية في القرآن دليلا على إعجاز آخر فهو بذلك يومئ إلى أن الزمن متجه في سيره إلى الجهة العلمية القائمة على البحث والدليل، وأن الإنسانية ذاهبة إلى أرقى عصورها إلى هذا المذهب، وأن الدين سيكون عقليا، وأن العقل هو آخر أنبياء الأرض فوجود ذلك فيه قبل أن يوجد ذلك في الزمن بأربعة عشر قرنا شهادة ناطقة من الغيب لا يبقى عليها موضع شبهة"<sup>٣</sup>.

وفي ضوء حديث النبي ﷺ: "ما من الأنبياء نبي إلا أوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر. وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إليّ، وإني أرجو أن أكثرهم تابعا يوم

<sup>١</sup> تفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيقات، الدكتورة هند شلبي، ص: ٥١-٥٢

<sup>٢</sup> المصدر نفسه، ص: ٥٢-٥٣

<sup>٣</sup> إعجاز القرآن، مصطفى صادق الرافعي، ص: ١٤٦

القيامة"<sup>١</sup>، يقول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: "أن المناسبة بين كونه أوتي وحيا وبين كونه يرجو أن يكون أكثرهم تابعا لاتظهر إلا إذا كانت المعجزة صالحة لجميع الأزمان حتى يكون الذين يهتدون بدينه لأجل معجزته أمما كثيرين على اختلاف مشاربهم فيكون بذلك هو أكثر الأنبياء تابعا لا محالة"<sup>٢</sup>.

### النقد على التفسير العلمي عند العلماء

ومن العلماء من يخالف صحة التفسير العلمي كما كانت هناك إختلافات في التفسير بالرأي عندما بدأ هذا النوع من التفسير في القرون الوسطى. فقد انقسم العلماء في هذه القضية إلى قسمين، فالطريق الأول يدعم التفسير العلمي نظرا إلى أهميته في العصر المعاصر، والثاني ينقد نقدا شديدا لأنه سوف يطرح أسئلة تجاه حقيقة القرآن لأنه منزل للهداية من الله لكافة الناس. ومقصده الأصلي بنزوله أن يهدي الناس إلى سبيل الرشاد، يقول الدكتور زغلول النجار عندما يعرّف موقف المضيقين على التفسير العلمي في كتابه 'قضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وضوابط التعامل معها': "وهو الموقف الذي يرى أصحابه أن تفسير الآيات الكونية الواردة في كتاب الله، على ضوء ما تجمع لدى الإنسان من معارف هو نوع من التفسير بالرأي- الذي لا يجوز- استنادا إلى أقوال منسوبة لرسول الله ﷺ"<sup>٣</sup>. منها قوله الشريف: 'من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ'<sup>٤</sup>، و'من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار'<sup>٥</sup>.

١ التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ص: ١٢٨/١

٢ المصدر نفسه: ١٢٩/١

٣ قضية الإعجاز العلمي، الدكتور زغلول النجار، ص: ٥٧

٤ الترمذي في سننه، رقم ٢٩٥٠-٢٩٥١

٥ مسند أحمد، ص: ٢٣٣/١

أضاف إليه الدكتور زغلول النجار قائلاً: "ولقد فات أصحاب هذا الموقف أن المقصود ب(الرأي) في الحديث هو (الهُوى)، لا الرأي المنطقي المبني على الحجة الواضحة والبرهان المقبول، ويؤكد ذلك عبارة 'بغير علم' التي وردت في الحديث الثاني، هذا بغض النظر عن كون الحديثين قد إعتبروا من ضعاف السند"<sup>١</sup>.

ومن أحد كبار الناقدين من هذا المنهج من التفسير أبو إسحق إبراهيم بن موسى الشاطبي الأندلسي، وإنه ينتقد من محاولة من إتبع تفسير العلي وهو يقول "أن كثيرا من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد. فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين والمتأخرين من علوم الطبيعات والتعاليم كالهندسة وغيرها من الرياضيات والمنطق وعلم الحروف، وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها، وهذا إذ عرضناه على ما تقدم لم يصح"<sup>٢</sup>.

وفي رأي نقاد التفسير العلي أن قواعد العلوم ليست مستقرة لا قرار لها ولا بقاء، يقول الدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون: "ونقاد التفاسير العلي يقولون أن قواعد العلوم وما تقوم عليه من نظريات، لا قرار لها ولا بقاء، فرب نظرية علمية قال بها عالم اليوم، ثم رجع عنها بعد زمن قليل أو كثير، لأنه ظهر له خطأها"<sup>٣</sup>.

وفي نظرية هؤلاء النقاد إنه "لم يترك الأوائل للأواخر كبير جهد في تفسير كتاب الله، والكشف عن معانيه ومرامييه، إذ أنهم نظروا إلى القرآن بإعتباره دستورهم الذي

<sup>١</sup> قضية الإعجاز العلي، الدكتور زغلول النجار، ص: ٥٨

<sup>٢</sup> الموافقات، أبو إسحق إبراهيم بن موسى الشاطبي، ص: ٧٩/١

<sup>٣</sup> التفسير والمفسرون، الدكتور محمد حسين الذهبي، ص: ٤٣١/٢

جمع لهم بين سعادة الدنيا والآخرة. فتناولوه من أول نزوله بدراستهم التفسيرية التحليلية، دراسة سارت مع الزمن على تدرج ملحوظ، وتلون بألوان مختلفة<sup>١</sup> وهو يضيف قائلاً من آرائهم: "لا يدخل الشك فيمن يقرأ كتب التفسير على إختلاف ألوانها، أن كل ما يتعلق بالتفسير من الدراسات المختلفة قد وفاه هؤلاء المفسرون الأقدمون حقه من البحث والتحقيق، فالناحية اللغوية، والناحية البلاغية، والناحية الأدبية، والناحية النحوية، والناحية الفقهية، والناحية المذهبية، والناحية الكونية الفلسفية، كل هذه النواحي وغيرها تناولها المفسرون الأول يتوسع ظاهر ملموس، لم يترك لمن جاء بعدهم من عمل جديد"<sup>٢</sup>.

وقد توضّح مما سبق من أقوال السلف والخلف، أن هناك إختلاف بين العلماء في صحة التفسير العلمي، حيث أن هناك من يدعم هذا الإتجاه من التفسير كما أن هناك من ينتقد منه إنتقاداً شديداً ولكلا الفريقين حججهم ونظرياتهم. يعدّ هذا النوع من التفسير جزء من التفسير بالرأي. والموقف المتوسط في هذه القضية هو أنه إذا استوفى المفسر في تفسيره المعيار والشروط التي وضعها العلماء لتمييز التفاسير الممدوح من المذموم يصبح تفسيره العلمي مقبولاً وإلا فيكون مردوداً.

### القضايا المعاصرة حول إتجاهات التفسير النقلي والعقلي

التفسير بالمأثور يقتضي التجاوز إلى التفاسير العقلي في بعض الأحيان حتى يستنبط منها الفتاوى للمسائل المتعلقة بالعلوم العصرية، وخاصة في عصر ما بعد الحداثة حيث إنه عصر إنفجار العلوم والتكنولوجيا، التفسير بالمأثور هو ما نقل عن رسول

<sup>١</sup> المصدر نفسه، ص: ٤٣٣/٢

<sup>٢</sup> التفسير والمفسرون، الدكتور محمد حسين الذهبي، ص: ٤٣٣/٢

الله ﷺ مباشرة، أو عن صحابته الكرام، أو عن عاصر الصحابة من التابعين. وفي الحقيقة، أن ذلك العصر الذي عاش النبي ﷺ، وأصحابه الكرام والتابعين، وإليه يشير الدكتور زغلول النجار في كتابه قضية الإعجاز العلمي وهو يقول: "لم يكن عصر تقدم علمي كالعصر الراهن، وأنهم كانوا لا يزالون قريبي عهد بالجاهلية التي كان قد خيم فيها على العالم أجمع ركام من العقائد الفاسدة، والتصورات الخاطئة، والأفكار السقيمة، والأوهام والأساطير، ولم يسلم من الركام أحد، حتى أصحاب الحضارات البائدة"<sup>١</sup>. وهذا واضح من قراءة تاريخ حياة الإجتماعية في العصر الجاهلي، ومن سيرة النبي ﷺ أيضا.

يضيف إليه الدكتور زغلول النجار قائلا في كتابه قضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم: "فقد فات هؤلاء (معارضون التفسير بالرأي والعلمي) وهم ينادون بعدم الإجتهد بالرأي في كتاب الله والوقوف عند حدود المأثور موكلين ما لم يفسره التراث المنقول إلى الله تعالى وهو ما عرف بمنهج 'التفسير بالمأثور' أو 'التفسير بالمنقول' وأصحاب هذا الموقف فاتهم أن المقصود بالرأي هنا هو الهوى وليس الرأي المؤسس على قواعد صحيحة من حقائق الدين والعلم، خاصة أن التفسير بالمأثور لم يشمل القرآن الكريم كله، فلحكمة يعلمها الله"<sup>٢</sup>.

وفي معنى آخر أن معارضة العلماء لهذا المنهج من التفسير تأتي خاصة بخشوعهم وتقواهم في دين الله وحماية نص القرآن الكريم من الكدر ودفاع عن صفاء معاني آياته من الإختلاط الفكرية الفاسدة والقبيحة. خلال عصور انتشار الإسلام، قد دخل الكثيرون من أصحاب العقائد واللغات الأخرى إلى دين الله أفواجا، وعند

<sup>١</sup> قضية الإعجاز العلمي، الدكتور زغلول النجار، ص: ٥٩

<sup>٢</sup> قضية الإعجاز العلمي، الدكتور زغلول النجار، ص: ٦٠

إعتناقهم لم يتركوا خلفياتهم الفكرية الموروثة جميعا، ولم يتمكنوا من التخلص منها كلية بمجرد دخولهم إلى الإسلام. وكان من نتائجه ظهور الشيع والفرق والطرائق المختلفة، ومحاولة كل فرقة منها الإنتصار لرأيها بالقرآن الكريم، وعبر عن هذا الهوى ب'الرأي' فيما نسب من أقوال إلى رسول الله ﷺ وإلى عدد من صحابته وتابعيهم.

وإن عددا من العلماء المسلمين الذين أدركوا ضرورة الإجتهد في تفسير كتاب الله، حصروا إجتهدهم في مناهج محددة منها: "المنهج اللغوي" الذي يهتم بدلالة الألفاظ وطرائق التعبير وأساليبه والدراسات النحوية المختلفة، ويتميز هذا المنهج في البحث عن لغة القرآن، وعن مجازات القرآن، وعن غريب القرآن، وعن معاني القرآن، وعن مفردات القرآن، لعل عبد الله بن عباس هو أول من اعتمد على هذا المنهج في التفسير، واتبعه عدد من المفسرين وأبرز ممن برع في هذا المنهج هو جار الله الزمخشري في تفسيره 'كشاف'. و'المنهج البياني' يبين مواطن الجمال في أسلوب القرآن الكريم ودراسة اللغوي، يعدّ المفسرون مثل مجاهد بن جبر، وعكرمة وغيرهم من الذين اتبعوا منهج البياني في تأليف التفسير. و'المنهج الفقهي' الذي يركز على إستنباط الأحكام الشرعية والفقهية، مثل أحكام القرآن لأبي بكر الجصاص الحنفي، وأحكام القرآن لأبي بكر بن العربي المالكي.

وقد حاول العلماء المخلصون أن يجتنبوا عن تأويل الآيات بواسطة غير التفسير المنقول مخافة من إختلاط الأفكار الفاسدة الغير مفيدة إلى مجال علوم التفسير. صاحب كتاب التفسير والمفسرون الدكتور محمد حسين الذهبي يشير إلى هذه الحقيقة بقوله: "ولقد ظل الأمر على هذا، وبقي التفسير واقفا عند هذه المرحلة - مرحلة الركود والجمود - لا يتعداها، ولا يحاول التخلص منها، حتى جاء عصر النهضة العلمية الحديثة، فاتجهت أنظار العلماء الذين لهم عناية بدراسة التفسير

إلى أن يتحرروا من قيد هذا الركود، ويتخلصوا من نطاق هذا الجمود، فنظروا في كتاب الله نظرة<sup>1</sup>.

وإن تغييرات الزمان وحاجاتها تطلب من العلماء إعادة موقفهم في هذه القضية، ولا يمكن لأحد أن يبقى مستقرا على المنهج التفسير بالمأثور فقط، لأن التغيرات التي تقع في العالم ترفع أمام العلماء تحديات جديدة، وتطلب منهم دراسات معاصرة حول القضايا، وتدفعهم إلى إكتشاف آفاق جديدة، وجميع هذه العوامل التي تضغط عليهم ضغطا لإتخاذ الموقف الإيجابي في مجال الإجتهد وإكتشاف الأجوبة للأسئلة التي تطرح أمامهم من جهة الأعداء والأصدقاء للإسلام معا.

ومن أبرز الأخطاء والانحرافات التي وقعت في التفسير العلمي للقرآن هي تفسير الآية القرآنية تفسيراً لفظياً مختصراً، ثم ينطلق لذكر الأبحاث العلمية المستفيضة. أن هذه الطريقة تجعل التفسير خروجاً عن موضوعه الأساسي. وإخضاع نصوص القرآن الكريم لنظريات علمية غير مستقرة، هذا عمل خطير ويجعل المفسر في حرج عندما يثبت خطأ النظرية. والتوسع في التفسير العلمي بغير حاجة ولا حاجة أيضاً أمر ممنوع في التفسير العلمي. وإدراج بعض الآيات القرآنية في موضوعات لا تناسبها أمر مقبوح، والإسراف في التأويل البعيد رغبة في تلمس المطابقة بين القرآن والعلم للدفاع عن القرآن والإسلام أيضاً مكروه. وحمل العبارة القرآنية على ما وصلت إليه علوم العصر

وهذا واضح من البحث أن منهج التفسير بالرأي فتح باباً جديداً أمام العلماء لإكتشاف آفاق جديدة في تأويل القرآن حيث شاهد فنّ علم التفسير إتجاهات

<sup>1</sup> التفسير والمفسرون، الدكتور محمد حسين الذهبي، ص: ٤٣٣/٢

جديدة في العصر الحديث، منها التفسير العلمي. في رأي العلماء التفسير العلمي هو إجتهد المفسر لكشف الصلة بين آيات القرآن بالكون وما فيها. استخدموا هذا النوع من التفسير لتأويل أي القرآن المتعلقة بأسرار الكون وحقائقها، وخلق الإنسان، وبناء السماء والأرض وغيرها، وحاولوا أن يفسروا هذه الآيات على ضوء المخترعات في علم الحديث وأن يربط بين الآيات الكريمة ومكتشفات العلوم التجريبية.

ويحاول المفسر أيضا أن يكتشف الإعجاز العلمي في القرآن وإخبار الناس عن عجائب القرآن وإظهار قدرة الإلهي في خلق الكون والطبيعة. وهذا الطريق من التفسير محاولة من جهة العلماء لأن يواجه التحدي لإعجاز القرآن في العصر الحديث. والعلماء قد اختلفوا في إجازة هذا النوع من التفسير، بينهم من يدعم هذا الإتجاه ومن لا يدعم. ولكلا الفريقين براهين وحجج لتشديد رأيهم.

في رأي من يدعم للتفسير العلمي أهمية في هذا العصر لأن كتاب الله يشمل على أكثر من سبع مائة آية صريحة متعلقة بالكون، وهذه الآيات لا يمكن فهمها في إطارها اللغوي فقط، بل لابد من توظيف المعارف العلمية الحديثة. وعلى القرآن أن يبقى بإعجازه من جميع معناه في كل زمان ، وتحديدا هذا العصر من العلم لأنه في مستوى أعلاه من التقدم والتطور. والقرآن الكريم قد سبق عديدا من الحقائق العلمية قبل وصول المعارف المكتسبة إليها بعد قرون عديدة من نزول القرآن.

حقائق الكون لا تتعارض مع حقائق القرآن، يوجد بين العلماء من يمنع التفسير العلمي، والسبب يرجع إلى الخوف في الأخطاء التي قد تحدث بسبب التكلف في الفهم أو التأويل أو غير ذلك من العوامل التي تؤدي إلى الوقوع في بعض الأخطاء. وفي رأي النقاد أن قواعد العلوم ليست مستقرة لا قرار لها ولا بقاء. ولا يوجد من علماء المسلمين من منع الاجتهاد في الفقه والتفسير تاما، بينهم من يتوقف موقفا

متوسطا في قضية التفسير العلمي، في رأيهم التفسير العلمي كغيره من العلوم لا يكون ممنوعا إذا توفرت شروط التفسير فيمن يقوم به.

### أهم الكتب التي عنيت بالتفسير العلمي

وعرف البحث في هذا الموضوع بالتفسير العلمي أو الإتجاه العلمي في التفسير أو التفسير العصري. وقد ألفت مؤلفات عديدة من قبل العلماء المفسرين تعالج القضايا والمسائل المتعلقة بالتفسير العلمي وإنها تبين مواقفهم في هذا المجال، ويقوم في مقدّمة هؤلاء العلماء مثل الشيخ الطنطاوي، ومحمد الطاهر بن عاشور، وأحمد مصطفى المراغي، وصديق حسن خان القنوجي، والشيخ محمد متولي الشعراوي وسيد قطب وغيرهم.

ويحكي الدكتور الذهبي عبارة السيد عبد الرحمن الكواكبي واحد من مؤيدي هذا الإتجاه في التفسير بقوله: "وهذه مسألة إعجاز القرآن، وهي أهم مسألة في الدين، لم يقدرُوا أن يوفوها حقها من البحث، واقتصروا على ما قاله بعض السلف أنها هي فصاحته، وبلاغته، وإخباره عن أن الروم من بعد غلبهم سيغلبون"<sup>1</sup>، ويستمر بقوله أيضا "إنه لو أطلق للعلماء عنان التدقيق وحرية الرأي والتأليف كما أطلق لأهل التأويل والخرافات: لرأوا في ألوف من آيات القرآن ألوف آيات من الإعجاز..... لرأوا فيه كل يوم آية تتجدد مع الزمان والحدثان. أن العلم كشف في هذه القرون الأخيرة حقائق وطبائع كثيرة تعزى لكاشفيها ومخترعيها من علماء أوروبا وأمريكا، والمدقق في القرآن يجد أكثرها ورد التصريح أو التلميح به في القرآن منذ ثلاثة عشر

<sup>1</sup> التفسير والمفسرون، الدكتور محمد حسين الذهبي، ص: ٤٣٦/٢

قرنا، وما بقيت مستورة تحت غشاء من الخفاء إلا لتكون عند ظهورها معجزة للقرآن، شاهدة بأنهم كلام رب لا يعلم الغيب سواء"<sup>١</sup>.

ويقول محمد علي الرضائي الأصفهاني في كتابه مناهج التفسير واتجاهاته: "ومن ثم تتحدد منهجية التفسير العلمي في ثلاث اتجاهات رئيسة: الأول يهتم باستخراج كل العلوم من القرآن، والثاني يعنى بتطبيق النظريات العلمية على القرآن، والثالث يقوم على استخدام العلوم لفهم وتبين القرآن"<sup>٢</sup>.

وخلاصة القول، إن العصر الراهن يقتضي من العلماء في علوم القرآن أن يجددوا الأفكار والنظريات حتى يجعلون دراسة القرآن الكريم وآياته الكريمة أكثر فائدة وجاذبة، وعلى العلماء أن يبحثوا آفاقا جديدة بلا غلو ولا مخالفة الحدود والشروط التي وضع أصول الدين في فن التفسير خصوصا بالتفسير بالرأي.

ومن أشهر المؤلفات التي استخدمت منهج التفسير العلمي في تفسيرهم كليا أو جزئيا ما تلي:-

- الجواهر في تفسير القرآن للشيخ طنطاوي جوهرى
- التفسير الفريد للقرآن المجيد للدكتور محمد عبد المنعم الجمال
- تفسير المنار للشيخ محمد عبده ورشيد رضا
- التفسير العلمي للآيات الكونية لحنفي أحمد
- التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي
- التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور

<sup>١</sup> المصدر نفسه، ص: ٤٣٦/٢

<sup>٢</sup> مناهج التفسير واتجاهاته، محمد علي الرضائي الأصفهاني، ص: ٢٨٨

- تفسير الشعراوي للشيخ محمد متولي الشعراوي
- التفسير السهل الميسر المختار من تفاسير القرآن الكريم للدكتور أحمد إسماعيل الصباغ
- في ظلال القرآن لسيد قطب
- وكذا كتب تقدم تفسيرات علمية لكثير من الآيات على ضوء نظريات العلم الحديث
- كشف الأسرار النورانية القرآنية للإمام الفاضل محمد بن أحمد الإسكندراني
- طبائع الإستبداد ومصارع الإستعباد للسيد عبد الرحمن الكواكبي
- إعجاز القرآن لمصطفى صادق الرافعي
- الإسلام والطب الحديث للدكتور عبد العزيز إسماعيل
- البرهان لمحمود شكري الألوسي
- الإسلام والطب الحديث للدكتور عبد العزيز إسماعيل
- القرآن والعلم الحديث للدكتور عبد الرزاق نوفل
- الكتب المقدسة على ضوء العلم الحديث للدكتور مريس بوكاي
- رسالة عبد الله باشا فكري في مقارنة بعض مباحث الهيئة بالوارد في النصوص الشرعية (١٣١٥هـ)
- رياض المختار لأحمد مختار الغازي
- العلوم الطبيعية في القرآن ليوسف مروة
- أضواء من القرآن على الإنسان ونشأة الكون والحياة لعبد الغني الخطيب
- القرآن والعلم لأحمد محمود سليمان
- في سنن الله الكونية لمحمد أحمد الغمراوي
- إعجاز القرآن في علم طبقات الأرض لمحمد محمود إبراهيم
- العلوم في القرآن الكريم لعبد العزيز سيد الأهل
- محاولة لفهم عصري للقرآن لمصطفى محمود

- تفسير الآيات الكونية لعبد الله شحاتة
- الإسلام والعلم التجريبي ليوسف السويدي
- تفسير الكون والحياة لمحمد العفيفي
- الإنجيل والقرآن والعلم لموريس بوكاي
- خلق الإنسان بين الطب والقرآن لمحمد على البار

## ملخص القول

وبالجملة إن علم التفسير قد تطوّر على مر العصور حيث كان فن التفسير جزء لعلم الحديث. لأن الناس كانوا لا يحتاجون إلى تفاسير أو تأويل للآيات القرآنية حيث كان النبي ﷺ على قيد حياته. بعد عصر النبي ﷺ إتسعت الدولة الإسلامية إلى خارج حدود الدول العربية، ودخل إلى الإسلام أناس من جميع أنحاء العالم ينتمون إلى حضارات وثقافات شتى، ولما اختلفت مشاكلهم، وقضاياهم، اضطروا إلى إستنباط الأحكام من الآيات القرآنية لحلّ المشاكل وللعثور على الفتاوى، فاضطر العلماء للإجتهد والبحوث في آيات القرآن وأدت هذه المناسبة إلى تأويل أي القرآن.

برزت علم التفسير مدارس ثلاثة وهي مدرسة مكة والمدينة والعراق، وكان لكل من هذه المدارس منهج خاصّ في التفسير، فأهل العراق كانوا يفضلون منهج الرأي. وأصحاب هذا المنهج اعتمدوا على التأويل لإستنباط الأحكام من القرآن الكريم. وكانوا يعتمدون على التفسير المأثور أو المنقول أيضا.

وقد واجه العالم الإسلامي مشكلات سياسية واجتماعية واعتقادية جديدة بعد عهد الخلفاء الراشدين، نشأت بينهم فئات دينية وسياسية وأحزاب جديدة، وهؤلاء جميعا حاولوا لإكتشاف الدلائل والحجج من آيات القرآن لتقوي بها دعاياهم ومواقفهم. فهذا الذي أدّى إلى تنوع التفسير والتأويل في العصور المتأخرة حتى

صعب تمييز الجيد من الرديء. فاضطرّ العلماء أن يضعوا معيارا للتمييز بين الجيد والرديء من التفاسير. فقسموها إلى الممدوح المقبول والمذموم المرفوض.

وضع شروطا ومقاييسا لفن التفسير ووازنوا التفاسير على أساس هذه المقاييس، فالتفسير الممدوح المقبول هو ما روي عن الصحابة والتابعين بواسطة السند الصحيح، واعتبروا من الممدوح أيضا التفسير بالرأي الذي يوافق ويجمع بين المأثور الصحيح. فالمرفوض هو ما يقوم على الأهواء والبدع. فللممدوح والمذموم درجات يتفاوت بعضها عن بعض حسب إستيفاء عناصر التفسير.

ووضعوا أيضا شروطا لمن يريد إتباع منهج التفسير برأيه، وعلى المفسر أن يراعيها عند تأويل أي القرآن، مثل قبول تفسير القرآن بالقرآن، وقبول ما صح من التفسير عن رسول الله والصحابة، واعتناء عن قوانين اللغة العربية، والجري على موافقة الكتاب والسنة، والمراعاة عند إختيار المصادر والمراجع وغيرها. والتفسير بالرأي إذا لم يجر على هذه الشروط يكون مذموما غير مقبول.

فالمراد بالرأي في علم التفسير هو الإجتهد، وهو عبارة عن تفسير القرآن بالإجتهد، وهذا النوع من التفسير معروف بالتفسير العقلي والتفسير النظري أيضا لأنه يقوم على إستخدام العقل والتفكير في شرح مضامين القرآن، واستنباط الأحكام والفتاوى.

وعلى من يتبع المنهج الرأي في التفسير أن يكون له إلمام في علم الدلالة العربية، كما عليه أن يدرك أسباب نزول الآيات وكافة العناصر المتعلقة بعلوم القرآن مثل الناسخ والمنسوخ وغيره. وقد اختلف العلماء في صحة التفسير بالرأي، بينهم من أجازوه مثل الإمام الغزالي والسيوطي وغيرهم، كما بينهم من لا يجيزون هذا النوع مثل الإمام أبو اسحق الشاطبي والإمام محمود شلتوت والشيخ أمين الخولي

وغيرهم. ولكلا الفريقين من هؤلاء العلماء أدلتهم وبراهينهم. وفي رأي من أجازوا التفسير بالرأي إن باب الإجتهد لم يزل مفتوحا إلى يوم القيامة. ومن العلماء من إتخذوا موقفا متوسطا في هذه القضية حيث لم يجيزوا التفسير بالرأي تماما كما لم يقوموا معارضين عليه. وفي رأيهم التفسير بالرأي جائز لمن يقدم براهينا وحججا لتشديد رأيه.

ومن المؤلفات المشهور في هذا المجال مثل مفاتيح الغيب للرازي، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي وتفسير الجلالين للسيوطي والمحلي وغيرها. والكتب التفسير للمعتزلة وللخوارج وللشيعية ومثلها تعدد من كتب التفسير بالرأي المذموم.

التفسير العلمي هو تأويل الآيات القرآنية أو تفسيرها بما يتفق بالنظريات العلمية أو الإكتشافات الحديثة، يحاول المفسر حسب هذا المنهج أن يكتشف الإعجاز العلمي في القرآن الكريم. إختلف العلماء في صحة هذا الإتجاه من علم التفسير. بينهم من أجازوا هذا الإتجاه كما أن بينهم من لا يجيزوه، وادعوا أن القرآن يشتمل جميع أنواع من العلم، فمن المستحسن أن يكون المفسر على دراية حول العلوم والمخترعات العصرية. ومن أشهر من اتبع هذا النوع من التفسير من القرون الوسطى هو الإمام الغزالي، وفخر الدين الرازي وغيرهما، ومن العصر الحديث الشيخ مصطفى صادق الرافعي، وابن عاشور، والمرآغي وغيرهم.

ومن العلماء من ينتقد هذا النوع من التفسير حيث يرون أن هذه المحاولة ستؤدي إلى إطراح أسئلة تجاه حقيقة القرآن لأنه منزل للهداية من الله لكافة الناس، وقواعد العلوم ليست مستقرة لاقرار لها ولابقاء وهي خاضعة للتغيير. ومن كبار الناقدين لهذا المنهج مثل أبو إسحق إبراهيم بن موسى الشاطبي وغيره.

وقد وضع العلماء شروطاً لمن يريد أن يدخل إلى إتجاه التفسير العلمي ليجعل جهده ممدوحاً ومقبولاً، وأن يخلص التفسير خالياً من العلل والخطأ. ومن أهم المؤلفات في هذا النوع من التفسير مثل 'الجواهر في تفسير القرآن، والتفسير الفريد للقرآن المجيد، والتفسير العلمي للآيات الكونية' وغيرها.

وبالجملة إن تغيرات الزمان واحتياجاته تطلب من العلماء إعادة مواقفهم في هذه القضية، لأن التغيرات في العالم تعرض أمامهم مشكلات شتى تقتضي أحكاماً وفتاوى جديدة حتى يضطرون إلى إعادة النظر في التفاسير والله الموفق.

## الباب الثالث : علم الدلالة ودوره في تفسير الدلالات القرآنية

الفصل الأول : علم الدلالة معناه وتعريفه وتطوره

الفصل الثاني : علم الدلالة العربية واتجاهاته

الفصل الثالث: علم الدلالة ودوره في إشتقاق المصطلحات ومعانيها

## علم الدلالة ودوره في تفسير الدلالات القرآنية

علم الدلالة هو العلم الذي يتناول معاني الألفاظ والمصطلحات وشروحها وهو يعتبر أهم الفروع لعلم اللغة، فهو علم دراسة معنى الكلمات والجمل، وهذه الدراسة كانت موجودة منذ قديم الزمان ولكنه لم يعرف بهذا المصطلح إلا في أوائل القرن التاسع عشر للميلاد. تعتبر الدلالات ضرورية للغة، بدون الدلالات لن يكون هناك بنية حقيقية للغة. والدلالة تشرح الأنواع المختلفة من المعنى الموجود في اللغة. وقد عرفه أحمد مختار عمر في كتابه علم الدلالة بقوله: "العلم الذي يدرس المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى"<sup>١</sup>، أي هذا العلم يهتم بدراسة الشروط الواجب.

وقد قسم علماء اللغة علم الدلالة إلى عدة أقسام منها الدلالة الصوتية، والدلالة الصرفية، والدلالة النحوية، والدلالة المعجمية وغيرها. قسمه الجاحظ إلى خمسة أقسام وهي: اللفظ، والإشارة، والعقد، والخط، والحال تسمى نصبة. وقسم ابن جني الدلالة إلى ثلاثة أقسام وهي: لفظية، وصناعية، ومعنوية. أما الفارابي اعتبره فرع من فروع علم اللسان وقسمه إلى سبعة أقسام وهي: علم الألفاظ المفردة، وعلم الألفاظ المركبة، وعلم القوانين لألفاظ المفردة، وعلم القوانين لألفاظ المركبة، وعلم قوانين لتصحيح القراءة، وعلم قوانين لتصحيح الكتابة، وعلم قوانين لتصحيح الأشعار.

<sup>١</sup> علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص: ١١

## الفصل الأول: علم الدلالة معناه وتعريفه وتطوره

### الدلالة في اللغة

وقد إعتبر اللغويون العرب مثل الفارابي والجاحظ وابن جني وغيرهم الدلالات أوالمعنى فرعا من فروع علم اللغة، وفي رأيهم أن علم الدلالة يحاول دراسة التغيرات في المعنى من خلال تحليل التركيب اللغوي صوتيًا وصرفيا ومعجميا ونحويًا، مع مراعاة التحول في الاستخدام على مر العصور. وإن هذا العلم يعني بالمعنى، وموضوع هذا العلم هو المعنى، يقول الدكتور البركاوي: "ويشكل المعنى الموضوع الأساسي في علم الدلالة، سواء أكان اللفظ المفرد، أم العبارة، أم الجملة".<sup>١</sup> وعلم الدلالات أيضا يستخدم لخدمة المعنى، وهو علم الذي يدرس الشروط الواجب توفيرها في رمز لغوي ليتمكن من حمل المعنى، والمعنى هو لخدمة الدلالات، ولعلم الدلالة اهتمام أيضا بالدلالات العلنية في المعنى الخفي.

الدلالة مثلثة الدال، مصدر الفعل دل. وهو من مادة (دلل) التي تدل فيما تدل على الإرشاد إلى الشيء والتعريف به. ومعنى الدلالة الوارد في القاموس المنجد في اللغة والأعلام هو: "دَلَّ - دلالة ودلولة ودلّيلي إلى الشيء وعليه: أرشده وهداه".<sup>٢</sup> أدلّ بالطريق: عرفه. 'الدلالة ج دلائل: ما يقوم به الإرشاد، البرهان، والمرشد'.<sup>٣</sup>

يقول الإمام الرازي في كتابه 'مختار الصحاح': "و(الدليل) ما يستدلّ به والدليل الدالّ وقد (دلّه) على الطريق يدلّه بالضم (دلالة) بفتح الدال وكسرهما و(دلولة)

<sup>١</sup> في الدلالة اللغوية، د. محمد عبد الحفيظ العريان، ص: ١٨

<sup>٢</sup> المنجد في اللغة والأعلام، لويس المعلوف، ص: ٢٢٠

بالضم، والفتح أعلى. ويقال: (أدلّ) فأملّ والإسم (الدالة) بتشديد اللام<sup>١</sup>. الدلالة بفتح الدال: أفصح- من: (دل- يدل) إذا 'هدى'، ومنه دليل، ودليلي. والدليلي: العالم بالدلالة.

ومعنى الدلالة هو الهداية والإرشاد، ويقال: دله عليه الطريق يدلّه دلالة، ودلولة: سدده إليه، والمراد بالتسديد: اراءة الطريق، ودله على الصراط المستقيم: أرشده إليه، وسدده نحوه، وهده. فالمعنى اللغوي للدلالة عند القدامى الإرشاد، والهداية، والتسديد، أو التوجيه نحو الشيء.

الدلالة أعم من الإرشاد والهداية أي: المعنى المراد من الكلمة اللغوية، أو الذي تحمله الكلمة فلا دلالة للرمز اللغوي من غير أن يكون قادرا على المعنى، فالكلمة انما تقوم واقع الأمر بثلاث وظائف في آن واحد، يقول صاحب الكتاب 'علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي'، هادي نهر.

- "أنها تمثيل، أو أقل رمز للمسمى في عالمه الخارجي سواء أكان ماديا، أم معنويا، أم فكرة
- أن الكلمة قد تكون شاملة تستقطب كل أنواع المسمى فكلمة 'إنسان' تدل على مخلوق، ناطق، مفكر، ذكر أو أنثى، صغير أو كبير... إلخ
- أنها موزعة: أي إن المعنى ليس ذهنيا نظريا دائما، وإنما هو - في الغالب - محصلة توزيعية بنائية يتحدد المعنى فيها من خلال استعمالها، وانتظامها وسياقها، وعلاقتها بكلمات أخرى داخل التركيب المعين، أو ما يسمى

<sup>١</sup> مختار الصحاح، أبوبكر الرازي، ص: ٢١٨/١

بالسياق – Context Linguistic وملاحظة سياق الحال – Context  
."Situation".<sup>1</sup>

ومن المفهوم من هذه التعاريف أن علم الدلالة يعتبر فرعاً من فروع علم اللغة، وفي اللغة هو علم يركز على دراسة معاني الكلمات، وتغيراتها على مر الزمان، وتحولاتها في الاستخدام عبر العصور. وفي الأصل معنى الدلالة هو الإرشاد، وتسديد الطريق، والهداية.

### علم الدلالة في الإصطلاح

علم الدلالة (Semantics / Semasiology) هو فرع من فروع علم اللغة، والغرب كانوا يعتبرونه جزء من أجزاء علم البلاغة في قديم الزمان، حتى قام العالم اللغوي الفرنسي ميشال برايل (Michel Breal). في أواخر القرن التاسع عشر، بنشر كتاب باسم..... ("Essai de semantiq Science des significations") وهو الذي وضع مصطلحاً خاصاً للإشارة إلى هذا الفرع الجديد بمصطلح *semantique* أو علم الدلالة في الفرنسية. وهو يشرح معنى مصطلح "دلالات" (Semantics): علم المعاني، من كلمة "دلالة" (denote)، على عكس "الصوتيات" (Phonetics)، علم أصوات الكلام".<sup>2</sup>

يقول لغوي آخر بولاخووسكي (L. Bhulakhovsky): "علم الدلالة كفرع من علم اللغة يهتم بمعنى الكلمات والتعابير والتغييرات التي تطرأ عليها".<sup>3</sup>

<sup>1</sup> علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، هادي نهر، ص: ٢٣-٢٤

<sup>2</sup> *Introduction to semantics*, Adam Schaff, PP.3

<sup>3</sup> *Introduction to semantics*, Adam Schaff, PP.5

يقول صاحب الكتاب ' علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية ' عن المصطلح ' علم الدلالة': "والمصطلح مشتق من الأصل اليوناني Semantike المؤنث، ومذكر Semantikos اي يعنى، ويدل مصدره كلمة Sema وتعني ومعنى إشارة"<sup>١</sup>.

وقد وضع برايبيل خطة خاصة لهذا الفن الجديد بعد إخراجه من أجزاء علم اللغة، يقول آدم شاف في كتابه 'المدخل إلى علم الدلالة' (*Introduction to semantics*) على لسان برايل بقوله: "كانت إرادتي إعطاء مخطط عام، ورسم تقسيم عام، وكما كان الحال، خطة مؤقتة لمجال لم يتم دراسته حتى الآن، والذي يجب أن يكون نتيجة للعمل لأجيال عديدة من اللغويين، بذلك القارئ مطلوب لإعتبار هذا الكتاب مقدمة بسيطة للعلم الذي أقترحه للتسمية بالدلالات"<sup>٢</sup>.

وقد بين برايبيل وظيفة علم الدلالة دراسة حول معاني الكلمات وتفتيشا لدلالاتها وهو يقول: "نقترح التفتيش في كيفية حدوث تلك الكلمات، إذا تمت إنشائها ومنحتها بمعنى معين، يوسع هذا المعنى أو يتعاقد عليه، وينقله من مجموعة من المفاهيم إلى أخرى، يرفع قيمته أو يخفضه، في كلمة تحدث التغييرات"<sup>٣</sup>. وأنه قد أشار إلى أن علم الدلالة هو العلم الذي يهدف إلى بنية عملية التغيرات في معاني الكلمات وأسبابها كما يهدف التوسع وتقلص المعاني، ونقل المعاني، والارتفاع وتدهور قيمتها.

يقول الدكتور إبراهيم أنيس: "وإن كان معنى المصطلح يختلف عند بريل عن معناه الآن، إذ إقتصرت دراسته على الناحية التاريخية الإشتقاقية للألفاظ، كأن تقارن الكلمة بنظائرها في الصورة والمعنى، حتى يتسنى إرجاعها إلى أصل معين، تفرع إلى

<sup>١</sup> علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، الدكتور فريد عوض حيدر، ص: ١٢

<sup>٢</sup> *Introduction to semantics*, Adam Schaff, PP.3

<sup>٣</sup> *Introduction to semantics*, Adam Schaff, PP.4

عدة فروع في لغة واحدة أو أكثر، وقد اهتمت دراسة بريل هذه، يبحث الدلالة في ألفاظ تنتمي إلى لغات قديمة في الفصيلة الهندية الأوربية مثل اليونانية، والسندسكريتية واللاتينية<sup>١</sup>. وتعد دراسات العالم اللغوي برايل نقطة تحول في هذا المجال، ولها أهمية كبرى في دراسات المعنى.

وقد قسم برييل منهج البحث في علم الدلالة إلى مذهبين: فالأول فيهما "عمل فيه على تحديد المعاني عبر تتبع تاريخي، والثاني وهو المهم، وعمل فيه على استخراج القوانين الكامنة وراء تغيير المعاني وتحولها"<sup>٢</sup>. هكذا قد ساهم برايل مساهمة قيمة في تشكيل علم الدلالة وتطوره حتى استقل هذا الفن عن علوم البلاغة في الغرب.

ومصطلح Semantics هو فرنسي أصلاً، واقتضته الإنجليزية على أيدي اللغويين، وإليه يشير 'بالمر'<sup>٣</sup> Palmer: "يعد مصطلح علم الدلالة إضافة حديثة في اللغة الإنجليزية، وكانت هذه الكلمة، تعني التنبؤ بالغيب، في القرن السابع عشر"<sup>٤</sup>. إذن فمصطلح Semantics قد أصابه تغير دلالي عن طريق الانتقال الدلالي من الدلالة على التنبؤ بالغيب إلى المعنى الإصطلاحي الجديد، المنتهي إلى حقل علم اللغة، واستخدم فيه أول ما استخدم للإشارة إلى تطور المعنى وتغييره.

وقد عرف الشريف الجرجاني (٧٤٠-٨١٦هـ) عالم من أصحاب علم الدلالة مصطلح 'علم الدلالة'، بقوله: "الدلالة هي كون الشيء بحالة، يلزم من العلم به، العلم بشيء آخر، الشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول"<sup>٥</sup>. وكيفية دلالة اللفظ على المعنى

<sup>١</sup> دلالة الألفاظ، الدكتور إبراهيم أنيس، ص: ٧

<sup>٢</sup> اللسانيات والدلالة، منذر عياشي، ص: ٢٤

<sup>٣</sup> Frank Robert Palmer (1922-2019), a British Linguist.

<sup>٤</sup> Semantics Second Edition, F.R. Palmer, Cambridge, University Press, 1981, P. 1

<sup>٥</sup> تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي، ص: ٢٨/٤٩٧-٤٩٨

باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص وإشارة النص واقتضاء النص. وهذا معنى عام لكل رمز إذا علم كان دالا على شيء آخر. وترتبط دلالة لفظ 'الدلالة'، في الاصطلاح بدلالته في اللغة، حيث انتقلت اللفظة من معنى الدلالة على الطريق، وهو معنى حسي، إلى معنى الدلالة على معاني الألفاظ، وهو معنى عقلي مجرد. وقسمها علماء العرب إلى ثلاثة أقسام:

- دلالة طبيعية
- دلالة وضعية (عرفية)
- دلالة عقلية (منطقية)

ويبين محمد على الفاروقي التهانوي هذه الأقسام الثلاثة في كتابه كشف إصطلاحات الفنون فهو يعرف عن الدلالة الطبيعية: "هي إحداث طبيعة من الطبائع، سواء أكانت طبيعة اللفظ، أم طبيعة المعنى أو طبيعة غيرهما، وعروض الدال عند عروض المدلول، كدلالة "إح، إح" على السعال، أصوات الهائم عند دعاء بعضا بعضا. وصوت إستغاثة العصفور عند القبض عليه... فالرابطة بين الدال والمدلول هنا هو الطبع"<sup>١</sup>.

والدلالة الوضعية عنده: "هي كون اللفظ بحيث يفهم منه المعنى العالم بالوضع - سواء كان بسماعة أو بمشاهدة الخط الدال عليه أو بتذكره"<sup>٢</sup>. إنها سميت كذلك لأن العقل يعتمد في فهم الدلالة على العلاقة المصطلح عليها بالوضع، بين الدال والمدلول، لأن الوضع "إضافة بينهما، أي جعل اللفظ بإزاء المعنى، على أن المخترع

<sup>١</sup> كشف اصطلاحات الفنون، محمد على الفاروقي التهانوي، ص: ٢٨٦

<sup>٢</sup> المصدر نفسه، ص: ٢٨٦

قال إذا أطلق هذا اللفظ فافهموا هذا المعنى"<sup>١</sup>. ومعظم ألفاظ اللغة العربية تدخل تحت هذه الدلالة أي الدلالة الوضعية.

والدلالة العقلية: "هي دلالة يجد العقل بين الدال والمدلول علاقة ذاتية، ينتقل لأجلها منه إليه، والمطلوب بالعلاقة الذاتية إستلزم تحقق الدال في نفس الأمر تحقق المدلول فيها مطلقا، سواء كان إستلزام المعلول للعللة، كإستلزام الدخان للنار أو العكس وكإستلزام النار للحرارة، أو إستلزام أحد المعلولين (الحرارة والدخان) للآخر، فإن كليهما معلولان للنار"<sup>٢</sup>.

يوجد هناك رابطة عقلية منطقية بين الدال والمدلول، قائمة على الاستنتاج المنطقي العقلي، المعتمد على الإدراك الذهني للعلاقة المطردة بين الظواهر المتلازمة كالدخان مع الحرارة والسحاب الداكن الكثيف مع المطر.

<sup>١</sup> كشف اصطلاحات الفنون، محمد علي الفاروقي التهانوي، ص: ٢٨٨

<sup>٢</sup> المصدر بنفسه، ص: ٢٨٦

## الفصل الثاني: علم الدلالة العربية واتجاهاته

كان علماء اللغة العربية ومؤلفوها يعالجون مفهوم علم الدلالة ووظائفه خلال مؤلفاتهم في مجالات مختلفة بما فيها علم المنطق والفلسفة وعلم التفسير وعلم اللغة وعلوم الشرعية وعلم النحو والصرف وغيرها، وإنهم كانوا يقومون بمناقشة حول دلالات الكلمات ومعانيها في مؤلفات شتى منذ قديم الزمان، ولكن هذا العلم كان جزء من أجزاء علم اللغة حتى أصبح فنا مستقلا في العصور المتأخرة.

وكانت تعلم العلوم اللغوية العربية تعتبر ضرورية للتبحر في فهم العلوم الشرعية أيضا، وتأثرت العلوم اللغوية العربية بعلوم الدين وخضعت لتوجيهاتها. واللغويون بنوا أحكامهم على أصول دراسة القرآن والحديث والقراءات. إهتم علماء الأصول بدراسة المعنى ووضعوا قواعدا وأصولا لإستنباطه، وقد كان قسما كبيرا من كتب الأصوليين في الدلالات ركزت على مشاكل الآيات القرآنية وإعجازها وتفسير غريبها واستخراج الأحكام الشرعية منها. كان العلماء في الفقه والأصول ركزوا على الدراسات التي تدور حول الألفاظ ومعانيها.

يشير الدكتور عبد الله جاد الكريم في مقالة له نشرت على موقع ويب إلى نشوء علم الدلالة في العصر الحديث: "يؤكد عادل الفاخوري أنه ' ليس من مبالغة في القول إن الفكر العربي استطاع أن يتوصل في مرحلته المتأخرة إلى وضع نظرية مستقلة وشاملة يمكن اعتبارها أكمل النظريات التي سبقت الأبحاث المعاصرة. فالأبحاث الدلالية في الفكر العربي التراثي، لا يمكن حصرها في حقل معين من الإنتاج الفكري بل هي تتوزع لتشمل مساحة شاسعة من العلوم. هذا التلاقح بين هذه العلوم النظرية واللغوية هو الذي أنتج ذلك الفكر الدلالي العربي، الذي أرسى قواعد تعد الآن من المنطلقات الأساسية لعلم الدلالة وعلم السيمياء على السواء، بل إنك لا

تجد كبير فرق بين علماء الدلالة في العصر الحديث وبين علماء العرب القدامى الذين ساهموا في تأسيس وعي دلالي مهم، يمكن رصده في نتاج الفلاسفة واللغويين وعلماء الأصول والفقهاء والأدباء، فالبحوث الدلالية العربية تمتد من القرون الثالث والرابع والخامس الهجرية إلى سائر القرون التالية لها، وهذا التاريخ المبكر إنما يعني نضجاً أحرزته العربية واصله الدارسون في جوانبها<sup>1</sup>.

لقد حاول الكثير من اللغويين العرب لتعريف "علم الدلالات والمعنى" كفرع من علم اللغة. لاحظ البعض هو العلم الذي يدرس الشروط التي يجب توفيرها في الرمز اللغوي من أجل أن يكون قادراً على حمل المعنى. وأكد البعض على أهمية دلالات علنية (الظاهرة) على المعنى الخفي (الكامنة). وقد عرّفها الآخرون على أنها فرع علم اللغة الذي يحاول دراسة التغيرات في المعنى من خلال تحليل البنية اللغوية، صوتياً وصرفياً ومعجمياً ونحوياً، مع مراعاة التحول في الاستخدام.

وقد اختلف علماء اللغة العربية في تعاريفهم لهذا الفرع الجديد لعلم اللغة حيث أن بعضهم يرونه علم الدلالات، كما يرون البعض الآخر علم المعنى، ومنهم من يستخدمون 'السيمانطيقية (assimantik) للدلالة على هذا العلم الجديد مستنبطاً من الكلمة الإنجليزية (Semantics).

يرى اللغويون العرب أن معاني الكلمات تتغير وفقاً لتغيير موضع الكلمات في الجملة، وأن هذا التغيير لا علاقة له بالترادف، ولكنه يعيدنا إلى تطوير الدلالات والاستخدام. أما الفرق بين الدلالات والمعنى، فهو أن الدلالات هي التغيرات التي تحدث في المعنى. وللمراجع أهمية في دراسة تغيرات المعنى، عند اللغويين مراجع

<sup>1</sup> مدخل إلى علم الدلالة، الدكتور عبد الله جاد الكريم [www.Shomosnews.com](http://www.Shomosnews.com)

وطرق لتبيين التطورات والتغيرات التي تحدث في المعنى، وللغويين العرب أيضا مراجع لإكتشاف التغيرات والتطورات، ولتسهيل الدراسة، قد قسموا المرجع اللغوي (دلالات) إلى أربعة أقسام: مرجع معجمي، مرجع صوتي، مرجع نحوي، مرجع صرفي.

الأول منها مرجع معجمي، تعتبر دراسة المعنى المعجمي أول خطوة للحديث عن الكلمة ودلالاتها. يقول حلبي خليل في كتابه الكلمة دراسة لغوية ومعجمية: "دراسة المعنى المعجمي تشكل قطاعا عريضا وأساسيا من علم المعاجم (Lexicology)، ولذلك يعتبر علماء المعاجم أن دراسة المعنى المعجمي هو الهدف الأول لهذا العلم"<sup>١</sup>. تحمل الكلمات المعجمية المعنى الأصلي لأي كلمة، قبل أن تشهد أي تغييرات في كلمات اللغة، أو أي زيادة في الحاجة (أو أي احتياجات ماسة) لجذب معنى جديد لبعض الكلمات القديمة. تحتوي "القواميس" - التي تعني 'معاجم' باللغة العربية - على معاني الكلمات بدون ملاحظة إلى التغييرات التي تم وقوعها في الفترة السابقة، والتي تخضع بالطبع للتغيير. دراسة الدلالة المعجمية تتصل بثلاثة فروع انبثقت عن علم اللغة الحديث وهي: "علم الدلالة (Semantics)، وعلم المفردات (Vocabulary)، وعلم المعاجم (Lexicology)"<sup>٢</sup> وهذه العلوم الثلاثة تهتم بدراسة الكلمة دراسة دلالية، وللدلالة المعجمية سمات وخصائص، حددها أصحاب علم اللغة الحديثة إلى ثلاثة أقسام وهي: عام، ومتعدد، وغير ثابت. ومن خلاصة القول للدكتور فريد عوض من كتابه:

<sup>١</sup> الكلمة دراسة لغوية ومعجمية، الدكتور حلبي خليل، ص: ١٠٥

<sup>٢</sup> المصدر نفسه، ص: ١٠٣

١. "عام: للكلمة معنى عام في المعجم، ذلك لأنها ليست في سياق محدد، إذا السياق هو الذي يحدد هذا المعنى العام ويقيده .

٢. متعدد: أما كون معنى الكلمة متعدد في المعجم، ذلك لأنها تصلح للدخول في سياقات متعددة، فيعطيها كل سياق معنى، ومن استخدامها في النصوص العربية القديمة والحديثة تكتسب هذا التعدد.

٣. غير ثابت: أن دلالة الكلمة تتعرض للتغيير، فيصحبها التعميم أو التخصيص أو الإنتقال، وقد تسمو دلالتها وقد تنحط وهذا التغيير يدرسه علماء اللغة تحت ما يسمى بالتغير الدلالي (Semantic Change/Semantic Shift)"<sup>١</sup>.

فمعجم تاج العروس يمثل المعاجم القديمة، وإنه يسجل الدلالات العربية القديمة، وأما المعجم الوسيط يتمثل الجيل الجديد حيث إنه يسجل الدلالات الجديدة والحديثة.

والمرجع الثاني لعلم الدلالة العربية هو 'المرجع الصوتي' والمراد به الدلالة الصوتية يقول محمد علي الخولي في كتابه معجم علم اللغة النظري: "الدلالات المستمدة من طبيعة بعض الأصوات، فإذا حدث إبدال-أو إحلال- صوت منها في كلمة بصوت آخر، في كلمة أخرى، أدى ذلك إلى اختلاف دلالة كل منهما عن الأخرى، ويعرف هذا الإحلال الصوتي في علم اللغة الحديث بالتوزيع التقابلي ( Contrastive Distribution)، حيث يحل صوت محل آخر في كلمة ما فتنشأ كلمة ذات معنى مختلف"<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> خلاصة من قول الدكتور فريد عوض حيدر، علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، ص: ٥١

<sup>٢</sup> معجم علم اللغة النظري، محمد علي الخولي، ص: ٥٩

قسم اللغويون العرب وعلماء الدلالة المرجعية الصوتية إلى فئتين:

أولاً: الصوتيات التي تميز كلمة عن كلمة أخرى، كما في "صدّ" و "سد"، مع مراعاة أن نطق الصوت 'س' أسهل من 'ص' وكلمة 'صد' ينقل القوة بينما 'سد' ينقل السهولة والراحة. مثلاً "الجنود صد هجوم العدو" هذا يشير إلى القوة في العمل، و "سدّ الصبي الباب" يشير إلى 'إغلاق الباب' وهي سهولة العمل. ابن جني يعرض أمثلة ويقول: "خضم وقضم"، فالخضم لأكل الرطب، كالبطيخ والقثاء، وما كان نحوهما من المأكول الرطب. والقضم للصلب اليابس، نحو قضمت الدابة شعيرها، ونحو ذلك، وفي الخبر قد يدرك الخضم بالقضم، أي قد يدرك الرخاء بالشدّة، واللين بالشطف".<sup>١</sup>

ثانياً: النغمة والتجويد اللذان يعطيان أهمية لأي قول، ولن نفهم المعنى الحقيقي بدون إدراك دلالات صوت التنغيم أو علامة الترقيم في القراءة أو الكتابة، وإلى هذه الحقيقة يشير الدكتور كمال بشر في كتابه علم اللغة العام (الأصوات): "التنغيم هو إعطاء القول الأنغام (Pitches) المناسبة والفاصل أو الفواصل (Juncture) المناسبة، وهذا المصطلح يدل على ارتفاع الصوت وانخفاضه في الكلام ويسمى أيضاً موسيقى الكلام".<sup>٢</sup>

يضيف إليه الدكتور كمال بشر: "والواقع أن التنغيم هو أهم وسيلة للتفريق بين حالي الإثبات والإستفهام".<sup>٣</sup> يضرب الدكتور فريد مثلاً من القرآن الكريم إنه يقول:

<sup>١</sup> الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، ص: ١٥٧/٢

<sup>٢</sup> علم اللغة العام (الأصوات)، الدكتور كمال بشر، ص: ١٦٣

<sup>٣</sup> علم اللغة العام (الأصوات)، الدكتور كمال بشر، ص: ١٦٣

"أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله"<sup>١</sup>، رغم وجود همزة الإستفهام في أول هذا الجزء من الآية، فإنه يحتاج إلى تنعيم القارئ نغمة الإستفهام، فيسهم التنعيم، في إيضاح الدلالة المقصودة، ولو لم يستخدم القارئ التنعيم المطلوب هنا، لضعف معنى الإستفهام، وقد يفوت على بعض المستمعين أن هذا موضع استفهام<sup>٢</sup>.

والمرجع الصرفي هو الثالث من مراجع علم الدلالة العربية لأن لصيغ الصرفية دور مهم في معاني الكلمات ودلالاتها، وإليه يشير الدكتور حلبي خليل: "الوظائف الصرفية للكلمة وهي المعاني المستفادة من الأوزان والصيغ المجردة"<sup>٣</sup>. ويشير الدكتور فريد إلى هذا الجانب بقوله: "الأسماء تدل دلالة صرفية عامة على المسعى، ومعنى ذلك أن التسمية هي وظيفة الإسم الصرفية، والأسماء تخلو من الدلالة على الزمان، ويدخل ضمن الأسماء المصدر واسم المصدر، واسم المرة والهيئة، والدلالة الصرفية للصفات هي الدلالة على موصوف بالحدث، ودلالة أسماء الإشارة وضمائر التكلم والخطاب هي الدلالة على الحضور، وضمائر الغائب وأسماء الموصول دلالتها الصرفية على الغياب. وتدل الظروف دلالة صرفية على الظرفية الزمانية أو المكانية، ويدل الفعل بصفة عامة دلالة صرفية على الحدث والزمن، وعند تقسيمه إلى ماض ومضارع وأمر، فإن الأفعال جميعها، تشترك في الدلالة على الحدث، غير أنها تختلف في الدلالة من حيث الزمان، فالماضي يدل على الإنقطاع الزمني، والمضارع يدل على الحال حقيقة، وعلى الإستقبال مجازاً، والأمر يدل على الإستقبال، فإذا زيد في المبني الصرفي للفعل، بدخول حروف الزيادة عليه، أضافت

<sup>١</sup> سورة المائدة، الآية: ١١٦

<sup>٢</sup> علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، الدكتور فريد عوض حيدر، ص: ٣٣-٣٤

<sup>٣</sup> الكلمة دراسة لغوية ومعجمية، الدكتور حلبي خليل، ص: ٢٩

إلى دلالاته، دلالات فرعية أخرى، فمزيد الثلاثي بحرف يأتي بثلاثة أوزان، أفعل وفعل وفاعل، ولكل زيادة دلالة جديدة، علاوة على دلالة الفعل على الحدث والزمن<sup>١</sup>.

مثلاً: لتمييز معنى الكلمتين استغفار، إستنصار والتي تعني "اطلب المغفرة" و "اطلب المساعدة" على التوالي، لا يكفي البحث عن الكلمة في القاموس، ولكن يجب البحث عن الصيغة 'أ' و 'س' و 'ت'.

المرجع النحوي هو الرابع من المراجع، يقول الدكتور فاضل محمد الساقى في كتابه أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة: "الدلالة المحصلة من استخدام الألفاظ، أو الصور الكلامية في الجملة المكتوبة، أو المنطوقة على المستوى التحليلي أو التركيبي، ويطلق عليها أيضا الوظائف النحوية، أو المعاني النحوية"<sup>٢</sup>.

ويكمل بناء الجملة وعلم الدلالة بعضها البعض، وتطور الزمني للكلمة هو التغيير في استخدام كلمات اللغة من وقت لآخر، وقد حاول اللغويون العرب لتحديد هذا التعديل والتحول في المعنى، والدلالة النحوية في اللغة العربية تنقسم إلى قسمين:

فالأول 'دلالة نحوية عامة'، يقول الدكتور فريد عوض حيدر: "هي المعاني العامة المستفادة من الجمل والأساليب بشكل عام، مثل دلالة الجمل والأساليب على الخبر أو الإنشاء، وعلى الإثبات أو النفي، والتأكيد، والطلب من استفهام، وأمر ونهي، وعرض، وتحضيض وتمن، وترج ونداء وشرط، وذلك باستخدام الأدوات التي تؤدي

<sup>١</sup> علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، الدكتور فريد عوض حيدر، ص: ٣٥-٣٦

<sup>٢</sup> أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، الدكتور فاضل محمد الساقى، ص: ٢٠٩

دلالة الجملة أو الأسلوب، وأنت تعلم أنه ليست المعاني النحوية كلها تتم عن طريق استخدام الأدوات".<sup>١</sup>

الوظائف النحوية العامة (الدلالات النحوية) تحصل في الأغلب الأعم باستخدام الأدوات، يقول الدكتور فريد: "دلالة الإستثناء مستفادة من أداة الإستثناء (كل شيء هالك إلا وجهه)، ودلالة التوكيد مستفادة من أداة التوكيد (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات..)، ودلالة الظرفية مستفادة من حرف الجر (عليّ في البيت)، الدلالة المعية مستفادة من واو المعية (سرت والنيل)، ومن هنا تأتي أهمية توضيح دلالة هذه الأدوات في المعجم باعتبارها مورفيمات حرة (Free Morphemes)، أي أنه يعتبر كلمة مستقلة".<sup>٢</sup> وقد أحسن علماء المعاجم في تناول دلالات هذه الحروف في معاجمهم بتجهيز بابا خاصا لها مثل الفيروزابادي يخصص بابا في آخر القاموس المحيط، بعنوان "باب الألف اللينة".

دلالة نحوية خاصة هي معاني الأبواب النحوية مثل باب الفاعل، وباب المفعول، وباب الحال.. إلخ "فكل كلمة مفردة تقع في باب من هذه الأبواب تقوم بوظيفة الباب نفسه"<sup>٣</sup>، مثلا كل كلمة تقع فاعلا تدل على الفاعلية، أي إنها تقوم بوظيفة باب الفاعل، وكل كلمة تقع مفعولا تدل على المفعولية، وكل كلمة تقع تمييزا تقوم بوظيفة التفسير والبيان، ويمكن التمييز بين كلمات اللغة عن طريق هذه الدلالات المحددة لهذه الأبواب، بعضها يصلح أن يقوم بوظيفة الفاعلية، وبعضها لا يصلح أن يقوم بهذه الوظيفة، مثلا: الأسماء والصفات والضمائر التي تقع فاعلا في الجملة، أما لاتصلح الظروف والأدوات أن تقوم بوظيفة الفاعل.

<sup>١</sup> علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، الدكتور فريد عوض حيدر، ص: ٤٣

<sup>٢</sup> المصدر نفسه، ص: ٤٤

<sup>٣</sup> أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، الدكتور فاضل محمد الساقى، ص: ٢١٣

فخلاصة القول ان لنظام الجملة وترتيبها أهمية في كشف دلالات الكلمات ومعانيها، يقول الدكتور فريد: "فلو قلنا 'الإنسان هل فوق يعيش سطح القمر كاملا عاما'" فإن السامع لا يستطيع فهم المعنى المراد، من هذا القول؛ لإختلاف الترتيب، وكذلك فإن الوظيفة النحوية للكلمة، تختلف باختلاف موقعها داخل الجملة غالبا(لو قلت: أعطى الوالد ابنه تفاحة، فإن الوالد هنا هو الفاعل، ودلالته النحوية هنا هي الفاعلية، والإبن هنا يقع موقع المفعول، ودلالته هنا على المفعولية، وإذا عكست موقع الوالد والإبن لأعطى كل واحد منهما في التركيب الجديد دلالة نحوية عكس الدلالة الموجودة في التركيب الأول)".<sup>1</sup>

### أهمية السياق في دلالات الكلمات والمصطلحات

الدلالة السياقية هي: "البيئة اللغوية التي تحيط بالكلمة أو العبارة أو الجملة، وتستمد أيضا من السياق الإجتماعي، وسيقاق الموقف وهو المقام الذي يقال فيه الكلام بجميع عناصره، من متكلم ومستمع، وغير ذلك من الظروف المحيطة، والمناسبة التي قيل فيها الكلام. والكلمة عندما توجد في جملة أو عبارة، فهي في سياق لغوي، وعندما تقال هذه الجملة أو هذه العبارة في مقام معين، أو موقف اجتماعي محدد فإنه يمثل سياقها الإجتماعي؛ مثلا كلمة 'توليد' عندما توضع في السياقات الثلاثة الآتية:

- إن التوليد من أهم عوامل النمو اللغوي (الكلمة تتبع المجال الدلالي اللغوي لأن المتحدث هنا لغوي)

<sup>1</sup> علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، الدكتور فريد عوض حيدر، ص: ٤٧

- إن التوليد من المهام الإنسانية الصعبة (الكلمة تتبع المجال الطبي لأن المتحدث هنا طبيب)
- إن التوليد يعد أهم عوامل استمرار التيار (الكلمة تتبع المجال الدلالي الكهربائي لأن المتحدث هنا مهندس كهرباء)<sup>١</sup>

فتوضح من الأمثلة السابقة أن الدلالة السياقية تمتاز بأنها دلالة محددة في الأغلب الأعم بخلاف الدلالة المعجمية التي توصف بأنها متعددة وعامة، وغير ثابتة. ومن اللغويين من يقول أن الكلمة هي الإشارة في اللغة، تشير بعض الإشارات إلى المعنى بطريقة مباشرة، تسمى هذه 'دلالة الإشارة'.

فالدلالة الإشارة، يقول سيف الدين الأمدي في كتابه 'الإحكام في أصول الأحكام': "هي دلالة إلزامية لمعنى اللفظ، لم يكن السياق لأجلها، لكنه يعلم بالتأمل في معنى اللفظ؛ إذ يحتاج الوقوف عليها إلى تأمل؛ فهي لازم للمعنى الذي سيق الكلام لأجله، والحكم يؤخذ من إشارة اللفظ، لامن اللفظ"<sup>٢</sup>. أي إن قائل الكلام لم يقصد هذا المعنى المستفاد عندما أورد اللفظ، لكن هذا المعنى المستفاد لازم للفظ، سميت هذه الدلالة بالإشارة، لأنها تابعة للكلام، وليست هي ذات الكلام، كما أن المتكلم قد يفهم من إشارته وحركته في أثناء كلامه ما لا يدل عليه نفس اللفظ، فيسمى إشارة.

الدكتور ربيع أحمد في مقالته 'ثلاثون مثالا على دلالة الإشارة' المنشورة في أحد مواقع ويب، إنه يقول مثلا: "وعندما أقول 'حدث' يستلزم هذا أن يكون 'محدث' وهذا المعنى المستفاد (كلمة محدث) لم يدل عليه اللفظ نفسه (كلمة حدث)، لكنه يستلزمه؛ فما من حدث إلا وله محدث. وعندما أقول: كتاب، يستلزم أن يكون

<sup>١</sup> علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، الدكتور فريد عوض حيدر، ص: ٥٦

<sup>٢</sup> الإحكام في أصول الأحكام، سيف الدين الأمدي، ص: ٦٤/٣

هناك كاتب، وهذا المعنى المستفاد (كلمة كاتب) لم يدل عليه اللفظ (كلمة كتاب) بنفس صيغته، لكنه يستلزمه؛ فما من كتاب إلا وله كاتب<sup>١</sup>. وكذلك هناك كلمات عديدة مثلا: كلمة 'فعل' يستلزم وجود 'فاعل'، وكلمة 'مخلوق' يستلزم وجود 'خالق'.

ومثلا قوله تعالى من سورة النساء: "( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ) عبارة النص: يا أيها الناس، اتقوا ربكم الذي أوجدكم من نفس واحدة، وإشارة النص: خلق الله لنا يستلزم قدرته علينا. وقوله تعالى من سورة آل عمران: (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ)، دلت الآية بعبارتها على أن الأصل في الحكم في الإسلام الشورى، وهذا المعنى يستلزم وجوب إيجاد طائفة من الأمة تستشار في أمرها؛ إذ لا يمكن مشاوره كل فرد من أفراد الأمة، وهذا المعنى غير مقصود من سياق الآية، فتكون دلالتها عليه بالإشارة<sup>٢</sup>.

وتشير الأخرى بطريقة غير مباشرة، يفصلها الدكتور فريد عوض في كتابه وهو يقول: "رؤية السحاب الداكن الكثيف في السماء يعطي دلالة على قرب نزول المطر، هذا مما يخاطب البصر. ومما يخاطب الأذن، سمع تلاميذ المدرسة لجرس مدرستهم، يعطيهم دلالة على بدء اليوم الدراسي أو انتهائه. ولمخاطبة الأنف: إذا شم رائحة زكية تملأ الجو في الربيع يعطي دلالة على وجودك بالقرب من حديقة مزهرة.

ومما يخاطب حاسة الذوق، ذوقك الطعام المطبوخ تستطيع به أن تميز نضجه من عدمه وذوقك الشراب المحلى يعطيك دلالة على درجة وجود السكر فيه. ومن

<sup>١</sup> ثلاثون-مثالا-على-دلالة-الإشارة، الدكتور ربيع أحمد، مقالة المنشورة على موقع

<https://www.alukah.net/sharia> تاريخ الإضافة: ٢٠١٤/٧/١٧. وزار الباحث هذا الموقع بتاريخ

٢٠٢٢/٠٦/٢٨

<sup>٢</sup> المصدر نفسه

الخطاب باللمس عندما يمسح الوالد على رأس ابنه فإن الإبن يفهم دلالة هذه الحركة على العطف والحب".<sup>١</sup>

ودلالة التراكيب (Idioms) هي التراكيب أو التعبيرات الاصطلاحية، يقال أنها لا يفهم معناها من معاني مفرداتها، ومن العلاقات النحوية القائمة بينها. فالواحد من هذه التراكيب يختلف معناه عن المعنى الكلي لأجزائه، لا يستطيع لأحد فهم دلالة الكلمة من أصواتها ومقاطعها في حالة تفرقتها، ولا يستطيع فهم دلالة التراكيب من مفرداتها متفرقة، وفي موقف التعلم، أنها كل لا يتجزأ، والتركيب خاضعة للتغير الدلالي، و'توسيع الدلالة' هي من أهم التغير الدلالي للتراكيب الإصطلاحية.

مثلا قوله تعالى: (ولما سقط في أيديهم: الأعراف/١٤٩)، يقول أبو عبيدة: "يقال لكل من ندم وعجز عن شيء ونحو ذلك. 'سقط في يده' معنى هذا أن التركيب تركيب اصطلاحى لأن دلالته على معنى الندم والعجز لاتفهم من معاني مفرداته 'سقط'، 'في'، 'يده'، ولا من تعليق أوله بثانيه، وثالثه تعلق الفعل المبني للمجهول بنائب فاعله، وثانية بثالثه تعلق الجار بمجروره".<sup>٢</sup>

وكذا يرى تراكيب كثيرة مثل: (حتى تضع الحرب أوزارها: محمد/٤)، و'قضى نحبه' و'قامت الحرب على ساق'، 'عبث به الدهر'، 'شق فلان العصا'، 'عريض الوساد'، 'ألقى عصاه'، 'فلان ابن ابيه'، 'معترك المنايا'، 'لا يرفع العصا عن عاتقه'.

وقد توضح مما ذكر أعلاه، أن علم الدلالة له أهمية كبرى في دراسة معنى الكلمات والألفاظ، وهو علم يتم به تحليل المعنى، وهناك محاولات مستمرة من جانب

<sup>١</sup> علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، الدكتور فريد عوض حيدر، ص: ٢٢

<sup>٢</sup> المصدر نفسه، ص: ١١٤

اللغويين منذ القدم لإستكشاف أسرار هذا العلم، كما حاول الجميع حسب طاقتهم ومستوى معرفتهم لتبيين هذا العلم واكتشاف تعاريفه. خلال بحوثهم فوجدوا أن الكلمة تكسب المعنى المراد منها في طرق مختلفة، وقد بينوا هذه الطرق حتى تساعد لفهم معنى الكلمة. وإنّ اللغة خاضعة للتغير، ولتغير المجتمع تأثير في تغير اللغة، ضروريات الحياة المتجددة تكون سببا لتغير المجتمع، في رأي علماء اللغة إن أسباب تغير اللغة كثيرة منها إجتماعية، وثقافية، ولغوية، وتاريخية. واللغة إجتماعية، تنمو اللغة باحتياج أتباعها إليها، وتتغير دلالة الألفاظ بتغير الظروف الإجتماعية والثقافية.

## الفصل الثالث: علم الدلالة ودوره

### في اشتقاق المصطلحات ومعانيها

أهمية علم الدلالة ليست مقصورة على كونه جزءاً من أجزاء علم اللغة أو فرعاً من فروعها بل أهميته تمتد إلى دوره في مجالات مختلفة حيث تساهم مساهمة قيمة في اشتقاق الألفاظ والمصطلحات الحديثة وله علاقة وثيقة بعلم الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع، وإلى هذه الحقيقة يشير الدكتور فتح الله أحمد سليمان بقوله: "لا تقتصر أهمية علم الدلالة (Semantics) على كونه جزءاً من علم اللغة أو فرعاً من فروعها، أو لأنه يعد العامل الأساسي في الوصول إلى تحديد دقيق للتطور الدالي التاريخي للألفاظ، بل إن أهميته تتخطى كل ذلك إلى الحد الذي يصبح فيه هذا العلم ذا أهمية كبيرة لدى المناطق، والفلاسفة، وعلماء النفس، وعلماء الاجتماع".<sup>١</sup>

على الرغم من ارتباط واتصال بين هذه العلوم، هناك تمايز بينها، لأن كل علم منها له سماته، وخصائصه، ومنطقاته، وكذلك هنا إختلافات النظرة، والتناول، والهدف، والوسيلة في دراسة دلالة الكلمة والمعنى.

إن علم الدلالة هو دراسة المعنى في اللغة ودراسة معنى التعبيرات اللغوية كما أشار إليه الباحث في الفصل الأول. إن اللغة تستخدم التعبير عن المعاني التي يمكن أن يفهمها الآخرون. ولكن المعاني موجودة في أذهان الشخص، ويمكنه التعبير عما توجد في أذهانه عبر أشكال المنطوقة والمكتوبة من اللغة، وكذلك من خلال الإيماء والإجراء.

<sup>١</sup> مدخل إلى علم اللغة، فتح الله أحمد سليمان، ص: ٧

يتم دراسة الأساليب الصوتية للغة على مستوى علم الأصوات (Phonology) ، ويتم دراسة تنظيم الكلمات والجمل على مستوى علم الصرف والنحو. ويتم تنظيم هذين بدورهما بطريقة يمكن لأحد أن يعبر أفكاره ذات معنى أو استقباليها وفهمها على مستوى علم الدلالات (semantic) .

فواضح مما سبق أن علم الدلالة (semantic) يقوم بتحليل اللغوي كما يقوم بتحليل المعنى. وهذا المستوى هو أكثر تجريداً للتحليل اللغوي، حيث لا يمكن لرؤية أو ملاحظة المعنى كما يمكن مراقبة الأصوات وتسجيلها، يرتبط المعنى ارتباطاً وثيقاً بالقدرة البشرية على التفكير منطقياً والتفهم عقلاً. وعندما يحاول أحد لتحليل المعنى، فهو يحاول لتحليل أفكاره وما فهم من دلالات الكلمة أو المصطلحات.

### تكوين المعنى ومناهجه في علم الدلالة

تعتبر الألفاظ كالجسد في علم الدلالة كما تعتبر دلالاتها كالأرواح، فلا دلالة بدون ألفاظ، ولا ألفاظ بدون دلالات، فالكلمة تعبر عن معناها، ودور علم الدلالة هو فهم المعنى المقصود للكلمة أي معرفة روح اللفظ. إن كريم نذري باغة يقول في مقالته الإنجليزية 'مقدمة وجيزة لعلم الدلالة' ( A short Introduction to Semantics): "ولاتزال الفلاسفة في محاولة مستمرة لإكتشاف جواب للسؤال عن ماهية الدلالة منذ قرون. وكلما يحاول، يبدأ تفكيرهم من مسألة العلاقة بين الكلمات والأشياء التي تمثلها الكلمات. على سبيل المثال، إذا سأل أحد: ما معنى كلمة بقرة، أو قطة، أو فيل.... إلخ؟ أحد الإجابات هو أنها تشير إلى حيوان له خصائص معينة، تميزه عن الحيوانات الأخرى، التي يطلق عليها أسماء أخرى.

من أين تأتي هذه الأسماء ولماذا تعني هذه الكلمات على هؤلاء الحيوانات فقط ولا شيء آخر؟ يقول بعض المفكرين أنه لا توجد علاقة أساسية بين هذه الكلمات

والحيوانات التي تشير إليها الكلمات، ولكننا أنشأنا هذا الارتباط عن طريق التقاليد وبالتالي لا يزال كذلك. قد يقول البعض الآخر أن هناك بعض السمات الأساسية لتلك الحيوانات التي ندركها في أذهاننا وأن مفهومنا لهذه الحيوانات قد تم إنشاؤه والذي ننشئ له كلمة مقابلة<sup>1</sup>.

ووفقًا لهذه الفكرة السابقة، هناك تطابق أساسي بين أصوات الكلمات ومعانيها، مثل كلمات التي تشير إلى أصوات الحيوانات والحشرات وغيرها وقد يسهل تصور أشياء المنسوبة إلى الأصوات، ولكن ليس من السهل عكس إدراك ما تعني من دلالات الكلمات التي ذكرت أعلاه، ولا يوجد شيء في صوت الكلمات للإشارة إليها، فمثلا الأطفال الصغار في مرحلتهم الأولى من السن يدركون ويتوضح لهم الإتفاق بين الصوت والمعنى، ولذا كثيرا ما نجدهم يطلقون أصوات الحيوانات للإشارة إليها، لأنهم يسمعونها تنتج هذه الأنواع من الأصوات.

وكريم نزري باغة يضيف قائلا في مقالته: "أشار في حوار أفلاطون (Plato) هناك فكرة أن الكلمات في لغة تتوافق مع أو ترمز إلى الأشياء الحقيقية في العالم، ومع ذلك، فإنه ينطبق على بعض الكلمات فقط. هذه الحقيقة تؤدي إلى الرأي الذي يحمله المفكرون اللاحقون، بأن معنى الكلمة ليس هو الكائن الذي تشير إليه، بل مفهوم الكائن الموجود في الذهن. كما أشار دي سوسور<sup>2</sup> (de Saussure)، فإن العلاقة بين كلمة (دالا) ومفهوم (مدلول) هي علاقة تعسفية، أي أن الكلمة لا تشبه المفهوم. عندما يحاول تحديد معنى كلمة، يقوم بذلك باستخدام كلمات أخرى. لذا

<sup>1</sup> A short introduction to Semantics, Article published by Karim Nazari Bagha, Journal of Language Teaching and Research, Vol.2 No. 6, pp. 1411-12, November 2011. (ISSN 1798-4769)

<sup>2</sup> Ferdinand de Saussure (1857-1913), a Swiss Linguist and Semiotician, Considered as one of the founders of 20<sup>th</sup> century linguistics and one of two major founders of semiotics/semiology (en.m.wikipedia.org).

إذا حاول شرح معنى "الطاولة"، يحتاج إلى استخدام كلمات أخرى مثل "أربعة" و "أرجل" و "خشب" وهذه الكلمات بدورها لا يمكن تفسيرها إلا عن طريق كلمات أخرى<sup>1</sup>.

وللدراسة عن الكلمة ومعناها في علم الدلالة طرق عند اللغويين، يقول دادانغ دهرمون في مقاله 'علم دلالة القرآن: الماضي والفرصة في المستقبل' (SEMANTICS OF THE QUR'AN: THE PAST AND OPPORTUNITY IN THE FUTURE): "كارل. سي. رايسينغ (Karl. C. Reisig) ، هو الشخص الذي ضمّن دراسة المعنى كجزء من علم اللغة في عام ١٨٢٥م، ادعى أن علم اللغة يتكون من ثلاثة أشياء:

- علم أصل الكلمة: دراسة عن أصل الكلمات (Etymology)
- علم النحو والإعراب: دراسة عن الجملة (Syntax)
- علم تطور معاني الألفاظ (علم الدلالات): دراسة تاريخ وتطور معاني الألفاظ (Semasiology)

في رأي 'رايسينغ' يتكون علم اللغة من 'دراسة أصل الكلمات'، و'دراسة الجملة'، و'دراسة تاريخ معاني الألفاظ'، هذه هي ثلاث مراحل للبحث، ويتم إجراء هذه المراحل الثلاثة معا عند وقت فهم معنى الكلمة. على سبيل المثال: عند العثور على كلمة جديدة عليها أن تمر على خطوات ثلاثة:-

الأولى: الفهم، هو العثور على أصل الكلمة سواء من اللاتينية أو العربية أو السنسكريتية أو غيرها. ثم معرفة معنى كلمة في لغتها الأصلية. هذه هي دور علم أصول الكلمات (Etymology)

<sup>1</sup> A Short Introduction to Semantics, Karim Nazari Bagha: Journal of Language Teaching and Research Vol. 2, No. 6, pp. 1412, November 2011, ACADEMY PUBLISHER Manufactured in Finland

الثانية: هو إيجاد المعنى الحالي للكلمة بالنظر إلى استخدامها في الجمل. وقد عرف ذلك دور بناء الجملة (Syntax).

الثالثة: بعد اتمام المرحلة الثانية، من المعروف تلقائيًا أن معنى الكلمة قد تغير بالفعل. في هذه المرحلة يلعب علم الدلالات دوره (Semasiology) <sup>١</sup>.

يشير الدكتور فتح الله أحمد سليمان إلى أهمية دراسة الدلالات في مقدمة كتابه مدخل إلى علم الدلالة: "يعد المبحث الدلالي في المفردات ودلالاتها من أهم الفروع التي يبحثها علم اللغة: Linguistics، وإذا كان علم اللغة يدرس الكلمة من جوانب أربعة، هي: بناء الكلمة، وبناء الجملة، والأصوات، والدلالة، فإن هذا الجانب الرابع هو الأكثر الأهمية، من حيث إنه يجمع الجوانب الثلاثة الأخرى في إطار واحد، كي تكون خادمة له، من أجل إفراز معنى ما، يتمخض عن تحليل البنية اللغوية للجملة" <sup>٢</sup>.

### الإشتقاق والتغير الدلالي في توليد المعنى

تتطور اللغة العربية وتزداد مفرداتها كل يوم، فهي في نمو مطرد وثروتها في ازدياد مستمر، وهذا يفعل عوامل عديدة، وتمتلك اللغة العربية مجموعة من القواعد اللازمة لتكوين الألفاظ والمصطلحات منها الإشتقاق، وهو يساعد لتوليد الألفاظ الجديدة. الإشتقاق في اللغة: هو "مأخوذ من الفعل شَقَّقَ، ومصدره: الشق، فتقول: شققت العود شقا، والشق هو اصدع البائن وقيل غير البائن" <sup>٣</sup>، في المنجد في اللغة

<sup>1</sup> Semantics of the Quran: The Past and opportunity in the Future, Dadang Darmawan, Advances in Social Science, Education and Humanities Research (ASSEHR) volume 137, Page: 114

<sup>٢</sup> مدخل إلى علم اللغة، فتح الله أحمد سليمان، ص: ٥

<sup>٣</sup> الإشتقاق ودورها في نحو اللغة، سوهير حفيان، ص: ٥

والأعلام: "إشتق الكلمة من الكلمة: أخرجها منها، نحو 'اشتق ضرب من الضرب'"<sup>١</sup>. وفي الإصطلاح: هو أخذ كلمة من كلمة أخرى بتغيير ما، مع التناسب في المعنى، ونزع لفظ من آخر، يقول صبيحي صالح في كتابه: "توليد لبعض الألفاظ من بعض، والرجوع بها إلى أصل واحد يحدّد مادتها ويوحى بمعناها المشترك الأصيل مثلما يوحى بمعناها الخاص الجديد"<sup>٢</sup>.

وموضوع علم الإشتقاق هو معرفة دلالات الألفاظ وارتباطها ببعض، وذلك بالرجوع إلى أصول معانيها المستنبطة، وللإشتقاق ثلاثة أنواع في اللغة العربية وهي: الإشتقاق الصغير، والإشتقاق الكبير والإشتقاق الأكبر.

أما الإشتقاق الصغير يسمى أيضا الأصغر، عرّفه ابن جني بقوله: "فالصغير ما في أيدي الناس وكتيبهم، كأن تأخذ أصلا من الأصول فتتقراه فتجمع بين معانيه، وإن اختلفت صيغته ومبانيه، وذلك كتركيب (س ل م) فإنك تأخذ منه معنى السلامة في تصرفه نحو سلّم ويسلم، وسالم، وسلمان، وسلعى، والسلامة، والسليم: اللذيع، أطلق عليه تافؤلا بالسلامة، وعلى ذلك بقية الباب إذ تأولته، وبقية الأصول غيره"<sup>٣</sup>. أصبح الإشتقاق الصغير عامة في اللغة العربية، سمي بذلك أيضا بالإشتقاق العام بين اللغويين المعاصرين في اللغة العربية،

والإشتقاق الكبير يعرفه ابن جني: "الإشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثية فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك عنه رد بلطف الصيغة

<sup>١</sup> المنجد في اللغة والأعلام، ص: ٣٩٦

<sup>٢</sup> دراسات في فقه اللغة، صبيحي صالح، درار العلم للملايين، ص: ١٧٤

<sup>٣</sup> الخصائص، ابن جني، ص: ١٣٤/٢

والتأويل إليه كما يفعل الإشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد<sup>١</sup>. ويبين الدكتور علي نوفل في أطروحته التي قدمها إلى جامعة جوهريال نهر بنودلبي: "وهو توليد كلمة من كلمة أخرى بتغيير مواضع حروفها مثل (شرب) نوّلد منها: برش، شبر، بشر، ريش، رشب. وهكذا تنقلب اللفظة الثنائية الأحرف إلى صورتين، والثلاثية إلى ستة صور، والرباعية إلى أربع وعشرين صورة، والخماسية إلى مئة وخمسين صورة"<sup>٢</sup>.

والإشتقاق الأكبر هو اتفاق كلمتين في حرفين من حروفهما، واختلافهما في الثالث مع وجود صلة بينهما بالمعنى. مثل: كدّ وكدح، قصّ وقصم، نعق ونهق. وهو يسمى الإبدال أيضا، يقول عبد القادر المغربي: "وهو أن يكون بين اللفظين تناسب في المعنى والمخرج نحو 'نعق' و'نهق'، المعنى متقارب: إذ هو في كل منهما الصوت المكروه والممقوت وليس بينهما تناسب في اللفظ لأن في كل من الكلمتين حرفا لا يوجد نظيره في الكلمة الأخرى، غير أن لفظين اللذين اختلفا فيهما أعني العين والهاء متناسبان في المخرج فإن مخرجهما الحلق، ولذلك سمي هذا الضرب اشتقاقا أكبر أي أبعد عن الإشتقاق الصغير من أخيهما الثالث المسمى بالكبير"<sup>٣</sup>.

هذا واضح من البحث إن الإشتقاق طريق من طرق اللغة العربية لتوليد الكلمات والمصطلحات، وموضوع علم الإشتقاق هو الرجوع إلى أصول معاني الألفاظ. وللإشتقاق أنواع ثلاثة مهمة، ولكل نوع من أنواع الإشتقاق ميزاته وخصائصه، ومن بين أنواع الإشتقاق 'الصغير' عامة في اللغة لأنه في أيدي الناس وفي كتبهم، و'الكبير'

١ الخصائص، ابن جني، ص: ١٣٤/٢

٢ المصطلحات العربية الناشئة مقابل نظائرها الانجليزية واستخداماتها - دراسة تحليلية، الدكتور علي نوفل،

جامعة جوهريال نهر بنودلبي، ص: ١٥

٣ الإشتقاق والتعريب، عبد القادر بن مصطفى المغربي، ص: ١٨

هو توليد كلمة من كلمة أخرى بتغيير مواضع حروفها، و'الأكبر' هو إتفاق كلمتين في حرفين واختلاف في الثالث، بين الكلمتين صلة بالمعنى.

### التغير الدلالي (Semantic Change/Semantic Cheft) في التوليد المعنوي

التغير الدلالي هذا مصطلح من مصطلحات علم الدلالة الحديث، "وهو عبارة عن تركيب وصفي يدل على حدث موصوف خال من الدلالة على الزمان، ويطلق هذا المصطلح على تغير معنى الكلمة على مر الزمن بفعل إعلاء أو انحطاط أو توسع أو انحسار أو مجاز، أو نحو ذلك".<sup>1</sup> التغير الدلالي هو منهج من مناهج علم الدلالة الحديثة، ويطلق هذا المصطلح على تغير معاني الكلمات على مر الزمان إما أن تكون توسع المعاني، وتقلص المعاني، ونقل المعاني، وارتفاع وتدهور قيمتها.

الأسباب التي تؤدي إلى تغيير دلالتها كثيرة منها: الأسباب اللغوية والتاريخية والثقافية والنفسية والاجتماعية، والمراد بالأسباب الاجتماعية والثقافية ما تتعرض لها من تغيرات وتحولات كثيرة، وما تناله المجتمع من ثقافات وتجارب جديدة، وكل هذه التغيرات، تؤثر كثيرا في دلالات الألفاظ، وفي حياتها أو موتها. ولتغير الدلالي أشكال هي: تخصيص الدلالة أو تضيق الدلالة (Narrowing of meaning)، وتعميم الدلالة أو توسيع الدلالة (Widening)، وانتقال الدلالة، وارتقاء الدلالة، وانحطاط الدلالة.

### تضيق الدلالة (Narrowing of meaning)

وهو أن يضيق معنى الكلمة بمرور الزمان، فتتحول دلالتها من معنى كلي إلى معنى جزئي، أو يقل عدد المعاني التي تدل عليها أي أن الكلمة أصبحت بالتخصيص دالة على بعض ما كانت تدل عليه من قبل. يقول الدكتور أحمد مختار: "أنه نتيجة

<sup>1</sup> معجم علم النظري، محمد علي الخولي، ص: ٢٥٠

إضافة بعض الملامح التمييزية للفظ، فكلما زادت الملامح لشيء ما قل عدد أفراده"<sup>١</sup>. هذه ظاهرة في مجال المصطلحات العلمية، حيث تجرد الكلمة من دلالتها المتعددة، لكي تدل على معنى معين في بيئة علمية خاصة: والدكتور فريد عوض حيدر يبين مثلاً:

● "كلمة أمر: وهي تعني في بيئة الحاسبات " بيان بعملية يطلب إلى الحاسب تنفيذها" والكلمة كانت عند العرب بمعنى الطلب وهو ضد النهي وهذا معنى عام، ثم أصابه التخصيص لأنه يدل على طلب محدد وموجه إلى الحاسب الآلي خاصة.

● المأتم: كان يطلق على النساء إذا اجتمعن في خير أو في شر، ويطلق الآن في الاجتماع في مصيبة الموت خاصة.

● كلمة الحريم: كانت تطلق على كل محرم لا يمس، وهي الآن تطلق على النساء خاصة.

● الركعة: كانت تطلق على كل قومة من القيام ثم استعملت في الشروع للدلالة على هيئة مخصوصة في الصلاة.

وكذلك في اللغة الانجليزية كلمة (meat) قديماً كانت تدل على مطلق الطعام ثم تطورت إلى (meat) في الانجليزية الحديثة لتدل على اللحم فقط"<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> علم الدلالة، الدكتور أحمد مختار، ص: ٢٤٦

<sup>٢</sup> علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، الدكتور فريد عوض حيدر، ص: ٧٥-٧٦

## توسيع المعنى (Widening)

يعني تحويل الدلالة من المعنى الجزئي إلى المعنى الكلي، وهو عكس اتجاه التخصيص، وبه تصبح الكلمة تدل على عدد من المعاني، أكثر مما كانت تدل عليه من قبل، أو تدل على معنى أعم من معناها الأول، والتعميم هو أقل أثرا في تطور الدلالات وتغيرها، ويرى الدكتور أحمد مختار عمر "أن هذا الشكل على قدم المساواة في الأهمية مع تضيق المعنى"<sup>١</sup>.

والدكتور فريد عوض حيدر يقول: "إذا استثنينا المصطلحات، لأن معظمها يقوم على التخصيص الدلالي وقلما نجد من بينها مصطلحا اتى بتوسيع الدلالة ويمكن تفسير تعميم الدلالة بأنه عبارة عن إسقاط لبعض الملامح التمييزية للفظ. فكلية الزراعة جامعة القاهرة تدل دلالة خاصة على كلية معينة وإذا أسقطت الملامح التمييزية المتمثلة في إضافتها الزراعة وجامعة القاهرة أصبحت الكلمة مجردة من جميع الملامح التمييزية ولذلك فهي تدل دلالة عامة على أي واحدة من كليات أي جامعة"<sup>٢</sup>. ومثلا:

- "كلمة الورطة: بمعنى الهلاك وأصل معناها "الوحد تقع فيه الغنم فلا تقدر على التخلص وقيل أصلها أرض مطمئنة لا طريق فيها يرشد إلى الخلاص ثم استخدمت في كل شدة.
- الرافضة: أطلقت في الأصل على "فرقة من شيعة الكوفة، ثم استعمل هذا اللقب في كل من غلا في هذا المذهب وأجاز الطعن في الصحابة.

<sup>١</sup> علم الدلالة، الدكتور أحمد مختار عمر، ص: ٢٤٣

<sup>٢</sup> علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، الدكتور فريد عوض حيدر، ص: ٧٦-٧٧

- الراوية: كان العرب يطلقونها على البعير الذي يستقى عليه، ثم أطلقت على كل دابة تستخدم في الاستسقاء، ثم حدث لها توسيع آخر حين أطلقت على راوي الحديث وراوي اللغة.
- الناضح: أصل دلالته على البعير الذي يحمل عليه الماء لسقى الزرع لأنه ينضح العطش أي يبيله بالماء، ثم وسعت دلالته فاستخدم للدلالة على كل بعير، حمل الماء أو لم يحمله وفي الحديث "أطعمه ناضحك" أي بعيرك.
- كلمة 'البأس': "قال ابن سيده: البأس الحرب ثم كثر حتى قيل لبأس عليك... أي لا خوف"<sup>١</sup>. وأصله الشدة في الحرب، ثم استعمل للدلالة على كل شدة.
- "وكلمة 'Bridde' في الإنجليزية القديمة بمعنى الطائر الصغير، ثم صارت هذه الكلمة 'Bird' وأصبحت تدل دلالة عامة على كل طائر"<sup>٢</sup>.
- كلمة 'العقلية': في الأصل هي المرأة الكريمة النفيسة، ثم استعمل في الكريم من كل شيء من الذوات والمعاني، "فاستخدم في عقائل الكلام، وأطلق على الكرائم من الإبل، وعلى درر البحر وكرائم مال الإنسان"<sup>٣</sup>.

## انتقال الدلالة

هو "يعتمد على وجود علاقة مجازية، قد تكون علاقة مشابهة، عن طريق الإستعارة (Metaphor) أي استخدام الكلمة في غير معناها الأصلي لوجود هذه العلاقة، وقد تكون علاقة غير المشابهة وتأتي عن طريق المجاز المرسل (Motonymy) بعلاقاته

<sup>١</sup> لسان العرب، ابن منظور، ٢٠/٦

<sup>٢</sup> علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، الدكتور فريد عوض حيدر، ص: ٧٨

<sup>٣</sup> علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، الدكتور فريد عوض حيدر، ص: ٧٧-٧٨

المختلفة، ويسمى هذا المعنى غير الأصلي للكلمة بالمعنى المجازي ( Transferred Meaning)، أي المحول عن طريق المجاز<sup>١</sup>. مثلاً

كلمة البيت: "للدلالة على المسكن ثم أطلق على بيت الشعر، سمي الأخير، على الإستعارة بضم الأجزاء (أجزاء التفعيل) بعضها إلى بعض على نوع خاص كما تضم أجزاء البيت، في عمارته على نوع خاص"<sup>٢</sup>.

كلمة الرجز: "بمعنى العذاب، وأطلق في القرآن الكريم، على الصنم في قوله تعالى (والرجز فاهجر<sup>٣</sup>) فسمى باسم سببه"<sup>٤</sup>.

كلمة السماء: "في أصل اللغة كل ما علاك وأطلقت على المطر في قوله: إذا سقط السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضاباً"<sup>٥</sup>.

### إرتقاء الدلالة

سمي بمصطلح التغير المتسامي، وهو اتجاه في التغير الدلالي، "الكلمات التي تدل في الأصل على معان وصيغة أو ضعيفة نسبياً أو عادية، إلى كلمات تدل في نظر المجتمع، على معان أرفع وأشرف، أو أقوى وهو محول يرتبط بالقيم الإجتماعية، وقد يرتبط بتغير المسمى نفسه إلى حالة أرق مما كان عليه"<sup>٦</sup>. مثلاً:

١ المصدر نفسه، ص: ٧٩

٢ المصباح المنير(بيت)، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي القيومي، ص: ٢٧

٣ سورة المدثر، الآية ٥

٤ علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، الدكتور فريد عوض حيدر، ص: ٨٠

٥ المجاز والقرآن الكريم، الدكتور عبد العظيم المطعني، ص: ٢١٥/١

٦ دراسة المعنى عند الأصوليين، حموده طاهر سليمان، ص: ١٩١

كلمتا ملاك ورسول: "أتى عليهما عهد، كانتا تطلقان في اللغة على أي شخص، يرسل في مهمة مهما كان شأنها، ثم أصبح لها مكانة سامية"<sup>١</sup>.

## انحطاط الدلالة

هذا عكس لإتجاه رقي الدلالة، يقول الدكتور فريد في كتابه: "وهو يعبر عن ضعف دلالة اللفظ في الأذهان، وفقدان مكانتها في المجتمع عندما تستخدم في غير موضعها، فهناك ألفاظ تبدأ حياتها بأن تعبر في قوة عن أمر شنيع أو فظيع حتى إذا طرقت الأذان فزع المرء لسماعها، وأحس أنها أقوى ما يعبر عن تلك الحال، ثم تمر الأيام وتشيع تلك الألفاظ، ويكثر تداولها بين الناس، وهم عادة مشغوفون في كلامهم بالإسراف والمغالاة، فيستعملونها في مجال أضعف من مجالها الأول، وهنا تنهار القوة التي في الدلالة الأولى، ويصبح اللفظ بعد شيوعه مألوفاً لا تخيف دلالاته ولا تفزح لها النفوس"<sup>٢</sup>.

وهذا ملحوظ أن أكثر الكلمات من هذا الإتجاه، "هي الألفاظ المتعلقة بالتعبير عن النواحي الجنسية، ونحوها، مما يثير مشاعر الخجل، وكذلك الألفاظ المعبرة عن الطبقيّة والألقاب التي تشير إلى مكانة اجتماعية معينة"<sup>٣</sup>. والكلمات التي تشعر الخجل لإرتباطها بأشياء مستقدرة مثل استعمال كلمة الحمام بدلاً من دورة المياه.

وكذلك مثلاً للألفاظ المعبرة عن الطبقيّة، كلمة 'الحاجب' تستخدم في الأندلس الإسلامية، لتدل على منصب يعادل رئيس الوزراء، أصبحت تدل الآن على البواب.

<sup>١</sup> علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، الدكتور فريد عوض حيدر، ص: ٨٤

<sup>٢</sup> علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، الدكتور فريد عوض حيدر، ص: ٨٥

<sup>٣</sup> المصدر نفسه: ص ٨٦

وكذا كلمة وزير العربية، عندما انتقلت إلى الإسبانية لم تعد تدل على أكثر من شرطي<sup>١</sup>.

## القرآن وعلم الدلالة

بدأ البحث في دلالة الألفاظ مبكراً عند العرب، وذلك منذ أن بدأ البحث في مشكل الآيات القرآنية وإعجازها وتفسير غريبها واستخراج الأحكام الشرعية منها، فقد كان موضوع العلاقة بين اللفظ والمعنى حاضراً في المدونات الأولى في الحضارة الإسلامية، فمصنفات الوجوه والنظائر في القرآن كانت مراجع الأولى للبحث الدلالي المتعدد المعنى في الألفاظ.

العلماء المسلمون قد إهتموا بدراسة علم الدلالة نظراً إلى أنه تؤدي إلى فهم النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، وأئمة الأصول من علماء التفسير وأصول الفقه قد اعتنوا الدراسة الدلالية لأنهم وجدوا علم الأصول من خلال علم الدلالة لفظاً وجملته، نصاً وسياقاً، وإليه يشير منذر عياشي بقوله: "وقد فطن الأصوليون إلى مبدأ تضاييف العلوم في دراستهم للدلالة من أجل تكوين رؤية شاملة، كان البحث الدلالي نتاجاً لها، ومن أجل ذلك اتسعت مساحة الدرس الدلالي عندهم، خاصة في دلالة النص تفسيراً وتأويلاً، بحيث يعد ما أنتجوه بهذا الصدد أضخم إنتاج كتابي ونظري وفكري يتعلق بالنص"<sup>٢</sup>.

واهتم العلماء الأصوليون واللغويون من العرب في أوائل القرون الهجري بدراسة دلالة الألفاظ، والتراكيب، سواء أكان ذلك في مستوى الكلمة المفردة، أم في السياق

<sup>١</sup> المصدر نفسه، ص: ٨٦

<sup>٢</sup> اللسانيات والدلالة، منذر عياشي، ص: ١١-١٢

اللغوي، أم في السياق الثقافي والإجتماعي، وانتهت دراسة المعنى في العصر الحديث إلى نتائج القدماء وملاحظاتهم التي وضعوها قبل القرون، بل إنها عنيت ببعض الجوانب، التي لم تلق من المحدثين عناية كافية.

الأصوليون يتفوقون مع اللغويين المحدثين في إصابة التغير الدلالي للألفاظ، وذلك عن طريق تخصيص الدلالة وغيرها. واعتبر الأصوليون نصوص الكتاب والسنة سياقاً واحداً مكتملاً، يوضح بعضه بعضاً، وهذا ما يطلق عليه اللغويون المحدثون اسم السياق اللغوي، الذي يسهم بالكشف عن جانب من المعنى، ويتولى سياق الموقف الكشف عن الجانب الآخر.

ولعلم الدلالة القرآنية دور مهم في فهم مضامين القرآن وتفسيره بدقة، وهي توفر طريقة أساسية لفهم معاني القرآن، هدف الدراسة الدلالية للقرآن هو البحث عن رؤية القرآن لكيفية بناء عالم الوجود، وما المكونات الرئيسة للعالم، وكيف يُربط بعضها ببعض، فيكون علم دلالات ألفاظ القرآن وتطورها نوعاً من علم الوجود (ontology). في العصر الحديث هناك محاولات مستمرة من جانب العلماء اللغويين لتطبيق الدرس الدلالي في فهم بنية القرآن الكريم ولتطبيق علم الدلالة ومناهجه في فهم دلالات ألفاظ القرآن الكريم ومعانيها، ولهذا الغرض يستخدمون تقنيات وأدوات من علم الدلالة الحديثة مثل التحليل الدلالي، والمعنى الوضعي والمعنى السياقي وغيرها، ويبحثون عن شبكة المفهومات في القرآن، والحقول الدلالية التي تقود إليها. وأحد من المشهورين من بين المعاصرين في هذا المجال هو العالم الياباني توشييهيكو إيزوتسو (Toshihiko Izutsu) الذي ألف بعض الكتب في علم الدلالة في القرآن الكريم، منها: "الله والإنسان في القرآن: علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم"، و"المفهومات الأخلاقية- الدينية في القرآن"، و"مفهوم الإيمان في علم الكلام الإسلامي: تحليل دلالي للإيمان والإسلام".

## ملخص القول

وقد توضح من المناقشة أن علم الدلالة هو العلم الذي يتناول معاني الألفاظ والمصطلحات وشروحها، وهو يعتبر فرع من فروع علوم اللغة، ميثال برايل هو أول من استخدم اصطلاح 'السيمانطيق (semantics)' لهذا العلم، وكان ذلك في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، كان عالما لغويا فرنسيا. الدلالات أو المعنى هو موضوع هذا العلم. ينقسم علم الدلالة إلى أقسام بما فيها الدلالة الصوتية، والدلالة الصرفية، والدلالة النحوية، والدلالة المعجمية وغيرها.

يعالج علم الدلالة دراسة التغيرات في المعنى كما يقوم بتحليل التركيب اللغوي صوتيا وصرفيا ومعجميا ونحويا. العالم برايل قد وضح وظيفة علم الدلالة خلال بيانه، في رأيه بعد ما تمت إنشاء الكلمة ومنح المعنى، يوسع هذا المعنى أو يقلص، أو ينقل، أو يرفع قيمته، أو يخفض. في قوله إن هدف علم الدلالة هو بنية عملية التغيرات في معاني الكلمات وأسبابها وكذلك توسع المعاني وتقلصها. إن دراسة برايل هي نقطة تحول في مجال علم الدلالة حيث إنه رسم طريقتين في دراسة الدلالة أولهما تحديد المعاني عبر التاريخ، والثاني إستخراج القوانين وراء تغير المعاني وتحولها.

عالج علماء الدين من العرب علم الدلالة ووظائفه في مؤلفاتهم منذ القدم بدون ذكر هذا المصطلح. وعالجوا إمكانيته في مجالاتهم المختلفة بما فيها علم المنطق، والفلسفة وعلم التفسير وعلم اللغة والعلوم الشرعية والعلوم النحوية والصرفية وغيرها. وكانوا يهتمون بعلم الدلالة حيث كان عنصرا هاما للتبحر في العلوم الشرعية والدراسات القرآنية حتى يستطيعون أن يستنبطوا الأحكام الشرعية والفتاوى الإسلامية. البحوث الدلالية العربية نشأت في القرن الثالث الهجرية

وامتدت طوال القرن الرابع والخامس الهجرية واستمرت ان تتطور في القرون المتأخرة. وفي رأي اللغويين من العرب أن معاني الكلمات تتغير وفقا لتغيير موضع الكلمات في الجملة ولعلاقة لهذا التغيير بالترادف، ولكنه يشير إلى تطور الدلالة.

وقد قسم العلماء المراجع اللغوي إلى أربعة أقسام وهي: مرجع معجمي، ومرجع صوتي، ومرجع نحوي، ومرجع صرفي. فالمعجمي هو أول خطوة لدراسة المعنى، ودراسة الدلالة المعجمية أيضا ثلاثة فروع هي: علم الدلالة (Semantics) وعلم المفردات (Vocabulary) وعلم المعاجم (Lexicology). ولها سمات وخصائص منها 'عام' و 'متعدد' و 'غير ثابت'. فالمرجع الصوتي هو الدلالة الصوتية وهي مستمدة من طبيعة بعض الأصوات، إذا حلّ صوت محلّ آخر في كلمة ما فتدشأ كلمة ذات معنى مختلف. قسمها علماء اللغوية إلى قسمين هما: الصوتيات التي تميز كلمة عن كلمة أخرى، والنغمة والتجويد. والمرجع الصرفي هو الوظائف الصرفية للكلمة، ويستفاد المعنى من الأوزان والصيغ. والمرجع النحوي يفيد لإكتشاف المعنى من إستخدام الألفاظ في الجمل المكتوبة أو المنطوقة.

وللدلالة السياقية أيضا أهمية في دلالات الكلمات والمصطلحات، الكلمة في سياق لغوي في الجملة أو العبارة، وهي تمثل سياقها الإجتماعي في مقام معين الذي تقال فيه، وهي دلالة مجددة بخلاف الدلالة المعجمية، هي أيضا غير ثابتة. والدلالة أو الإشارة تفسّر من نظرية القول أن الكلمة هي الإشارة، وهي أيضا دلالة إلزامية لمعنى اللفظ، إذ يحتاج الوقوف عليها إلى تأمل، فالقائل لا يقصد هذا المعنى المستفاد عندما أورد اللفظ، وهذا المعنى المستفاد لازم للفظ، مثلا: إذا قال 'كتاب' لازم أن يكون هناك 'كاتب'، ودلالة التراكيب لا يستطيع لأحد فهم دلالة الكلمة من أصواتها ومقاطعها في حالة تفرقها ومن مفرداتها.

فمن المفهوم أن علم الدلالة يقوم بالتحليل اللغوي وتحليل المعنى معا، معظم الكلمات تحصل على معانيها من طريق التقاليد، لا يمكن تفسيرها في إطار قانون اللغة، مثلا؛ الكلمات التي تشير إلى الحيوانات، لا يوجد أي ربط بين الكلمة والحيوانات التي تشير إليها الكلمات. في بعض الأحيان هناك تطابق أساسي بين أصوات الكلمات ومعانيها، ولتحليل الكلمة خطوات عند اللغويين منها: العثور على أصل الكلمة، وهي دور علم أصول الكلمات (Etymology) والثاني دور بناء الجملة (Syntax) والثالث دور علم الدلالة (Semasiology).

ومن الواضح أن الإشتقاق من ميزة اللغة العربية يميّز اللغة العربية من سائر اللغات الأخرى، ووجود الإشتقاق في اللغة هو السبب في تطورها ونموها، وهذا الذي ساعد اللغة لإكتشاف معانيا جديدة، ولتكوين مصطلحات مبتكرة، وهو مأخوذ من فعل 'شقّ'، المراد به أخرج الكلمة أو أخذ كلمة من كلمة أخرى بتغيير ما، مع التناسب في المعنى ونزع لفظ من آخر، والإشتقاق هو الرجوع إلى أصول معاني الألفاظ، وينقسم إلى ثلاثة أقسام هي: الإشتقاق الصغير، والإشتقاق الكبير، والإشتقاق الأكبر. الإشتقاق الصغير هو ما في أيدي الناس وكتبهم. أما الإشتقاق الكبير هو توليد كلمة من كلمة أخرى بتغيير مواضع حروفها. والإشتقاق الأكبر هو إتفاق كلمتين في حرفين من حروفهما واختلافهما في الثالث مع وجود صلة بينهما بالمعنى.

التغير الدلالي أيضا طرق من طرق توليد المعنى في اللغة، وهو مصطلح علم الدلالة، ويطلق هذا المصطلح على تغير معنى الكلمة على مر الزمان إما يكون بإعلاء معناها أو بإنحطاطها، أو بتوسيع معناها أو تقلصها. تضيق الدلالة هو يضيق معنى الكلمة بمرور الزمان، يتحول معنى الكلمة من الكل إلى الجزء، أو يقلّ عدد المعاني التي تدل عليها، وتكون الكلمة دالة خاصة على البعض، هذه ظاهرة في مجال

المصطلحات العلمية، أما توسيع المعنى هو تحويل الدلالة من المعنى الجزئي إلى المعنى الكلي، خلافاً عن التخصيص. وانتقال الدلالة يعتمد على وجود علاقة مجازية وقد تكون علاقة مشابهة، فيه الإستعارة أي استخدام الكلمة في غير معناها الأصلي، وارتقاء الدلالة هي التغير المتسامي أي تدل على معانٍ أرفع وأشرف وأقوى، وإنحطاط المعنى هو عكس اتجاه الإرتقاء.

فلعلم الدلالة دور هام في دراسة المعنى والتغيرات التي تحدث في الكلمات عبر العصور. والقرآن الكريم ككتاب سماوي إلهي يطلب من أتباعه دراسات متدرجة موافقة للعصر الذين يعيشون فيه، وهو يتطلب أيضاً دراسة لغوية عميقة في دلالاته، وعباراته، ومصطلحاته، وهو يتميز من سائر الكتب الأخرى مؤلفة في العالم العربي والعجمي، وفي ألفاظه أسرار كامنة لم يكتمل ظهوره بعد. وتطبيق علم الدلالة إلى دراسة ألفاظ القرآن قد يؤدي إلى إظهار إعجازه من جهة أخرى من خلال الدراسات اللغوية حول القرآن.

## الباب الرابع : تطور دلالات المصطلحات العلمية الواردة في القرآن الكريم عبر الزمان

الفصل الأول	:	الدلالات الواردة في خلق الكون
الفصل الثاني	:	الدلالات الواردة في الشمس والقمر
الفصل الثالث	:	الدلالات الواردة في ظواهر النجوم والكواكب
الفصل الرابع	:	الدلالات الواردة في بناء السماء
الفصل الخامس	:	الدلالات الواردة في بساطة الأرض وكرويتها وإقرارها
الفصل السادس	:	الدلالات الواردة في ظواهر الطبيعة
الفصل السابع	:	الدلالات الواردة في خلق الإنسان

## تطور دلالات المصطلحات العلمية الواردة

### في القرآن الكريم عبر الزمان

القرآن كتاب سماوي، مملوء بالعلوم والأسرار، وقد أثر تأثيراً بليغاً في كثير من حوله وجذبهم إلى رحابه من العلماء والكتّاب والأدباء وغيرهم، وقد نزل القرآن في اللغة العربية في عصر الفصاحة والبيان، وعلى الرغم من أن اللغة العربية كانت في أرقى مستواها في العصر الجاهلي، فاقها القرآن حسناً وبلاغة وفصاحة حتى إنه قد أعجزهم في لغتهم وتحداهم أن يأتوا بمثله، فعجز العرب آنذاك على أن يأتوا بما يماثله أو يفوقه.

لغة القرآن تتميز بالبلاغة والبيان والإعجاز في النظم، وقد ازدهرت وتطورت العلوم العربية بعد نزول القرآن حيث انبثق عنه العدد الكبير من العلوم مثل علوم التفسير والأصول والفقه والعلوم اللغوية، وكان الهدف منها خدمة النص القرآني وكلها ساهمت في خدمة اللغة، وهذب القرآن الكريم اللغة العربية تهذيباً منذ نزوله، وساعد لتطور اللغة العربية في الأغراض والمعاني والأساليب والألفاظ.

تطورت علوم اللغة العربية بما فيها علم الدلالات بعد نزول القرآن، قد تخلص كثير من الألفاظ العربية من معانيها القديمة وأصبحت تدل على معانٍ خاصة، حتى اشتقت من بعضها مصطلحات العلوم والفنون. إن القرآن الكريم قد عالج موضوعات مختلفة بما فيها المعرفة الإنسانية، وقد قام أصحاب العلماء التفسير بتأويل المصطلحات العلمية وتفسيرها عبر الزمان وإنهم كثيراً ما كانوا يعتمدون على العلوم العصرية في تفسير المصطلحات العلمية الواردة في القرآن الكريم. والعلوم العصرية لم تنزل ولا تزال في سبيل التطور والنماء وإنها قد تغيرت ولا تزال تتغير عبر

الزمان. وهذا ما أدت في بعض الأحيان إلى تغير تأويلات المصطلحات العلمية قرنا بعد قرن متأثرة بتغير علوم الحديث.

والقرن الحادي والعشرون هو عصر التقدم العلمي والتقني كما هو عصر الإختراعات والإكتشافات البديعة والجديدة، حتى تتغير الأحوال حيناً بعد حين. واجه الدين تحديات جديدة من جهة العلم والمعارف في هذا العصر، فاضطر العلماء إلى مواجهة هذه التحديات والدفاع على دينهم من الخلل والعلل. فاضطروا إلى تعلّم وفهم التغيرات والتبدلات التي تحدث في العالم، وعليهم أن يشكّلوا نظريات بأنفسهم حول الموضوعات المبدعة والمشكلات الجديدة في ضوء مواقفهم الدينية. يشعر لمن يسير خلال آيات القرآن وسوره بإعجازيته في معانيه ومعارفه وكلماته واصطلاحاته وإشاراته وغيرها.

وقد ضمن الله للقرآن الكريم الخلود والبقاء عبر الزمان والمكان، وقد بذل العلماء جهودهم في كشف الإعجاز القرآن في العصور المختلفة، قائلين على تأويل آياتها في ضوء إكتشافات العلوم الحديثة، وفي القرآن الكريم قد وردت 'مصطلحات' عديدة متعلقة بالكون، والعلوم والمعارف. وإنهم حاولوا لتأويل أي القرآن التي تحتوي إشارات إلى علوم الكونية والعلمية في ضوء إكتشافات العلم الحديث. ولكن هذه المحاولة لم تكن مقصورة في العصر الحديث بل كانت موجودة في التفاسير القديمة أيضاً. وهذا يقتضي بحثاً جاداً في التفاسير القديمة والحديثة.

في هذا الباب، يريد الباحث أن يرتب آراء المفسرين الكبار من القديم والحديث ترتيباً زمنياً حول الآيات الواردة فيها أسرار الكون وعجائب الخلق، ويريد الباحث أن يدرس تطور الدلالات والإصطلاحات العلمية في هذه الآيات. وقد اختار الباحث شخصيات معينة من المفسرين ليدرس مؤلفاتهم والمناهج التي اتخذوها في علم

التفسير، وقد اختار الباحث أعلاما يمثلون كلا من التفسير بالرأي والعلمي، فمنهم محمد بن جرير محمد بن جرير الطبري، الإمام فخر الدين الرازي، والقاضي بيضاوي، والنيسابوري، وشهاب الدين الألوسي، والشيخ طنطاوي الجوهري، والدكتور محمد عبد المنعم الجمال، والشيخ محمد عبده ورشيد رضا، ومحمد الطاهر بن عاشور وسيد قطب والسيد إسماعيل شهاب الدين (معروف ببيانور تانغال) وغيرهم.

### الدلالات المصطلحات العلمية الواردة في القرآن الكريم

كلمة " مصطلح " مشتق من جذرها اللغوي " صلح " وأقدم تعريف معجمي لها هو "صلح": الصلاح: نقيض الفساد، ويقال رجل صالح في نفسه ومصالح في أعماله وأموره، الصلح: تصالحُ القوم بينهم"<sup>١</sup>. ومشتقاته الصلاح، صالح، مصالح، الصلح ومدار المعنى فيها هو نقيض الفساد. والزبيدي يقول في معجمه تاج العروس: "الصلاح: ضد الفساد، والاصطلاح: اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص"<sup>٢</sup>. وهذا يوجد ربط لفظ " اصطلاح " بالاتفاق والخصوصية، وهو مفهوم جديد زائد على مفهوم "ضد الفساد". هذا يشار إلى أن المعاجم العربية التراثية قد عرفت لفظ "صلح" ومشتقاته بأنه نقيض الفساد، ولم تورد جميع اشتقاقات الجذر إلا مع تقدم الزمن، أما لفظ "إصطلاح" يوجد في معجم الزبيدي وقد ربطها بالإتفاق والخصوصية.

أن اللغة العربية تحتفظ سمات عديدة وتختلف عن نظائرها في اللغات الأجنبية، وهذه الخصائص كلها واضحة في آيات القرآن الكريم. وكذلك أن الله تعالى قد إهتم

<sup>١</sup> الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ترتيب وتحقيق، عبد الحميد هندواي، ط ١، ج ٢، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م، ص: ٤٠٦

<sup>٢</sup> تاج العروس من جوهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، ص: ٥٤٧/٦

إهتماما بالغا باختيار الألفاظ الموافقة للعصر عندما نزلت الآيات التي تشير إلى أسرار العلوم. هذه معجزة القرآن الخالدة لأن الله تعالى وتبارك يريد أن يبقى القرآن بعيدا عن التحرف وقريبا من التعرف باختيار الألفاظ الموافقة حتى يستطيع للقرآن أن يضمن إكتشافات جديدة وإختراعات متدرجة تحدث في مجال العلم والعلوم منذ نزول القرآن، وقد أشار الشاعر المصري المشهور المعروف بشاعر النيل حافظ بك إبراهيم إلى قدرة اللغة العربية في قصيدته المشهورة "اللغة العربية" حيث يقول على لسان اللغة العربية:

"وسعت كتاب الله لفظا وغاية  
فكيف أضيق اليوم عن وصف آله  
أنا البحر في أحشائه الدر كامن  
وما ضقت عن آي به وعظمت  
وتنسيق أسماء لمخترعات  
فهل سألوا الغواص عن صدقاتي"<sup>1</sup>

وإذا التفت النظر إلى التعابير القرآنية التي تدل على حقائق الطبيعة ليدرك أنها تبقى بأكمل معناها منذ عصر النبوة إلى عصرنا هذا بلا نقص. وإذا بحث عن هذه الدلالات العلمية الواردة في القرآن الكريم ليجد أن لكل منها دورها وأهدافها وأغراضها الفريدة في دلالة الفكرة والمعنى، عندما يدرس كلمات القرآن إحصائيا يجد أن كل كلمة قد تم تخصيصها لأهداف محددة! وهذه الميزة لا يمكن لأي مؤلف أن يقلدها أو يأتي بمثلها، فلا يوجد مؤلف في العالم يستطيع أن يقول إنه سيستخدم مجموعة كلمات في تأليف كتاب وأنه سوف يستخدم هذه الكلمة لهدف محدد طيلة الكتاب مهما تكررت.

<sup>1</sup> ديوان حافظ بك إبراهيم

وقد أشار القرآن الكريم إلى الحقائق العلمية المختلفة في مواقف مختلفة من سورها بما فيها الحقائق الكونية والمظاهر الطبيعية وما يتعلق بخلق الإنسان والحيوانات والنباتات وغيرها، وحيث أن هذه كلها إشارات علمية على مفسري القرآن الكريم وعلمائه أن يقوموا بتفسير هذه المصطلحات وتأويلها، وإنهم كثيرا ما كانوا يلجؤون إلى المخترعات العلوم الحديثة في بيان دلالات هذه المصطلحات. وهذه هي التي سببت في تغير الدلالات القرآنية وبيان معانيها ومفهوماتها عبر الزمان.

## الفصل الأول: الدلالات الواردة في خلق الكون

الكون هو كل ما يحتويه الفضاء، ويشمل الكائنات الحية، والأرض، والقمر، والكواكب الأخرى والأقمار التابعة لها، بالإضافة إلى الكويكبات والمذنبات، والشمس، وأعداد هائلة من النجوم والتي يُقدّر عددها بمئات المليارات، والمجرات، ويشمل الكون أيضًا كل الأشياء التي لم يستطع العلماء ملاحظتها أو الوصول إليها. وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تشير إلى قدرة الله الخالق في خلق الكون، وتنظيمه، وترتيبه، وأسراره، وعجائبه، وغيرها. إستخدم الله تعالى وتبارك في هذه الآيات دلالات تختص للكون مثل رتق، وفتق، وموسعون، ودخان وغيرها، والنظر إلى مفهومات هذه الدلالات التي وردت في التفاسير ستضيئ إلى تطور الدلالات وقدرة اللغة العربية لأن تتضمن التغيرات التي تحدث في مجال العلم الكونية بإضافة المعلومات الجديدة والحديثة سببا للتقدم العلمي.

١. 'رتق'

٢. 'فتق'

يقول تعالى في سورة الأنبياء: (أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ)'. كلمتان في هذه الآية 'رتق' و'فتق' قد وردتا في القرآن الكريم مرّة واحدة فقط، هتان كلمتان متعارضتان في المعنى.

والآية تشير إلى أن السموات والأرض، أي الكون وما بثّ في أرجائه من نجوم ومجرات وكواكب وشموس وأقمار كان شيئًا واحدًا، وكان مادة واحدة، وكتلة واحدة ثم

<sup>١</sup> سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.

انشطرت هذه المادة وفتقت وتفجرت، فانفصلت السموات عن الأرض، وتباعدت أجزاءها وأصبحت عالماً عظيماً مترامياً الأطراف، بعيد المدى، واسع الرحاب، وقوله سبحانه وتعالى: (كَانَتْ رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا) هو تعبير دقيق ومشهد رائع، لأنه يصور المشهد الأول، واللقطة الأولى من الكون ساعة الانفصال.

### 'الرتق' و'الفتق' في المعاجم اللغوية

إذا بحث عن معاني هذه الكلمات لغوياً واصطلاحياً للدقة والضبط في المعاجم اللغوية المشهورة للتعرف على معاني الكلمات القرآنية، ليصبح وجه الاستدلال بها منسجماً مع المقارنة الكونية للآية القرآنية.

في كتاب العين يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي: "رتق: الرتق إحام الفتق وإصلاحه، يقال: رتقت فتقه حتى ارتتق، كانت السموات لا ينزل منها رجع<sup>١</sup>، والأرض رتقاء لا يكون فيها صدع<sup>٢</sup> حتى فتقهما الله بالماء والنبات رزقا للعباد، وجارية رتقاء بينة الرتق، أي لاخرق لها إلا المبال خاصة"<sup>٣</sup>.

في "لسان العرب" يقول ابن منظور: (كَانَتْ رَتْقًا) (والرتق ضد الفتق، والرتق إحام الفتق وإصلاحه)<sup>٤</sup>.

في تاج العروس يقول الزبيدي: "الرتق: شدّ الفتق، وقال ابن سيده: الرتق: إحام الفتق وإصلاحه، قال الله تعالى: كانتا رتقا ففتقناهما قال ابن عرفة: أي: كانتا مصمتتين منضمتين لا فرجة بينهما، ففتقناهما بالمطر والنبات، وقال الأزهري: أراد

<sup>١</sup> ترجع بالغيوم وأرزاق العباد كل عام

<sup>٢</sup> صدعها إخراج النبات في كل عام

<sup>٣</sup> كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص: ٩٥/٢-٩٦

<sup>٤</sup> لسان العرب، ابن منظور، ص: ١٣٢/٥.

كانت سماء مرتتقة وأرضا مرتتقة، ففتق الله السماء فجعلها سبعا، ومن الأرض مثلهنّ، وقال الليث: كانت السموات رتقا: لا ينزل منها رجع، وكانت الأرض رتقا: لا يكون فيها صدع، حتى فتقها الله بالماء والنبات رزقا للعباد، وقال الفراء: وإنما لم يقل: رتقين، لأنه أخذ من الفعل<sup>١</sup>.

وفي "القاموس المحيط" للفيروزآبادي: "الرتق ضد الفتق، ارتقى التأم السموات متلاصقات وكذلك الأرض لا فرج بينها ففتقها الله وفرج بينها"<sup>٢</sup>.

وفي معجم المعاني الجامع: "رتق الفتق: سدّه أو لحّمه، عكسه فتّقه،..... سَيءٌ رَتَّقٌ : مَسْدُودٌ، مُلْحَمٌ (الأنبياء آية ٣٠) أولم ير الذين كفروا أنّ السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما"<sup>٣</sup>

### التفسير والتأويل للآية عند المفسرين عبر الزمان

وإذا سار خلال التفسير والتأويل لهذه الآية التي يعطى المفسرون المشهورون من القديم إلى الحديث، نجد أنهم كانوا يحاولون لشرح هذه الكلمات بناء على معرفتهم ووفقا على المناسبة. مثلا:

في تفسير 'جامع البيان' للإمام محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة (ت ٣١٠ هـ) يقول: "يقول تعالى ذكره: أولم ينظر هؤلاء الذي كفروا بالله بأبصار قلوبهم فيروا بها، ويعلموا أنّ السموات والأرض كانتا رتقا، يقول: ليس فيهما ثقب، بل كانتا ملتصقتين يقال منه: رتق فلان الفتق إذا شدّه، فهو يرتقه رتقا ورتوقا، ومن ذلك قيل للمرأة

<sup>١</sup> تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، ص: ٣٣١/٢٥

<sup>٢</sup> القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص: ٢٤٣/٣

<sup>٣</sup> <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/رتق/>

التي فرجها ملتحم : رتقاء ، ووحده الرتق ، وهو من صفة السماء والأرض ، وقد جاء بعد قوله تعالى: (كانتا) لأنه مصدر، مثل قول الزور والصوم والفطر، وقوله : (وَجَعَلْنَا) يقول : فصدعناهما وفرجناهما ، ثم اختلف أهل التأويل في معنى وصف الله تعالى السموات والأرض بالرتق ، وكيف كان الرتق ، وبأي معنى فتق؟ قال ابن عباس : كانتا ملتصقتين ، فرفع السماء ووضع الأرض ...

الإمام محمد بن جرير الطبري قائلا: وكان الحسن وقتادة يقولان: كانتا جميعا ففصل الله بينهما بهذا الهواء، وقال آخرون: بل معنى ذلك أن السموات كانت مرتتقة طبقة، ففتقها الله فجعلها سبع سماوات، وكذلك الأرض كانت كذلك مرتتقة، ففتقها فجعلها سبع أرضين<sup>١</sup>.

يقول صاحب 'الكشاف' الزمخشري (ت ٥٧٨ هـ) : "أي كانتا رتقا ، ومعنى ذلك أن السماء كانت لاصقة بالأرض لا فضاء بينهما، أو كانت في القرآن الذي هو معجزة في نفسه فقام مقام المرئي المشاهد، وأن تلاصق الأرض والسماء وتباينهما كلاهما جائز في العقل"<sup>٢</sup>.

وقال فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) : "الرتق في اللغة : السد ، يقال ارتتق الشيء فارتتق ، والفتق: الفصل بين الشيئين الملتصقين، والرتق مصدر والمعنى كانتا ذواتي رتق .. وعن ابن عباس رضي الله عنه أن المعنى كانتا شيئا واحدا ملتزقتين، ففصل الله بينهما، ورفع السماء إلى حيث هي وأقر الأرض"<sup>٣</sup>.

١ جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، ص: ١٧ / ١٣

٢ الكشاف، محمود بن عمر الزمخشري، ص: ٢ / ٥٧٠.

٣ التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، ١١ / ١٦٣

وفي تفسير 'الجامع لأحكام القرآن' يقول الإمام محمد بن فرح القرطبي (ت ٦٧١ هـ) رحمه الله: "وقال: (رَتَقًا) ولم يقل رتقين، لأنه مصدر، والمعنى كانتا ذواتي رتق ... والرتق السد ضد الفتق، وقد رتقت الفتق أرتقه فارتتق أي التأم، ومنه الرتقاء للمنظمة الفرج، قال ابن عباس وغيره: يعني أنها كانت شيئاً واحداً ملتزقتين ففصل الله بينهما بالهواء، وكذلك قال كعب: خلق الله السموات والأرض بعضها على بعض ثم خلق ريحاً بوسطها ففتحها بها، وجعل السموات سبعا والأرضين سبعا"<sup>١</sup>.

في تفسير 'أنوار التنزيل' يقول الإمام عبد الله بن عمر البيضاوي (ت ٦٩١ هـ): "كانتا رَتَقًا ذات رتق أو مرتوقيتين، وهو الضم والالتحام، أي كانتا شيئاً واحداً وحقيقة متحدة، (فَفَتَّقْنَاهُمَا) التنوع والتمييز، أو كانت السموات واحدة ففتقت بالتحريكات المختلفة حتى صارت أفلاكاً، وكانت الأرضون واحدة فجعلت باختلاف كيفياتها وأحوالها طبقات أو أقاليم، وقيل (كانتا) بحيث لا فرجة بينهما ففرج"<sup>٢</sup>. هذا الرأي يمتاز ويكون أكثر موافقا لآراء العلم.

وفي 'الجلالين' للإمامين السيوطي (ت ٩١١ هـ) والمحلي (ت ٨٦٤ هـ) رحمهما الله يقولان: "كانتا رتقا، سداً بمعنى مسدودة: (فَفَتَّقْنَاهُمَا) جعلنا السماء سبعا والأرض سبعا وفتق السماء أن كانت لا تمطر فأمطرت، وفتق الأرض أن كانت لا تنبت فأنبتت"<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> الجامع لأحكام القرآن، محمد بن فرح القرطبي، ص: ١١ / ٢٨٢، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥ / ٦٩٢.

<sup>٢</sup> أنوار التنزيل، عبد الله بن عمر البيضاوي، ص: ٤ / ٩٠.

<sup>٣</sup> تفسير الجلالين، محمد بن أحمد بن محمد المحلي وجمال الدين السيوطي، ص: ١ / ٣٢٤.

وأما المراغي رحمه الله (ت ١٣٧١هـ) يصف هذه الظاهرة جيدة في تفسيره: "أي ألم يعلم الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا مرتوقيتين: أي ملتحمتين متصلتين، ففصلناهما وأزلنا اتحادهما.

وفي 'أضواء البيان' للشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ) عدة أقوال منها: "الأول: أن معنى (رتقاً ففتقناهما) أي كانت السموات والأرض متلاصقة بعضها مع بعض، ففتقها الله وفصل بين السموات والأرض، فرفع السماء إلى مكانها، وأقر الأرض في مكانها، وفصل بينهما بالهواء الذي بينهما كما ترى. القول الثاني: أن السموات السبع كانت رتقا، أي متلاصقة بعضها ببعض، ففتقها الله وجعلها سبع سماوات، كل اثنتين منها بينهما فصل، والأرضون كذلك كانت رتقا ففتقها، وجعلها سبعا بعضها منفصل عن بعض".<sup>١</sup>

وهكذا يقول علماء الفلك حديثا، إذ يثبتون أن الشمس كانت كرة نارية دائرية حول نفسها ملايين السنين، وفي أثناء سيرها السريع انفصلت منها أرضنا والأرضون الأخرى وهي السيارات من خط الاستواء الشمسي، فتباعدت عنها، وما زالت أرضنا دائرة حول نفسها وحول الشمس على نظام خاص بحكم الجاذبية".<sup>٢</sup>

ثم يستمر بحكاية عن الأستاذ عبد الحميد وهو يقول: "قال الأستاذ عبد الحميد سماحة وكيل المرصد الملكي المصري: إن النظرية الحديثة في كيفية مولد الأرض وأخواتها الكواكب السيارة من الشمس، هي افتراض اقتراب نجم كبير من الشمس فيما مضى من الزمن اقترابا كافيا، فجذب من سطحها كتلة لم تلبث أن انفصلت من الشمس على شكل منهم مدبب الطرفين سميك في الوسط، ثم تكثفت هذه

<sup>١</sup> أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، ص: ١٠٢/٤.

<sup>٢</sup> تفسير المراغي، أحمد مصطفى أحمد مصطفى المراغي، ص: ٢٤/١٧.

الكتلة في الفضاء البارد إلى كتل منفصلة، وبقيت هذه الكتل التي تمثل الأرض وأخواتها الكواكب السيارة تدور بفعل الجاذبية للشمس في مدارتها حولها بلا انقطاع، وانطفأ نورها لأن كتلتها كانت أصغر من أن تحتفظ بصفاتها الأصلية قبل الانفصال وهو إشعاع الضوء فالكواكب السيارة ومنها الأرض لا نراها بضوء يتشعع منها، بل بضوء والكواكب السيارة تسعة، وهي بترتيب قربها من الشمس عطارد. الزهرة، الأرض، المريخ، المشتري، زحل، أورانوس، نبتون، بلوتوه.

ويدخل ضمن هذه الأسرة المجموعة كبيرة العدد من أجسام صغيرة تقع بين مدارى المريخ والمشتري وتدور حول الشمس كسرب من الطير، ومن بينها المذنبات أيضا، والشهب التي نرى الكثير منها كل ليلة يهوى نحو الأرض ويحترق باحتكاكه بالغلاف الجوى الذي حولها.

أما بقية الأجرام السماوية التي نراها ليلا تزين سطح القبة السماوية فهي النجوم. والنجوم شمس موادها المركبة منها هي المواد المركبة منها شمسننا، فسبحان الخلاق العظيم. وبعد أزمنة طويلة لا يعلم مداها بردت القشرة الأرضية وصارت صالحة لإنبات بعض أنواع النبات، ثم لسكنى الحيوان ثم لسكنى الإنسان. ولا شك أن هذه النظرية التي لم يكن يعرفها العرب ولا الأمم المعاصرة لهم، ولم تعرف إلا منذ القرن السابع عشر الميلادى ومحصت بعض التمهيد في عصرنا الحاضر- تدل أكبر دلالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم، وأن القرآن وحي أرسله إليه ربه هداية للبشر ورحمة للعالمين.

وخلاصة ذلك- إن العقل البشرى مستعد لدرس عجائب هذا الكون، ومعرفة سير هذه الكواكب ودورانها بنظام الجاذبية حول الشمس على سنن لا يتغير ولا يتبدل، وقد دل البحث على أنها كلها كانت مجموعة واحدة انفصل بعضها من بعض

بأسباب خاصة قدرها العليم الخبير. وقد أرشد إلى بيان هذا خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله، ولم يكن قومه ولا الأمم المعاصرون لهم يفكرون فيه، مما يدل على أن ذلك وحي أوحى إليه من لدن عليم خبير".<sup>١</sup>

والمفسر المعاصر السيد إسماعيل شهاب الدين (ت ١٤٣١هـ) رحمه الله يقول في تفسيره 'على هامش التفاسير تعليق على تفسير الجلالين': "أو كانتا مرتوقيتين، أي: ملتحمتين ملتزقتين ففصلنا السماء عن الأرض، وكلمة 'رتق' تعني ضم وجمع، وكلمة 'فتق' تعني فصل أي: أن السموات والأرض كانتا مجموعتين ففصلهما المولى،..... وقد وصلوا أخيرا إلى أن السديم<sup>٢</sup> غاز غالق به مواد صلبة، ولهذا فإنه لا يمكن إطلاق لفظ السديم على أي شيء من الوجة العلمية سوى الدخان. وليس عجيبا أن يكون هذا هو ماجاء به القرآن الكريم، لأنه يحوي الغاز والصلب، ومن عجب: أن هذا ما في القرآن: (ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين؛ فصلت ١١)، الدخان الذي انكماش ثم انفصل لتكوين الأجرام، فإن الرتق لا يكون إلا بين شيئين منفصلين".<sup>٣</sup>

ويضيف قائلا: "ونلاحظ هنا البلاغة العلمية الإعجازية في كلمتي 'رتق' و 'فتق' فكل رتق قابل للفتق، وكل فتق قابل للرتق، والسموات والأرض ستعودان كما كانتا عند قيام الساعة، كما أنبأنا الترتيل وكما يفترض علماء الكونية اليوم. والرتق جمع لما تفرق من بعد ما وصل، والفتق تشير إلى انفصال شيئين كانا قد وصلا من بعد

<sup>١</sup> تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ص: ٢٤/١٧-٢٥

<sup>٢</sup> هي أجرام سماوية ذات مظهر منتشر غير منتظم مكون من غاز متخلخل من الهيدروجين والهيليوم وغبار كوني (Nebula)

<sup>٣</sup> على هامش التفاسير تعليق على تفسير الجلالين، اسماعيل شهاب الدين، ص: ٤/٤٦٣

تفرق، إذن فالرتق سبقه فتق، ومعنى الآية الكريمة توحى بالتشابه الشديد بين السماء والأرض وبأنهما أفراد لمنظومة أو مجموعة واحدة خلقت معا<sup>١</sup>.

والصابوني (ت ١٤٤٢هـ) رحمه الله يقول: "اللغة: (رتقاً) الرتق: الضم والالتحام وهو ضد الفتق يقال رتقت الشيء فأرتق أي التأم ومنه الرتقاء للمنضمة الفرج"<sup>٢</sup>.

في العلم الحديث هناك عديد من النظريات التي تشير إلى أصل الكون، ولكن معظمها خفت وخسرت في تقديم براهين تؤكد إدعائهم فاخفت لما ظهرت أحدث النظريات حول مولد الكون والتي عرفت باسم 'الانفجار العظيم' (big bang)، وقد اجتمع على صحتها جمهور من علماء الفلك. والدراسة عن دراسات الفلكيين حول الانفجار الكوني العظيم، قد أبدى مدى التوافق بين ما أثبتوه، وبين الحقائق القرآنية التي سبق وأن قرر من خلالها حقيقة نشأة الكون.

هذا ممكن أن يقرأ في موقع 'ويكي بديا' عن هذه الظاهرة حيث يقال: "الانفجار العظيم' في علم الكون الفيزيائي هو النظرية السائدة لتفسير نشأة الكون، تعتمد فكرة النظرية على أن الكون كان بالماضي في حالة حارة شديدة الكثافة فتمدد، وأن الكون كان يوماً جزءاً واحداً عند نشأته، بعض التقديرات الحديثة تُقدّر حدوث تلك اللحظة قبل ١٣.٨ مليار سنة، والذي يُعد عمر الكون، وبعد التمدد الأول، برَدَ الكون بما يكفي لتكوين جسيمات دون ذرية 'كالبروتونات' و'النيوترونات' و'الإلكترونات'، ورغم أن تكون نويات ذرية بسيطة خلال الثلاث دقائق التالية للانفجار العظيم، إلا أن الأمر يحتاج إلى آلاف السنين قبل تكون ذرات متعادلة كهربياً. معظم الذرات التي نتجت عن الانفجار العظيم كانت من الهيدروجين

<sup>١</sup> على هامش التفاسير تعليق على تفسير الجلالين، اسماعيل شهاب الدين، ص: ٤٦٣/٤

<sup>٢</sup> صفوة التفاسير، محمد علي محمد علي الصابوني، ص: ٢٥٩/٢

والهيليوم مع القليل من الليثيوم، ثم التثمت سحب عملاقة من تلك العناصر الأولية بالجاذبية لتكوّن النجوم والمجرات، وتشكّلت عناصر أثقل من خلال 'تفاعلات الانصهار النجمي' (stellar fusion reactions) أو أثناء تخليق العناصر في 'المستعرات العظمى' (supernovae)<sup>1</sup>.

توصل عالم الفلك البلجيكي 'جورج إدوارد لوميتير'<sup>2</sup> إلى نتيجة الانفجار العظيم، وأعلنها في عام ١٩٢٧ م، في نظريته أن المادة الكونية كانت كلها مضغوطة في حجم ضئيل للغاية، وذلك الجسم قد تعرض لتمدد مفاجئ سريع وما زال يتمدد، ثم انطلق العلماء من فكرته الأولى حول تمدد الكون لتتبع أصل الكون.

طرح العالم الأمريكي 'هابل'<sup>3</sup> قانونه 'Hubble's law' في عام ١٩٢٩ م، في موقع ويكي بيديا حيث يقال: "هو قانون في علم الكون ينص على أن السرعة التي تبتعد بها مجرة من المجرات عنا تتناسب تناسباً طردياً مع المسافة بينها وبين الأرض"<sup>4</sup>. وأثبت إدوين هابل نظرية لومتر بإعطاء دليل رصدي للنظرية، وفي نظريته، "أن المجرات تبتعد بعيداً عن الأرض في جميع الاتجاهات وبسرعة تتناسب طردياً مع بعدها عن الأرض. هذا ما عُرف لاحقاً باسم قانون هابل"<sup>5</sup>.

ويقول صاحب كتاب 'قصة الكون': "إن الكون قد بدأ على شكل كتلة ساخنة جداً من المادة، ولم يكن شبيهاً كلياً بالمادة كما نعتقد، بل كانت توجد فيه على الأقل كتلة من الجسيمات الذرية الأولية مزدحمة مع بعضها، وقد قدر أن قطر هذه

<sup>1</sup> [https://ar.wikipedia.org/wiki/الانفجار\\_العظيم](https://ar.wikipedia.org/wiki/الانفجار_العظيم)

<sup>2</sup> Georges Henri Joseph Edouard Lemaitre (1894-1966), a Belgian Catholic Priest, Theoretical Physicist, Mathematician, Astronomer and Professor of Physics at the Catholic University of Louvain

<sup>3</sup> Edwin Powell Hubble (1889-1953), an American Astronomer.

<sup>4</sup> [https://ar.wikipedia.org/wiki/قانون\\_هابل](https://ar.wikipedia.org/wiki/قانون_هابل)

<sup>5</sup> [https://ar.wikipedia.org/wiki/قانون\\_هابل](https://ar.wikipedia.org/wiki/قانون_هابل)

المادة لم يكن يتعدى بضع ملايين من الأميال، أي أنه كان من الممكن أن يوضع في مدار الأرض حول الشمس، ولا بد أن كثافة هذه المادة كانت مائة مليون طن لكل سنتيمتر مكعب (cube)، أي أكثف من نواة الذرة، كما كانت درجة حرارتها بلا شك عالية إلى حوالي عشرة بلايين درجة، ومثل هذه الكتلة يمكن أن تكون غير مستقرة جدا فتنفجر عند وقت ما، ومع درجة الحرارة العالية لا بد أن الانفجار كان قويا، اندفعت بمقتضاه كل مادة الذرة الضخمة إلى الخارج، وفي جزء من الثانية أصبح للكون وجود".<sup>1</sup>

في رأي السيد إسماعيل شهاب الدين 'الإنفجار الكبير': "واليوم يجمع أكثر علماء الفلك على القول: ان نظرية الإنفجار الكبير لم تعد نظرية، بل هي حقيقة علمية، أما الأقلية التي تعارضها فهي بعض العلماء الماديين في معتقداتهم، ربما لأن القرار علميا بحقيقة بدء الكون وتوسعه بتعارض مع معتقداتهم القائلة بأزلية المادة وقدم العالم، فعندما يثبت العلم أن للكون بداية فذلك يعني أن له نهاية، وإنه مخلوق وليس أزليا كما ظن الماديون.

وقد أثبت العلم الحديث ما جاء به القرآن بعد جهد شاق طويل تقدمت فيه أبحاث الجيولوجيا والتحليل الأرضية تمخضت عن أن الأرض والشمس ومختلف الكواكب والأجرام إنما كانت سديما في الفضاء وأن الأرض انفصلت عن هذا السديم، والأدلة على ذلك كثيرة، ومنها أن نفس العناصر التي تتكون منها الأرض هي نفسها التي تتكون منها الشمس. والنظرية القائلة اليوم أن المجموعات النجمية كانت ملتزقة كتلة واحدة، ثم تسلطت عليها قوى كونية جبارة أحدثت فيها تغيرات هائلة،

<sup>1</sup> قصة الكون عجب وبهاء، كليفورد سيمالك، ترجمة، د. عبد القوي عياد، القاهرة، الهيئة المصرية العامة

للكتاب، ١٩٧٥ ص ١٩٥

فانفصلت، وأخذت أشكالها الكروية، وأدت إلى ظهور هذا الكون بصورته التي نعرفها الآن.

وإن الأرض كانت قطعة من الشمس، ثم انفصلت عنها، فما فسره يتفق أيضا مع ما يقوله العلماء من أن الأرض كانت كتلة نارية ولهم في ذلك أدلة وقد مر معنا- فإذا كان الأمر كذلك فإن الأرض أيام ذلك لاتنبت ولا السماء تمطر<sup>1</sup>.

### ملخص القول

الإمام محمد بن جرير الطبري رحمه الله الذي عاش في القرن الثالث من الهجري قد اتبع 'المنهج الجامعي' في التفسير، فيرى أن السموات والأرض كانتا رتقا ولا ثقب فيهما، وفي رأيه بين أهل التأويل إختلاف في إستخدام كلمة 'رتق' وصفا للسموات والأرض، ويحكي كسائر المفسرين قبله وبعده عن ابن عباس رضي الله عنه رأيه حيث قال كانت (السموات والأرض) ملتصقتين، ثم رفع الله السماء ووضع الأرض، ويحكي عن رأي الإمام الحسن والإمام قتادة بهذا الصدد حيث إنهما رأيا أن السموات والأرض كانتا جمعا ففصل الله بينهما بالهواء، ورأي الآخر أنه كانت السموات مرتتقة ثم فصل الله فيها وجعل سبع سماوات، وكذلك الأرض أيضا، ففتق الله وجعلها سبع أراض.

وفي رأي الزمخشري رضي الله عنه الذي عاش في القرن الخامس للهجري، كانت السماء لاصقة بالأرض ولافضاء بينهما، في القرن السادس من الهجري، المفسرون مثل الإمام فخر الدين الرازي يوافق بأقوال السابقين ويعطي معنى 'السد' لكلمة 'الرتق'، والقرطبي من هذا القرن يقول حكاية من كعب رضي الله عنه خلق الله السموات والأرض بعضها على بعض وخلق ريحا بوسطها وفتحها بالريح، ولكن في تفسير الجلالين من القرن

<sup>1</sup> على هامش التفاسير تعليقات على تفسير الجلالين، السيد إسماعيل شهاب الدين، ص: ٤٦٤/٤

الخامس والسادس يرى الإمام السيوطي والمحلي أن الله جعل السماء سبعا والأرض سبعا ثم فتق السماء فامطرت، وفتق الأرض فأنبئت. في رأي البيضاوي من القرن السابع للهجري كانتا شيئاً واحدة متحدة ثم فتقت بالتحريكات المختلفة حتى صارت أفلاكاً، وكذلك كانت الأرضون واحدة ثم جعلت بكيفيتها أحوالها طبقات أو أقاليم.

والشنقيطي رحمه الله من القرن العشرين للميلادي يضمن عدة أقوال في هذه القضية في تفسيره، في قوله كانتا متلاصقتين كما رأى جميع المفسرين، ففتق وفصل الله بينهما بالهواء، ورفع الله السماء إلى مكانها وأقر الأرض في مكانها، وفي قول آخر كانتا متلاصقتين في أول الأمر ثم فتقها الله وفصلها وجعلها سبع سماوات، بين كل إثنين من السموات فصل، والأرض كذلك سبع بعضها منفصل عن بعض.

ومفسر عصر الحديث أحمد بن مصطفى المراغي رحمه الله يفصل هذه الظاهرة جيداً مع مساعدة اكتشافات علم الحديث في هذه القضية، وهو يحكي نظرية علماء الفلك من العصر الحديث، ويشارك مع القراء تأويله لهذه الآية، وهو يشير إلى رتق الكون في ضوء الإختراعات في علم الحديث، وفي قوله يدل البحث على أنها كلها كانت مجموعة واحدة، انفصل بعضها من بعض بأسباب خاصة بقدر الله العزيز العليم، وقد أرشد إلى بيان هذا خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله، ولم يكن قومه ولا الأمم المعاصرون لهم يفكرون فيه، مما يدل على أن ذلك وحي أوحى إليه من لدن عليم خبير.

وفي رأي المفسر المعاصر إسماعيل شهاب الدين كلمة 'رتق' تعني ضم وجمع، وكلمة 'فتق' تعني فصل أي: أن السموات والأرض كانتا مجموعتين ففصلهما الله تبارك وتعالى. ويلاحظ البلاغة العلمية الإعجازية في كلمتي 'رتق' و 'فتق' ويفسرهما دلالياً، في رأيه كل رتق قابل للفتق، وكل فتق قابل للرتق، والرتق جمع لما تفرق من بعد ما

وصل، والفتق تشير إلى انفصال شيئين كانا قد وصلا من بعد تفرق، إذن فالرتق سبقه فتق.

وإنه يرى قد أثبت العلم الحديث ما جاء به القرآن بعد جهد شاق طويل، والأبحاث الجيولوجيا والتحاليل الأرضية إكتشفت أن الأرض والشمس ومختلف الكواكب والأجرام إنما كانت سديما في الفضاء وأن الأرض انفصلت عن هذا السديم، وأدلوأ أن العناصر التي تتكون منها الشمس والأرض سواء في طبيعتها. والصابوني رحمه الله من المعاصرين أيضا شرح هذين الكلمتين دلاليا، في رأيه الرتق معناه الضم والإلتحام، وهو ضد الفتق. وعندما يقارن تأويل المفسرين ونظريات العلم الحديث المذكورة أعلاه في هذه القضية، يرى أن المفسرين عبر القرون حاولوا حسب قدرتهم ومستوى معرفتهم في الوقت الذي عاشوا فيه أن يؤوّل هذه الآية، والنقطات المهمة التالية التي يلاحظ منها:

- حاول المفسرون أن يعطي معنى موافقا للوقت لكلمة 'رتق' و'فتق'
- حققوا أن السموات والأرض كانتا متلاصقتان مرتتقتان ليس بينهما فضاء ولا ثقب
- اختلفوا في الفصل بينهما، بينهم من رأى قد فصل الله بينهما بالهواء والريح، ورأى البعض فصل الله بينهما بالحركات المختلفة
- بيّنوا أن الله رفع السماء ووضع الأرض بعد الفصل بينهما
- رأى البعض أن الله أمطر من السماء وأنبت النبات في الأرض بعد الفصل، ومنهم من رأى بين السموات السبع منفصل، والأرض كذلك سبع وبينها منفصل أيضا
- توصل العلم الحديث إلى نظريته المميزة 'الإنفجار العظيم (big bang)' في عام ١٩٢٧ م

- أول من تحدث عن الانفجار العظيم هو جورج إدوارد لوميتر عام ١٩٢٧ م، ثم ساعده صديقه إدوين هابل عام ١٩٢٩ م.
  - في نظرية العلم الحديث بداية الكون على شكل كتلة ساخنة، توجد فيه كتلة الجسيمات الذرية الأولية مزدحمة مع بعضها
  - هذه الكتلة غير مستقرة، فتنفجر عند وقت ما، والانفجار كان قويا بأن الحرارة عالية
  - 'الانفجار العظيم' صار اسما واصطلاحا مستخدما لهذه الظاهرة
  - اندفعت كل مادة الذرة الضخمة إلى الخارج، فأصبح الكون وجودا في جزء من الثانية
  - نظرية العلم الحديث لاتخالف معنى الآية في مادتها ومعناها
  - الآية وتفسير الآية ونظرية العلم الحديث كلها توافق على أن السموات والأرض كلها كانت مجموعة واحدة، انفصل بعضها من بعض بأسباب خاصة
  - بالجملة قد تطورت كلمة 'رتق' و'فتق' لضمن النظرية الحديثة
- فواضح مما سبق أن المفسرين قد اتخذوا موقفا لغويا في بيان هاتين الكلمتين في العصر القديم، ولكن نرى المفسرين في العصور المتأخرة يبين هاتين الكلمتين وينسبونهما إلى ظاهرة 'الانفجار العظيم' حتى قدموا آراء مختلفة حولها على ضوء مخترعات العلوم الحديثة .

### ٣. الموسعون (توسع الكون)

يقول سبحانه وتعالى في سورة الذاريات: (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ)<sup>١</sup>.

كلمة 'الموسع' وردت مرة واحدة في القرآن الكريم، وهي في سورة البقرة، وردت 'موسعون' مرة واحدة أيضا في سورة الذاريات فقط.

تعطي هذه الآية الكريمة مشهدا آخر من مشاهد خلق الكون وتطوره، وهذا هو الطور الثاني الذي مرت به حركة الكون، فبعد أن طرأ عليه الانفجار العظيم، هبطت درجة حرارته المرتفعة، وبدأ بالتبرّد، والتوسع، والانتشار، والتمدد الدووب المستمر.

### كلمة 'الموسع' في المعاجم اللغوية

'موسع' فاعل 'أوسع' مصدره إيساع، في كتاب العين يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي: "أوسع الرجل: إذا صار ذا سعة في المال، فهو موسع وإنه لذو سعة في عيشه، وسير وسيع ووساع، ورحمة الله وسعت كل شيء"<sup>٢</sup>.

في لسان العرب يعطي ابن منظور تعريفا لكلمة موسع: "وهو الذي وسّع رزقه جميع خلقه ووسعت رحمته كل شيء، وغناه كل فقر، ويقال: الواسع المحيط بكل شيء ... والسعة، نقيض الضيق واستوسع الشيء، وجده واسعا وطلبه واسعا، وأوسعته ووسّعه، صيّره واسعا، وقوله تعالى: (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) أراد جعلنا

<sup>١</sup> سورة الذاريات، الآية: ٤٧

<sup>٢</sup> كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص: ٢٧٠/٤

بينها وبين الأرض سعة، جعل أوسع بمعنى وسع، وقيل: أوسع الرجل صار ذا سعة وغنى، وقوله: (وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) أي أغنياء قادرين<sup>١</sup>.

وقد ورد في معجم الوسيط: "أوسع (فلان): كثر ماله وصار ذا سعة وغنى، وأوسع الله عليه، وعليه رزقه، وفي رزقه: بسطه وكثره، وأغناه. وأوسع الشيء: صيّرته واسعا"<sup>٢</sup>. وورد في معجم المعاني أن هذا الإصطلاح هو "لغة ضد المضيق، أي جعله أكثر سعة"<sup>٣</sup>.

### التفسير والتأويل للآية عند المفسرين عبر الزمان

معظم المفسرين القدماء والحديث قد سجلوا في تفاسيرهم معنى كلمة 'موسع' مثلا: في تفسير الكشاف يقول الزمخشري رحمه الله (ت ٥٣٨ هـ): "بأيد بقوة. والأيد والآد: القوة. وقد آد يئيد وهو أيد وإنّا لموسعون لقادرون، من الوسع وهو الطاقة. والموسع: القوى على الإنفاق. وعن الحسن: لموسعون الرزق بالمطر"<sup>٤</sup>.

يقول فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) من القرن السادس والسابع للهجري في كتابه 'مختار الصحيح': "وسعه الشيء بالكسر يسعه سعة بالفتح، والوسع والسعة بالفتح الجدة والطاقة، وأوسع الرجل صار ذا سعة وغنى، ومنه قوله تعالى: (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) أي أغنياء قادرين ويقال: أوسع الله عليك، أي

<sup>١</sup> لسان العرب، ابن منظور، ص: ٣٩٢/٨

<sup>٢</sup> معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية: ص ١٠٣١

<sup>٣</sup> معجم المعاني الجامع <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar>

<sup>٤</sup> تفسير الكشاف، جار الله الزمخشري، ص: ٤٠٤/٤

أغناك، والتوسيع خلاف التضييق، تقول: وسع الشيء فاتسع واستوسع أي صار واسعاً، وتوسعوا في المجلس تفسحوا".<sup>١</sup>

يقول الإمام القرطبي (ت ٦٧١ هـ) رحمه الله: "في السماء آيات وعبر تدل على أن الصانع قادر على الكمال، فعطف أمر السماء على قصة قوم نوح لأنهما آيتان، ومعنى (بأيدي) أي بقوة وقدرة، عن ابن عباس وغيره: (وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) قال ابن عباس: لقادرون، وقيل: أي وإنا لذو سعة، وبخلقها وخلق غيرها لا يضيق علينا شيء نريده، وقيل: أي وإنا لموسعون الرزق على خلقنا، ومنه أيضاً، وإنا لموسعون الرزق بالمطر وقيل: جعلنا بينهما وبين الأرض سعة".<sup>٢</sup>

ويقول الإمام البيضاوي (ت ٦٩١ هـ) وهو المفسر من القرن السابع الهجري: "إنا لموسعون، أي لقادرون من الوسع، بمعنى الطاقة، والموسع: القادر على الإنفاق، أو لموسعون السماء، أو ما بينها وبين الأرض، أو الرزق".<sup>٣</sup>

وابن كثير رحمه الله (ت ٧٧٤ هـ) يقول في تفسيره: "(وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ)، أي: قد وسّعنا أرجاءها ورفعناها بغير عمد، حتى استقلت كما هي".<sup>٤</sup>

وفي تفسير 'فتح القدير' للشوكاني رحمه الله (ت ١٢٥٥ هـ) وهو يقول: "إنا لموسعون، الموسع: ذو الوسع والسعة، والمعنى إنا لذو سعة بخلقها وخلق غيرها، لا

<sup>١</sup> مختار الصحاح، فخر الدين الرازي، ص: ٢١٠ / ١

<sup>٢</sup> الجامع لأحكام القرآن، محمد بن فرح القرطبي، ص: ٥٢ / ١٧

<sup>٣</sup> أنوار التنزيل، عبد الله بن عمر البيضاوي، ص: ٢٤١ / ٥

<sup>٤</sup> تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر ابن كثير، ص: ٢٦٠ / ٤

نعجز عن ذلك، وقيل: لقادرون، من الوسع بمعنى الطاقة والقدرة، وقيل: إنا لموسعون الرزق بالمطر"<sup>١</sup>.

وفي تفسير 'روح المعاني' يقول صاحبه الإمام الآلوسي رحمه الله (ت ١٢٧٠هـ): "والسما، أي وبنينا السماء بنيناها بأيد: أي بقوة، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة، ومثله الآد، وليس جمع يد، وجوزه الإمام، وإن صححت التورية به، وإنا لموسعون، أي لقادرون، من الوسع بمعنى الطاقة، فالجملة تذييل إثباتا لسعة قدرته عز وجل كل شيء، فضلا عن السماء، واليد بمعنى النعمة لا الإنعام، وقيل: أي لموسعوها بحيث أن الأرض وما يحيط بها من الماء والهواء بالنسبة إليها محلقة في فلاة، وقيل: أي لجاعلون بينها وبين الأرض سعة، والمراد السعة المكانية"<sup>٢</sup>.

في تفسير المراغي (ت ١٩٥٢م/١٣٧١هـ) يقول صاحبه: الأيد والآد: القوة، لموسعون: أي لذو سعة يخلقها وخلق غيرها من الوسع بمعنى الطاقة، (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) أي ولقد بنينا السماء ببديع قدرتنا، وعظيم سلطاننا، وإنا لقادرون على ذلك لا يمسنا نصب ولا لغوب"<sup>٣</sup>.

ويقول سيد قطب رحمه الله (ت ١٣٨٥ هـ) في ظلال القرآن: "والأيد: القوة، والقوة أوضح ما ينبئ عنه بناء السماء الهائل المتناسك المتناسق، بأي مدلول من مدلولات كلمة السماء، سواء كانت تعني مدارات النجوم والكواكب، أم تعني مجموعة من المجموعات النجمية التي يطلق عليها اسم المجرة، وتحوي مئات الملايين من النجوم

<sup>١</sup> فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، ص: ٩١/٥

<sup>٢</sup> روح المعاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي، ص: ١٧/٢٧

<sup>٣</sup> تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ص: ٢٢٦/٩

والكواكب... والسعة كذلك ظاهرة، فهذه النجوم ذات الأحجام الهائلة والتي تعد بالملايين، لا تعد أن تكون ذرات متناثرة في هذا الفضاء الرهيب".<sup>١</sup>

ويقول ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) رحمه الله في تفسيره 'التحرير والتنوير': "والموسع: اسم فاعل من أوسع، إذا كان ذا وسع، أي قدرة، وتصاريفه جائية من السعة، وهي امتداد مساحة المكان ضد الضيق".<sup>٢</sup>

وفي رأي الشيخ طنطاوي جوهرى (ت ١٤٢٠ هـ) رحمه الله: "وإننا لقادرون على توسعتها بتلك الصورة العجيبة".<sup>٣</sup>

يقول ابن عثيمين (ت ١٤٢١ هـ): "أي: لموسعون أرجاءها، لأنها واسعة عظيمة محيطة بالأرض من كل جانب".<sup>٤</sup>

السيد اسماعيل شهاب الدين (ت ١٤٣١ هـ) رحمه الله يقول: "هذه السماء باطراد؛ فهي دائما في توسع، أو قد جعلناها واسعة..... والملاحظ: أنه قد استعمل اسم الفاعل 'موسع' واسم الفاعل في اللغة العربية يفيد - في بعض الحالات - الإستمرار، ومن ثم فإن الآية هنا تشير إلى سعة الكون من ناحية، كما تشير إلى موضوع تمدد الكون وتوسعه المطرد".<sup>٥</sup>

<sup>١</sup> في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي، ص: ٦/ ٣٣٨٥

<sup>٢</sup> التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، ص: ٢٧/ ٣٦

<sup>٣</sup> الجواهر في تفسير القرآن الكريم، الشيخ طنطاوي جوهرى، ص: ٢٦/١٤

<sup>٤</sup> تفسير القرآن الكريم (من سورة 'الحجرات إلى الحديد)، محمد بن صالح العثيمين، ص: ١٦٠-١٦١ (درا الثريا للنشر، ط: ٢٠٠٤م)

<sup>٥</sup> على هامش التفاسير، السيد إسماعيل شهاب الدين، ص: ٦/ ٤٢٦

والإمام الصابوني (ت ١٤٤٢ م) رحمه الله يقول في تفسيره 'صفوة التفاسير': أي وأنا لموسعون في خلق السماء، فإن الأرض وما يحيط بها من الهواء والماء بالنسبة لها كحلقة صغيرة في فلاة<sup>١</sup>.

في نظرية العلم الحديث: 'توسع الكون' وهو أحدث الإكتشاف، في بداية القرن العشرين، عالم الفيزياء الروسي 'ألكسندر فريدمان' وعالم الكونيات البلجيكي 'جورج لاميتار'<sup>٢</sup> من الناحية النظرية حسبا أن الكون هو في حركة مستمرة وأنه يتوسع. وقد ثبت إدوين ب هابل<sup>٣</sup>، عالم الفلك الأمريكي، هذه الحقيقة أيضا من خلال بيانات الرصد، وهو الذي توصل إليه في عام ١٩٢٩ م.

شاهد هابل أثناء مراقبته السماء باستخدام جهاز تالسكوب، أن النجوم والمجرات يتحرك باستمرار بعيدا بعضها عن البعض، وكل شيء في الكون يتحرك بعيدا واحد عن الآخر باستمرار، حتى وصل العلماء إلى الملاحظات التي نفذت في السنوات التالية متحققا بأن الكون يتوسع باستمرار.

يقول الدكتور حامد: " فبينما كان أدوين هابل يراقب النجوم بمنظاره، اكتشف أن لون الطيف<sup>٤</sup> الصادر من هذا النجم يتحول إلى اللون الأحمر ومعنى هذا حسب نظريات علم الفيزياء الفلكية astrophysics أنه عندما ينقلب لون الطيف الصادر من جسم سماوي (سوبر نوبا) إلى الأشعة الحمراء، فإن هذا يعني أن النجم يبتعد

<sup>١</sup> صفوة التفاسير، الإمام محمد علي محمد علي الصابوني، ص: ٢٥٧/٣

<sup>٢</sup> Alexander Friedman (1888-1925), a Russian Physicist and Mathematician, Georges Lemaitre (1894-1966), a Belgian Cosmologist and Mathematician

<sup>٣</sup> Edwin Powell Hubble (1889-1953), an American Astronomer who has observationally confirmed the "theory of an Expanding Universe" by Georges Lemaitre

<sup>٤</sup> اللون الطيفي هو لون يثار بطول موجة وحيدة من الضوء في الطيف المرئي، أو بحزمة ضيقة نسبيا من أطوال الموجات

عن الأرض وأما إذا كان هذا النجم يقترب من الأرض فإن الطيف يظهر اللون الأزرق وكان هذا أول اكتشاف لهابل من ناحية حركة النجوم.

وتابع هابل أبحاثه، فاكتشف أن النجوم لا تبتعد عن الأرض فحسب، بل يبتعد بعضها عن بعض بما يشبه البالون عند نفخه، أي أنك إذا رسمت نقاطا على البالون ثم نفخته تجد ان النقاط المنتشرة على سطح تبتعد بعضها عن بعض بما يجعلنا نتصور أن الكون كله يشبه ذلك البالون، وهذا يدل على أن هذا الكون في تمدد دائم كل ثانية.

توصل أدوين هابل بعد ذلك إلى أن الكون يتمدد باستمرار وبسرعة متزايدة. واكتشف أيضاً أن المجرات التي ولدت تبتعد عن مركز الانفجار الأول وكذلك تبتعد عن بعضها البعض. هذا الاكتشاف دفع ببعض العلماء الفلكيين الآخرين إلى التساؤل حينذاك حول صحة هذا الاكتشاف وظن معظمهم بأن هابل قد أخطأ. فالفكرة كلها بدت صعبة التصديق لأن ذلك يستوجب الكثير من التغيير في طريقة التفكير التي كان يتبعها العلماء في نشأة الكون وأن الكون ثابت.

وليس هذا فحسب بل إن الكون يتمدد بسرعة تزيد باطراد، على عكس ما كان يتوقع علماء الفيزياء المتأثرين بقوانين الجاذبية..... إلى أن اقتنعوا بوجود مادة سوداء في الكون لا يرونها وأنها هي السبب وراء تزايد سرعة التمدد<sup>1</sup>.

والنتيجة التي حصل عليها علماء الفلك هي معظم المجرات البعيدة عن الأرض تهرب مبتعدة بسرعات كبيرة حتى تبعد إلى آلاف الكيلومترات في الثانية الواحدة، ولذلك

<sup>1</sup> د. حامد الحامد دكتوراه في هندسة الفضاء وباحث متخصص في تفسير القرآن، 'تمدد الكون'، مقالة منشورة على موقع [/https://quran-m.com](https://quran-m.com)

نجد ضوءها منحرفاً في اللون الأحمر. وبعد تطور أجهزة القياس والتحليل في العصر الحديث باستخدام برامج الكمبيوتر تم تأكيد توسع الكون على أساس علمي.

والآية الكريمة (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) تؤكد على أن الكون أي السماء هو في حالة توسع دائم، بدلالة لفظ 'موسعون' فهو اسم فاعل بصيغة الجمع لفعل أوسع وهو يفيد الاستمرار، لكن القرآن لم يبين تفاصيل الاتساع وإنما أورده مجملاً.

إن حركة ابتعاد المجرات ناتجة عن توسع الفضاء نفسه حيث تنساق معه المجرات كلها، وهي أشبه ما تكون بكتل غازية هائلة من الدخان لا تزال تتوسع وينتشر ويتوسع معها الكون منذ الانفجار العظيم في الكتلة الغازية الأولى، وقد أشارت الموسوعة الفضائية إلى هذه الظاهرة. واتفق الفلكيين في النصف الثاني من القرن العشرين على حقيقة توسع الكون أسقطت فرضية أزلية الكون وقديميته، وثبت علمياً أن للكون بداية ونهاية، ووجه الإعجاز في الآية القرآنية الكريمة هو دلالة لفظ 'موسعون' الذي يفيد الماضي والحال والإستقبال، على أن الكون في حالة توسع مستمر، وهذا ما كشفت عنه المشاهدات الفلكية للعالم 'هابل' عام ١٩٢٩ م.

وفي مقالة 'موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم' نشرت على موقع (<http://kaheel7.com>) يقال: "حتى بداية القرن العشرين كان العلماء يظنون بأن هذا الكون ثابت لا يتغير، وجد هكذا وسيستمر إلى ما لانهاية على ما هو عليه. فالشمس تطلع كل يوم من الشرق وتغيب من الغرب، والقمر أيضاً له منازل محددة طيلة الشهر، وفصول السنة من شتاء وصيف وربيع وخريف تتعاقب باستمرار، والنجوم كما هي. ففي النصف الأول من القرن العشرين تم اختراع أجهزة دقيقة قادرة على

تحليل الضوء القادم من النجوم البعيدة، وكانت المفاجأة التي أذهلت العالم هي انحراف هذا الضوء نحو اللون الأحمر<sup>1</sup>.

## ملخص القول

وهذا يتوضح من التفسير والتأويل لهذه الآية في التفاسير المشهورة عبر الزمان المذكورة أعلاه، أن الدلالة أو المعنى لكلمة 'موسعون' تطورت وتغيرت تدريجياً. في القرون الأولى من الهجري حاولوا لتبيين هذه الآية بمعنى المعجمية الأصلية، في حين لم تكن الكلمة 'موسعون' إصطلاحاً خاصة متعلقة بالكون، حينئذ المعرفة العلمية عن الكون وتوسعه لم يكن في مستوى عالية من التقدم بقلة التسهيلات للبحث.

المفسرون من القرون الأولى من الهجري بينوا كلمة 'الموسع' في تفسيرهم بإعطاء المعنى مثل 'القوي على الإنفاق'، 'موسعون الرزق بالمطر'، 'أوسع الله عليك أي أغناك'، 'موسعون الرزق على خلقنا'، 'وجعلنا بينهما وبين الأرض سعة'، هذه البيانات كلها مقصورة على دائرة المعنى المعجمية.

خلفاً عن جميع البيانات أعلاه، ابن كثير رحمه الله الذي عاش في القرن الثامن للهجري أعطى معنى مختلفاً لهذه الكلمة، وحاول أن يفسر الكلمة هكذا 'قد وسّعنا أرجاءها ورفعناها بغير عمد'، هذا المعنى أكثر موافقاً لإصطلاحية الكلمة من المفسرين السابقين.

بعد القرن العاشر للهجري حاول المفسرون مثل الشوكاني والآلوسي لإكتشاف معنى أكثر موافقاً لهذه الكلمة، واكتشفوا معانها مثل 'إننا لندو سعة بخلقها وخلق

<sup>1</sup> موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم: مقالة التي نشرت على موقع

(<http://kaheel7.com/pdetails.php?id=357&ft=2>)

غيرها، لانعجز عن ذلك، 'لجاعلون بينها وبين الأرض سعة، والمراد السعة المكانية'. أما المفسرون بعد القرن العشرين أعطوا معنى أكثر وضحا وموافقا للكلمة، وساعدهم لذلك التقدم العلمي وتطوره في اكتشاف معلومات جديدة في توسع الكون. ابن عاشور رحمه الله يقول في تفسيره 'وهي امتداد مساحة المكان ضد الضيق'. وسعة معنى الكلمة توجد في قول الشيخ طنطاوي جوهرى رحمه الله 'وأنا لقادرون على توسعتها بتلك الصورة العجيبة'.

وكذلك في قول ابن عثيمين 'لموسعون أرجائها'، والسيد اسماعيل شهاب الدين فسرها دلاليا، في رأيه أن السماء 'فهي دائما في توسع'، واستدل إن صيغة إسم الفاعل يفيد - في بعض الحالات - الإستمرار، ومن ثم فإن الآية هنا تشير إلى سعة الكون من ناحية، وهذه النظرية أكثر واضحة في المعنى. وقد فسّر الصابوني رحمه الله 'وأنا لموسعون في خلق السماء، ومن أهم نقاط التي من هذا البحث هي:

- ظن العلماء وعامة الناس حتى القرن العشرين للميلادي، أن الكون ثابت لا يتغير، سيستمر إلى ما لا نهاية على ما هو عليه
- تم إختراع توسع الكون المستمر في عام ١٩٢٩م بأيدي العالم هابل
- في نظرية العلم الحديث إن حركة إبتعاد المجرات ناتجة عن توسع الفضاء
- الوجه الإعجاز في الآية القرآنية هو 'دلالة لفظ موسعون'
- المفسرون الكبار منذ زمن القديم حكوا التفسير المأثور من ابن عباس وغيره من الجيل الأولى من المفسرين
- أعطوا معنى الأصلية المعجمية للكلمة لتفسير الآية
- تطور المعنى من الأصلية وتقدمت إلى الإصطلاحية عبر الزمان
- تطورت الكلمة من معنى 'القوي على الإنفاق' و'موسعون الرزق بالمطر' إلى الدلالة الحديثة مثل 'توسع الكون' أو 'وأنا لقادرون على توسعتها'

ومن المفهوم ما كانت العلوم على مستوى متقدمة في العهود قبل القرن العشرين بقلّة الجهاز المبدعة والمتدرجة، ولكن المفسرين الذين عاشوا في القرن العشرين مثل الشيخ طنطاوي جوهرى رحمه الله أعطى معنى موافقا لإكتشاف العلمي الحديث في هذا الموضوع. 'توسع الكون' هي قضية مستحدثة في الاستنباط العلمي في القرن العشرين الميلادي. كانت النظرة الوحيدة السائدة في عالم العلمي حتى إلى أوائل القرن العشرين أن الكون ثابت الطبيعة وقد وجدت منذ وقت لاحصر له. ولكن البحث والملاحظات والحسابات التي تتم عن طريق التكنولوجيا الحديثة كشفت أن الكون في الواقع كان له بداية، وأنه باستمرار 'يتوسع'.

وفي ضوء نظرية العلمية العليا، إن استخدام الكلمة 'الموسعون' في الآية بعدما بيّن عن قدرة الله تعالى في بناء السماء أمر لا يستهان بها، على الإطلاق إنه تعالى يستر عجائبه وراء معاني الكلمة. فواضح مما سبق أنه تم اكتشاف توسع الكون المستمر علميا في القرن العشرين، وقد أثر هذا الإختراع على علم التفسير حيث نرى علماء التفسير يشيرون إلى هذا الإكتشاف وتفصيلها، فبالنسبة إلى تفسير هذه الآية نرى المفسرين في القرن العشرين مثل سيد قطب، وابن عاشور، والشيخ طنطاوي جوهرى وغيرهم يقدمون مناقشة حول اكتشاف العلم الحديث وتفصيله.

## ٤. دخان السماء

إستخدم الله تعالى كلمة "دخان" في موقفين مختلفين من سورة 'الدخان' وسورة 'فصلت'، هما "فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين" <sup>١</sup>، و"ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض إئتيا طوعا أوكرها قالتا أتينا طائعين" <sup>٢</sup>، في آراء المفسرين مثل ابن عباس رضي الله عنه أن الله قد إستخدم كلمة "الدخان" في سورة الدخان لإنذار الكفار عن عذاب أليم في يوم القيامة، ومن المفهوم من تعاليم الرسول أن 'الدخان' علامة من علامات يوم الساعة.

### كلمة 'الدخان' في المعاجم اللغوية

في كتاب العين يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي: دخن الدخان دخونا: سطم،.. ودخن الغبار، أي سطم، والدخنة: بخور تدخن به" <sup>٣</sup>.

في لسان العرب يقول صاحبه ابن منظور: "وليلة دخنانة: كأنما تغشاها دخان من شدة حرّها. ويوم دخنان: سخنان. وقوله عز وجل: يوم تأتي السماء بدخان مبين؛ أي بجذب بين" <sup>٤</sup>. وفي المعجم الوسيط: "الدخان: ما يتصاعد عن النار من دقائق الوقود غير المحترقة" <sup>٥</sup>.

في مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني إنه يقول: "الدخان كالعثان: المستصحب للهب، قال: (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ: ١١/فصلت)، أي: هي

<sup>١</sup> سورة 'الدخان'، آية ١٠-١١

<sup>٢</sup> سورة فصلت، آية ١١

<sup>٣</sup> كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص: ١٤/٢-١٥

<sup>٤</sup> ابن منظور، لسان العرب، ص: ١٣/١٤٩-١٥٠

<sup>٥</sup> المعجم الوسيط، ص: ٢٧٦

مثل الدخان، إشارة إلى أنه لاتماسك لها، ودخنت النار تدخن: كثر دخانها<sup>١</sup>. في معجم المعاني الجامع: "دخان: جمع: أدخنة. (د خ ن):- يتصاعد الدخان من الحرائق: مادة غازية ناتجة عن الأجسام المحترقة ترتفع في الفضاء"<sup>٢</sup>.

### التفسير والتأويل للآية عند المفسرين عبر الزمان

يقول الإمام محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) رحمه الله في جامعهم: "وقوله (يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ) اختلف أهل التأويل في هذا، الذي أمر الله عز وجل على نبيه ﷺ أن يرتقبه، وأخبره أن السماء تأتي فيه بدخان مبين: أي يوم هو، ومتى هو؟ وفي معنى الدخان الذي ذكر في هذا الموضع، فقال بعضهم: ذلك حين دعا رسول الله ﷺ على قريش ربه تبارك وتعالى أن يأخذهم بسنين كسني يوسف، فأخذوا بالمجاعة، قالوا: وعنى بالدخان ما كان يصيبهم حينئذ في أبصارهم من شدة الجوع من الظلمة كهيئة الدخان"<sup>٣</sup>.

يقول الإمام القرطبي (ت ٦٧١ هـ) في تفسيره: (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ) أي عمد إلى خلقها وقصد لتسويتها. والاستواء من صفة الأفعال على أكثر الأقوال، و"ثم" ترجع إلى نقل السماء من صفة الدخان إلى حالة الكثافة، وكان ذلك الدخان من تنفّس الماء حين تنفّس"<sup>٤</sup>.

قال الإمام الآلوسي رحمه الله (ت ١٢٧٠ هـ) في تفسيره 'روح المعاني': "وقد ذكرنا فيما سلف طرفا منه ويشعر ظاهر كلام البعض أن في الكلام مضافا محذوفا أي ثم

<sup>١</sup> مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني: ص: ٣١٠

<sup>٢</sup> <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/دخان/>

<sup>٣</sup> جامع البيان، محمد بن جرير الطبري: ص ١٣/٢١

<sup>٤</sup> الجامع لأحكام القرآن، محمد بن فرح القرطبي، ص: ٢٢٤/٨

استوى إلى خلق السماء وهي دخان أمر ظلماني ولعله أريد به مادتها التي منها تركبت وأنا لا أقول بالجواهر الفردة لقوة الأدلة على نفيها ولا يلزم من ذلك محذور أصلاً كما لا يخفى على الذكي المنصف، وقيل: إن عرشه تعالى كان قبل خلق السموات والأرض على الماء فأحدث الله تعالى في الماء سخونة فارتفع زبد ودخان فأما الزبد فبقي على وجه الماء فخلق الله تعالى فيه اليبوسة وأحدث سبحانه منه الأرض وأما الدخان فارتفع وعلا فخلق الله تعالى منه السماوات"<sup>١</sup>.

والمفسر المشهور صديق حسن خان القنوجي (ت ١٣٠٧ هـ) يقول: "(وَهِيَ دُخَانٌ) هو ما ارتفع من لهب النار ويستعار لما يرى من بخار الأرض، قال المفسرون هذا الدخان هو بخار الماء، وقياس جمعه في القلة أدخنة، وفي الكثرة دخيان، وهي من باب التشبيه الصوري لأن صورتها صورة الدخان في رأى العين، وخص سبحانه الاستواء إلى السماء مع كون الخطاب المترتب على ذلك متوجهاً إليها وإلى الأرض"<sup>٢</sup>.

أحمد بن مصطفى المراغي رحمه الله (ت ١٣٧١ هـ) يقول: "أي ثم دعا داعي الحكمة إلى خلق السماء وهي مادة غازية أشبه بالدخان أو بالسحاب أو بالسديم وتسمى في العلم الحديث (عالم السديم) وقد شاهدوا من تلك العوالم اليوم عوالم كثيرة في عالم السديم آخذة في البروز كما برزت شمسنا وسياراتها، وأرضها وكانت في الأصل دخاناً"<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي،

ص: ٣٥٥/٨

<sup>٢</sup> فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان القنوجي، ص: ١٥٣/٦

<sup>٣</sup> تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ص: ١١١/٨

وفي تفسير الشيخ طنطاوي جوهرى (ت ١٤٢٠ هـ) يقول رحمه الله: "والدخان: ما ارتفع من لهب النار. والمراد به هنا: ما يرى من بخار الأرض أو بخار الماء ويصح أن يكون معنى: ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ: تعلق إرادته- تعالى- بخلقها"<sup>١</sup>.

في رأي السيد اسماعيل شهاب الدين: "إن هناك إعتقاداً أنه قبل خلق النجوم كان هناك ما يسمى 'السديم'، وهذا السديم غاز... دخان، والسدم - من نيرة ومعممة - ليس الذي بها من غاز وغبار إلا ما تبقى من خلق النجوم، إن نظرية الخلق تقول: إن المجرة كانت غازاً وغباراً، ومن هذين تكونت بالتكثف النجوم، وبقيت لها بقية. ومن هذه البقية كانت السدم. ولا يزال من هذه البقية منتشراً في هذه المجرة الواسعة مقدار من غاز وغبار، يساوي ما تكونت منه النجوم، ولا تزال النجوم تحرص منه بالجاذبية إليها، فهي تكنس السماء منه كنساً ولكن الكناسين برغم أعدادهم الهائلة قليلون بالنسبة لما يراد كنسه من ساحات أكبر وأشد هولاً! وهذا الكلام قد يكون صحيحاً، لأنه أقرب ما يكون إلى مدلول الحقيقة القرآنية: "ثم استوى إلى السماء وهي دخان"، وإلى أن خلق الله السماوات في زمن طويل، في يومين من أيام الله"<sup>٢</sup>.

يقول الصابوني (ت ١٤٤٢ هـ) رحمه الله في تفسيره: "أي عمد إلى خلقها وقصد إلى تسويتها وهي بهيئة الدخان"<sup>٣</sup>.

والحقائق التي كشفها العلم الحديث الآن تقول إن انفجار أنظمة الطاقة الشمسية والمجرات والكون سوف ينتج كمية هائلة من الدخان. إن العلماء الحديث يقولون

<sup>١</sup> التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الشيخ طنطاوي جوهرى، ص: ٣٣٢/١٢

<sup>٢</sup> على هامش التفاسير، السيد إسماعيل شهاب الدين، ص: ١٥٧/٦

<sup>٣</sup> صفوة التفاسير، محمد علي محمد علي الصابوني، ص: ١١٧/٣

أن إنفجار 'السوبر نوبا'<sup>1</sup> (إنفجار النجوم) تبث كميات ضخمة من الدخان، يقول صاحب الموقع: "الحقائق الهامة من علم الفلك اليوم أن الدخان الكوني ينتشر بكميات هائلة في الكون، وهو يحجب الضوء الصادر عن معظم النجوم، هذا الدخان يغطي سطح الكواكب، في أول الأمر، ظن العلماء من الغرب أن هذا غبار منتشرة في هذا الكون الواسع، ولكنهم أخيراً إترفوا بأن التسمية لهذه المظاهر ليست دقيقة علمية، بل إن كلمة "دخان" هي الأدق، ولذلك يقولون بعدما اكتشفوا الدخان المنبعث من إنفجارات النجوم 'السوبر نوبا'<sup>2</sup>.

### ملخص القول

هذا واضح من البحث أن محمد بن جرير الطبري رحمه الله يرى إن أهل التأويل إختلفوا في تأويل هذا المصطلح، فبينهم من رأى أخبر الله نبيه أن السماء تأتي فيه بدخان مبین، ومنهم من رأى أن الدخان هو ما كان يصيب القريش في أبصارهم من شدة الجوع من الظلمة كهيئة الدخان. أما إمام القرطبي رحمه الله رأى أنه نقل السماء من صفة الدخان إلى حالة الكثافة، وكان هو من تنفس الماء، والآلوسي رحمه الله من القرن الثالث عشر للهجري يقول السماء وهي دخان أي أمر ظلماني، ولعله يريد بها مادتها التي منها تركبت.

وفي رأي صديق حسن خان القنوجي من القرن الرابع عشر للهجري الدخان إستعارة لما يرى من بخار الأرض وإنه قال أن المفسرين يقولون هذا الدخان هو بخار الماء وصورتها صورة الدخان في رأي العين، والمفسر من العصر الحديث المراغي رحمه الله

<sup>1</sup> A supernova is the explosion of a star. It is the largest explosion that takes place in space  
(<https://www.nasa.gov/audience/forstudents/5-8/features/nasa-knows/what-is-a-supernova.html>)

<sup>2</sup> بحث رائع: الدخان الكوني، <http://www.kaheel7.com/ar>

يبين هذه الظاهرة مع مساعدة اكتشافات العلم الحديث وفي رأيه السماء هي مادة غازية أشبه بالدخان أو بالسحاب تسمى في العلم الحديث عالم السديم. وكذا فسّر السيد إسماعيل شهاب الدين أيضاً، في رأيه كلام العلم الحديث في قضية السماء قد يكون صحيحاً لأنه أقرب ما يكون إلى مدلول الحقيقة القرآنية ثم استوى إلى السماء وهي دخان، ورأي الصابوني رحمه الله في قضية السماء أن السماء هي بهيئة الدخان.

وبالجملة في سورة الفصيلة استخدم الله كلمة 'دخان' للإشارة إلى خلق الكون وبدايته. والعلماء الحديث يؤكدون الآن أن الكون في بدايته كان مليئاً بالدخان، وأن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقهما الله كما أشار في سورة الأنبياء الذي نوقش أعلاه. إن آراء العلماء اليوم عن انفجار السوبر نوبا (انفجار النجوم) التي تبث كميات هائلة من الدخان تشير إلى وجود كميات ضخمة من الدخان الكوني عند فتق السموات والأرض من حالة 'الرتق' في بداية نشوء الكون. العلم الحديث، بعدما اكتشفوا الدخان المنبعث من انفجارات النجوم 'السوبر نوبا'، قد اعترفوا أن التسمية لهذه المظاهر ليست دقيقة علمية، وكلمة "دخان" هي الأدق.

## الفصل الثاني: الدلالات الواردة في الشمس والقمر

### الدلالات في جريان الشمس

وقد وردت في القرآن الكريم كلمات ثلاثة للدلالة على جريان الشمس وتحركها وهي: كلمة 'تجري' و 'دائب' و 'يسبحون'، استخدمها الله في مناسبات مختلفة في القرآن الكريم. وكلمة 'الشمس' وردت في القرآن الكريم ٣٢ مرة، وفي مرة واحدة استخدمها 'شمسا' في سورة 'الإنسان' بدون 'ال' للمعرفة، والمراد به وصف الحالة بالجنة للمتقين، كما قال محمد بن جرير الطبري: "(لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا) يقول تعالى ذكره: لا يرون فيها شمسا فيؤذيهم حرّها، ولا زمهريرا، وهو البرد الشديد، فيؤذيهم بردها"<sup>١</sup>. وفي جميع المناسبات الأخرى وردت كلمة الشمس مقترنا بالألف واللام.

### ٥. تجري/يجري

كلمة 'يجري' استخدمها الله في أربع مرات مع الشمس والقمر، فهي الآيات التالية:

- ..... وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى (الرعد، ٢)
- ..... وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى (لقمان ٢٩)
- ..... وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى (فاطر ١٣)
- ..... وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى (الزمر ٥)

<sup>١</sup> جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، ص: ٣٦٣/١٢

وكلمة 'تجري' استخدمت مع الشمس مرة واحدة وهي في سورة 'يس' (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)<sup>١</sup>.

## كلمة 'جري' في المعاجم

في كتاب العين يقول صاحبه الخليل بن أحمد الفراهيدي: "جری: الخيل تجري، والرياح تجري، والشمس تجري جريا إلا الماء فإنه يجري جرية، والجراء للخيال خاصة"<sup>٢</sup>. في لسان العرب يقول ابن منظور: "وجرت الشمس وسائر النجوم: سارت من المشرق إلى المغرب، والجارية: الشمس، سميت بذلك لجرها من القطر إلى القطر، والتهذيب: والجارية عين الشمس في السماء، قال الله عز وجل: والشمس تجري لمستقر لها، والجارية: الريح"<sup>٣</sup>.

وفي مفردات ألفاظ القرآن يقول صاحبه الراغب الأصفهاني: "الجري: المرّ السريع، وأصله كمرّ الماء، ولما يجري كجريه، يقال جرى يجري جرية وجرينا"<sup>٤</sup>. وفي معجم الوسيط: "جری: الفرس ونحوه - جريا وجراء، إندفع في السير، والسفينة والشمس والنجوم جريا: سارت"<sup>٥</sup>. وفي المنجد في اللغة والأعلام: "جری جريا وجرينا وجرية: سار ومرّ، جارا، وجاريا: جرى معه وجريا معا، يقال: الدّين والرهن يجريان، أي يجريان معا،...الشمس لسيرها من المشرق إلى المغرب،...المجرى ج مجار: الممرّ عموما، مثلا مجرى الشمس"<sup>٦</sup>.

١ سورة يس، الآية: ٣٨

٢ كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص: ٢٣٦/١

٣ لسان العرب، ابن منظور، ص: ١٤٠-١٤١/١٤

٤ مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص: ١٩٤

٥ معجم الوسيط، ص: ١١٩

٦ المنجد في اللغة والأعلام، لويس معلوف، ص: ٨٨

هذا واضح مما سبق، الجري في اللغة المرّ السريع، وهناك اندفاع في السير، وتشير الكلمة إلى الجريان معاً، وإذا استخدمت الكلمة مع الشمس والنجوم تعني سيرها من المشرق إلى المغرب.

### التفسير والتأويل للآيات عند المفسرين عبر الزمان

يقول الإمام طبري رحمه الله (ت ٣١٠هـ) في تفسيره: "وسخر الشمس والقمر لمصالح خلقه ومنافعهم، كل يجري، يقول: كل ذلك يجري بأمره إلى وقت معلوم وأجل محدود، إذا بلغه كورت الشمس والقمر، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل".<sup>١</sup>

وابن الجوزي رحمه الله (ت ٥٩٧هـ) الذي عاش في القرن السادس للهجري، يقول: "والشمس تجرى لمستقر لها، بعض يقول: إنها تجري إلى موضع قرارها، روى أبو ذر قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله: (مُسْتَقَرٌّ لَهَا) قال: 'مستقرها تحت العرش' وقال: 'إنها تذهب حتى تسجد بين يدي ربها، فتستأذن في الطلوع فيؤذن لها'، ويرى البعض: أن مستقرها مغربها لا تجاوزه ولا تقتصر عنه، وفي رأي البعض مثل قتادة ومقاتل: إنها تجري لوقت واحد لا تعدوه، أي لوقت لها إلى يوم القيامة، والرأي الآخر: إنها تسير في منازلها حتى تنتهي إلى مستقرها الذي لا تجاوزه، ثم ترجع إلى أول منازلها".<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، ص: ٨٣ / ٢١

<sup>٢</sup> صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: والشمس تجري لمستقر لها، ٤ / ١٨٠٦، رقم: (٤٥٢٤)

<sup>٣</sup> زاد المسير، ابن الجوزي، ص: ١٧ / ٧

وقال ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) رحمه الله في تفسيره: "وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى، قيل: إلى غاية محدودة وقيل إلى يوم القيامة، وكلا المعنيين صحيح"<sup>١</sup>.

يقول الإمام المراغي (ت ١٣٧١ هـ) رحمه الله في تفسيره: "أي والشمس تجري حول مركز مدارها الثابت الذي تسير حوله بحسب وضعها النجمي، فقد ثبت أن لها حركة رحوية حول هذا المركز تقدر بمائتي ميل في الثانية، وهذا الوضع العجيب من تقدير العزيز القاهر لعباده، القابض على زمام مخلوقاته، العليم بأحوالها الذي لا تخفى عليه خافية من أمرها"<sup>٢</sup>.

يقول السيد اسماعيل شهاب الدين (ت ١٤٣١ هـ) رحمه الله: "تجري فعلا في اتجاه واحد في الفضاء، الكون الهائل بسرعة حسبها الفلكيون باثني عشر ميلا في الثانية، والله ربها الخبير بها وبجريها..... وحين نتصور أن حجم هذا الشمس يبلغ مليون وثلثمائة الف ضعف لحجم أرضنا هذه. ويزيد وزنها على وزن الأرض ب ٣٣٢.٠٠٠ مرة. وأن هذه الكتلة الهائلة تتحرك وتجري في الفضاء بلا عمد يسندها ندرك طرفا من صفة القدرة التي تعرف هذا الوجود عن قوة وعن علم ذلك تقدير العزيز العليم"<sup>٣</sup>.

يصرح القرآن الكريم بأن الشمس تجري باتجاه معين، وهذا "ما قرره علماء الفلك بأن للشمس حركة حقيقية في الفضاء معلومة المقدار والاتجاه، وكشف النقاب عن ذلك بعد ألف ومائتي سنة من نزول هذا الكتاب الحكيم وأوضح علم الفلك،

<sup>١</sup> تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، ص: ٧٩/١١

<sup>٢</sup> تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ص: ١٠٢/٨-١٠٣

<sup>٣</sup> على هامش التفاسير، السيد اسماعيل شهاب الدين، ٥/٥٨٤

أن الشمس لها مجموعة من الكواكب والأقمار والمذنبات، تتبعها دائما، وتخضع لقوة جاذبيتها، وتجعلها تدور من حولها في مدارات متتابعة بيضاوية الشكل، وجميع أفراد هذه المجموعة تنتقل مع الشمس خلال حركتها الذاتية".<sup>1</sup>

كان إعتقاد القوم حول النبي ﷺ أن الشمس لا تجري ولكنها ثابتة في حالة التي نجدها في السماء ولكن هذه الآية تصرح وهي تجري، وإليه يشير الدكتور مروان وحيد شعبان عالم من العصر الحديث في كتابه 'الإعجاز القرآن في ضوء الإكتشاف العلمي الحديث دراسة تاريخية وتطبيقات معاصرة': "أن هذه الآيات تقرر قرارا صريحا وواضحا أن الشمس تجري وتسبح في فلك السماء فهي ليست ثابتة كما كان يعتقد الناس قديما، فكانوا يعتقدون أن الشمس مسمرة ثابتة في كبد السماء، لا يعترها زوال، وتستهنج الحركة والمسير، وتركن إلى الاستقرار والجمود ...

لكن الله سبحانه وتعالى قرر أنها تجري، والفاعل (تَجْرِي) فيه إعجاز عظيم، لأنه لا يدل على حركة الشمس الظاهرية التي يبصرها الناس عند ما تشرق الشمس شيئا فشيئا، ثم ترتفع وتتوسط السماء، ثم تزول وتأوي إلى مهدها في الغياب، ثم تتوارى عن أنظار الخلائق ... بل هو يدل ويعبر عن حركة واقعية أثبتتها الأرصاد، وحركتها العظيمة هذه يعبر عنها الفعل (تَجْرِي) بالسرعة الهائلة التي تقطعها الشمس خلال جريانها، لأن الجري أسرع من المشي أو السير، ولذلك فإن جريان الشمس السريع هذا المقرون بجاذبية الشمس يجر معه الكواكب السيارة التي تدور حولها، ولقد

<sup>1</sup> الإعجاز العلمي في الإسلام، محمد كامل عبد الصمد، ص: ٤٢.

أشرنا إلى المسافة الكبيرة التي تقطعها الشمس في الثانية، والتي توضح لنا تألق دقة التعبير القرآني بالفعل (تَجْرِي) الذي حمل الإعجاز الشمسي في أحرفه الرصينة<sup>١</sup>.

## ٦. 'دائب'

كلمة 'دائبين' وردت في القرآن الكريم مرّة واحدة؛ وهي في سورة إبراهيم، (وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ)<sup>٢</sup>، وهي تدل على دوام جريان الشمس والقمر.

## كلمة 'دائب' في المعاجم:

وقد ورد في لسان العرب: كلمة الدءوب وهي المبالغة في السير، وأدأب الرجل الدابة إدأبا، إذا أتعبها، والفعل اللازم أدأبت الناقة تدأب دءوبا، ورجل دءوب على الشيء. يقال: أدأبت أدأبا دءوبا، إذا اجتهدت في الشيء، والدائبان: الليل والنهار<sup>٣</sup>.

الإمام فخر الدين الرازي يقول في كتابه 'مختار الصحاح': "دأب في عمله، جد وتعب، وبابه قطع وخضع، فهو دائب، بالألف لا غير والدائبان: الليل والنهار"<sup>٤</sup>. وفي معجم اللغة العربية المعاصر: "(وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ): مستمران في الحركة لا يتوقفان"<sup>٥</sup>.

<sup>١</sup> الإعجاز القرآن في ضوء الاكتشاف العلمي الحديث دراسة تاريخية وتطبيقات معاصرة، مروان وحيد شعبان،

ص: ٢١٢-٢١٣

<sup>٢</sup> سورة إبراهيم، الآية: ٣٣

<sup>٣</sup> لسان العرب، ابن منظور، ص: ١ / ٣٦٨

<sup>٤</sup> مختار الصحاح، فخر الدين الرازي، ص: ١ / ٨٣.

<sup>٥</sup> المعجم: اللغة العربية المعاصر (<https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/>)

في اللغة كلمة 'دائب' إسم يخص على شخص الذي يحب فعل شئ ما يقوم بتكراره باستمرار ولا يشعر بالملل أبداً، ويعني الرجل الذي يتميز بقوة شخصيته الصارم في أموره وقراراته الذي يقوم بعمله بكل نشاط وحيوية واتقان.

### التفسير والتأويل للآية عند المفسرين عبر الزمان

يقول الإمام محمد بن جرير الطبري رحمه الله (ت ٣١٠هـ): "(وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) يتعاقبان عليكم أيها الناس بالليل والنهار، لصالح أنفسكم ومعاشكم (دَائِبَيْنِ) في اختلافهما عليكم. وقيل: معناه: أنهما دائبان في طاعة الله".<sup>١</sup>

يقول الإمام الثعالبي (ت ٨٧٥ هـ) رحمه الله في تفسيره: "(دائبين) معناه: متمادين، ومنه قوله ﷺ لصاحب الجمل الذي بكى وأجهش إليه: 'إن هذا الجمل شكا إلى أنك تجيعه وتدئبه'، أي تديمه في الخدمة والعمل، وظاهره الآية أن معناه: دائبين في الطلوع والغروب وما بينهما من المنافع للناس التي لا تحصى كثرة".<sup>٢</sup>

وفي تفسير 'معالم التنزيل' البغوي رحمه الله (ت ٥١٠ هـ) يقول: "وسخر لكم الشمس والقمر دائبين، يجريان فيما يعود إلى مصالح العباد ولا يفتران، قال ابن عباس: دءوبهما في طاعة الله عزوجل، وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان في الضياء والظلمة والنقصان والزيادة".<sup>٣</sup>

وفي تفسير 'زاد المسير' ابن الجوزي رحمه الله (ت ٥٩٧ هـ) يقول: "وسخر لكم الشمس والقمر لتنتفعوا بهما، وتستضيئوا بضوءهما دائبين في إصلاح ما يصلحانه

<sup>١</sup> جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، ص: ٦٨٢/١٣

<sup>٢</sup> تفسير الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن الثعالبي (٧٨٦-٨٧٥ هـ) ص: ٣/٣٨٣-٣٨٤

<sup>٣</sup> معالم التنزيل، حسين بن مسعود البغوي، ص: ٣/٣٦.

من النبات وغيره لا يفتران ، ومعنى الدءوب مرور الشيء في العمل على عادة جارية فيه"<sup>١</sup>.

وقال الإمام البيضاوي (ت ٦٩١هـ): "وسخر لكم الشمس والقمر دائبين، يدأبان في سيرهما وإنارتها وإصلاح ما يصلحانه من المكونات، وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم"<sup>٢</sup>.

يقول صديق حسن خان القنوجي (ت ١٣٠٧هـ): "(وسخر لكم الشمس والقمر) لتنتفعا بهما وتستضيئوا بضوءهما (دائبين) الدؤوب مرور الشيء في العمل على عادة جارية، والدأب العادة المستمرة دائما على حالة واحدة، ودأب في السير دوام عليه، ودأب في عمله جد وتعب، وبابه قطع وخضع فهو دأب بالألف لا غير، والدائبان الليل والنهار، والدأب بسكون الهمزة العادة والشأن، وقد يحرك. ومعنى دائبين يجريان دائما في إصلاح ما يصلحانه من النبات والحيوان وإزالة الظلمة لأن الشمس سلطان النهار، وبها يعرف فصول السنة، والقمر سلطان الليل وبه يعرف انقضاء الشهور، وكل ذلك بتسخير الله عز وجل وإنعامه على عباده، وقيل دائبين في السير امتثالاً لأمر الله. قال ابن عباس: دؤبهما في طاعة الله، والمعنى يجريان إلى يوم القيامة ولا يفتران ولا ينقطع سيرهما في فلكهما، وهو السماء الرابعة للشمس، وسماء الدنيا للقمر إلى آخر الدهر، وهو انقضاء عمر الدنيا وذهابها (وسخر لكم الليل والنهار) يتعاقبان، فالنهار لسعيكم في أمور معاشكم وما تحتاجون إليه من

<sup>١</sup> زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ص: ٤ / ٣٦٣

<sup>٢</sup> أنوار التنزيل، عبد الله بن عمر البيضاوي، ص: ٣ / ٣٥٠

أمر دنياكم، والليل لتسكنوا فيه كما قال سبحانه (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله) ولم يقتصر على النعم المتقدمة<sup>١</sup>.

يقول الإمام المراغي (ت ١٣٧١هـ): في تفسيره: "أي دائمين في الحركة، لا يفتران إلى انقضاء عمر الدنيا كما قال (الله): 'لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ، وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ'<sup>٢</sup>.

في صفوة التفاسير يقول الصابوني (ت ١٤٤٢هـ) رحمه الله: "أي وذلكم لكم الشمس والقمر يجريان بانتظام لا يفتران، لصالح أنفسكم ومعاشكم"<sup>٣</sup>

## ٧. يَسْبَحُونَ

كلمة 'يسبحون' وردت في القرآن الكريم مرتين، وهما في سورة الأنبياء ويس؛ هذان المرتان وردت مع كلمة 'الفلك' في عبارة سوية: 'كل في فلك يسبحون'.

(وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون)<sup>٤</sup>

(لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)<sup>٥</sup>.

## كلمة 'يسبحون' في معاجم اللغة:

في كتاب العين: "والسبح مصدر كالسباحة، سبح السابح في الماء، والسابح من الخيل: الحسن مد اليدين في الجري، والنجوم تسبح في الفلك، تجري في دورانه"<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان، ص: ١١٨/٧

<sup>٢</sup> تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ص: ١٥٦/١٣

<sup>٣</sup> صفوة التفاسير، الصابوني، ص: ٩٨/٢

<sup>٤</sup> سورة الأنبياء: الآية ٣٣

<sup>٥</sup> سورة يس، الآية: ٤٠

في معجم الوسيط: "سبح النجوم: جرت في الفلك. وفي التنزيل العزيز: (كلّ في فلك يسبحون)"<sup>١</sup>.

وفي معجم المعاني الجامع: "سَبَحَ: (فعل) سَبَحَ / سَبَحَ بـ / سَبَحَ فِي يَسْبَحُ، سَبَاحَةً وَسَبْحًا، فهو سَابِحٌ، والمفعول مَسْبُوحٌ به: سَبَحَ الشَّيْءُ: جَرَى، دار"<sup>٢</sup>،

في موقع معجم المعاني لكلمات القرآن: "في فلك يسبحون (٣٣ الأنبياء) يدورون. أو يجرون في السماء. يسبحون (٣٣ الأنبياء) يسبحون: يدورون مسرعين إشارة إلى النجوم. من السَّبَحِ والمُرُّ السريع في الماء أو الهواء، وهنا في الهواء"<sup>٣</sup>.

### تفسير الآية عند المفسرين عبر الزمان

في تأويل هذه الآية وتفسيرها إن الإمام محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) رحمه الله يقول في تفسيره: "وقوله (وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) يقول: وكل ما ذكرنا من الشمس والقمر والليل والنهار في فلك يجرون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل"<sup>٤</sup>.

يروى محمد بن جرير الطبري رحمه الله حكاية عن ابن عباس رضي الله عنهما: "(وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) قال: في فلك كفلك المِغْزَل. عن مجاهد، قال: مجرى كل واحد منهما، يعني

<sup>١</sup> كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص: ٢٠٩/٢

<sup>٢</sup> معجم الوسيط: ص: ٤١٢

<sup>٣</sup> <https://www.almaany.com/ar/dict/ar->

<sup>٤</sup> <https://www.almaany.com/quran/>

<sup>٥</sup> جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، ص: ٥١٧/٢٠

الليل والنهار، في فَلَكٍ يسبحون: يجرون. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) أي: في فلك السماء يسبحون<sup>١</sup>.

والإمام فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) رحمه الله يقول في تفسيره الكبير: " وكذلك هو قادر على أن يجعل الكواكب بحيث تشقّ السّماء، فتجعل دائرة متوهّمة، كما لو فرضت سمكة في الماء على وجهين تنزل من جانب وتصعد إلى موضع من الجانب الآخر على استدارة، وهذا هو المفهوم من قوله تعالى: (وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) والظاهر أنّ حركة الكواكب على هذا الوجه، وأرباب الهيئة أنكروا ذلك، وقالوا: لا تجوز الحركة على هذا الوجه؛ لأنّ الكوكب له جرم، فإذا شقّ السّماء وتحرك، فإمّا أن يكون موضع دورانه ينشقّ ويلتئم كالماء تحركه السمكة أو لا ينشقّ ولا يلتئم، بل هناك خلاء يدور الكوكب فيه، لكنّ الخلاء محال، والسّماء لا تقبل الشقّ والالتئام، هذا ما اعتمدوا عليه"<sup>٢</sup>.

يفسر الإمام القرطبي (ت ٦٧١ هـ) رحمه الله هذه الآية في تفسيره: "و'كل' يعني من الشّمس والقمر والنّجوم "في فلك يسبحون" أي يجرون. وقيل: يدورون. ولم يقل تسبح، لأنّه وصفها بفعل من يعقل. وقال الحسن: الشّمس والقمر والنّجوم في فلك بين السّماء والأرض غير ملصقة، ولو كانت ملصقة ما جرت"<sup>٣</sup>.

وفي تفسير المراغي (ت ١٣٧١ هـ) إنه يقول: "ينبغي لها: أي لا يتيسر لها، أن تدرك القمر: أي تجتمع معه في وقت واحد فتداخله وتطمس نوره، لأن لكل منهما دورة خاصة في فلكه سيأتي ذكرها بعد، والفلك: مجرى الكواكب، سعى بذلك لاستدارته،

<sup>١</sup> المصدر نفسه، ص: ٥١٧/٢٠

<sup>٢</sup> تفسير الكبير، فخر الدين الرازي، ص: ٧٧/٢٦

<sup>٣</sup> جامع لأحكام القرآن، محمد بن فرح القرطبي، ص: ٢٦/٨

والسباحة: الجري في الماء للسّمك ونحوه، ثم استعمل في سير الكوكب في الفضاء في مداره الخاص.

بعد أن استدلل على إمكان البعث والنشور بأحوال الأرض وما يطرأ عليها من تغير مما هو دليل القدرة الشاملة - أردف ذلك ذكر أحوال الأزمنة من اختلاف الليل والنهار وجريان الشمس والقمر والأجرام السماوية، وهي مخلوقات عظيمة واقعة تحت قبضته، يتصرف فيها بعظيم سلطانه<sup>١</sup>.

وأما المفسر الحديث ابن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) رحمه الله يفسر الآية بالتفصيل مع مساعدة آراء علم الحديث إنه يقول: "(كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) مستأنفة استئنافاً بيانياً؛ لأنه لما ذكر الأشياء المتضادة بالحقائق أو بالأوقات ذكراً مجملاً في بعضها الذي هو آيات السّماء، ومفصّلاً في بعض آخر وهو الشّمس والقمر، كان المقام مثيراً في نفوس السّامعين سؤالاً عن كيفية سيرها، وكيف لا يقع لها اصطدام أو يقع منها تخلف عن الظهور في وقته المعلوم، فأجيب بأنّ كلّ المذكورات له فضاء يسير فيه لا يلاقي فضاء سير غيره، وضمير 'يَسْبَحُونَ' عائد إلى عموم آيات السّماء وخصوص الشّمس والقمر، وأجري عليها ضمير جماعة الذّكور باعتبار تذكير أسماء بعضها مثل القمر والكوكب. وقال في 'الكشاف' إنّه روعي فيه وصفها بالسّباحة التي هي من أفعال العقلاء فأجري عليها أيضاً ضمير العقلاء، يعني فيكون ذلك ترشيحاً للاستعارة"<sup>٢</sup>.

وفي التفسير الوسيط يقول الشيخ طنطاوي جوهرى (ت ١٤٢٠ هـ) رحمه الله: "وهو وحده- سبحانه- الذي خلق بقدرته الليل والنهار بهذا النظام البديع، وخلق الشمس

<sup>١</sup> تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ص: ١٠٢/٨

<sup>٢</sup> تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، ص: ٦٠/١٧

والقمر بهذا الإحكام العجيب 'كل' أي: كل واحد من الشمس والقمر يسير في فلكه وطريقه المقدر له بسرعة وانتظام، كالسباح في الماء. وقوله: يَسْبَحُونَ من السبح وهو المر السريع في الماء أو الهواء. وجاء يسبحون بضمير العقلاء. لكون السباحة المسندة إليهما من فعل العقلاء، كما في قوله- تعالى:- وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَايْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ<sup>١</sup>.

وفي صفوة التفاسير يقول الصابوني (ت ١٤٤٢م) رحمه الله: "أي كل من الشمس والقمر والنجوم والكواكب والليل والنهار يجرون ويسرون بسرعة كالسباح في الماء"<sup>٢</sup>.

وقد وردت في موقع (<http://www.bayanelislam.net>) مناقشة حول البناء الكوني: ("مع بداية القرن الحادي والعشرين، ظهرت حقيقة جديدة هي البناء الكوني (Cosmic Building)؛ إذ أدرك العلماء وجود لبنات بناء في الكون، فكل مجموعة مجرات تشكل لبنة بناء، وتبين لهم أيضا أن جميع الأجسام الكونية مثل الأرض والكواكب تسبح في وسط مادي مليئ بالمادة والطاقة المنتشرة في الكون، وهذه الحقيقة لم يدركها الإنسان إلا قبل سنوات قليلة؛ ومن هنا ندرك سبب إثارة القرآن استعمال الفعل 'يسبحون' بدلا من 'يدورون' في قوله تعالى (وكل في فلك يسبحون)، ففعل 'يسبحون' هو الأدق والأصح من الناحية العلمية"<sup>٣</sup>.

يقول عبد العليم عبد الرحمن خضر في كتابه: "فلك كوكب، وكل نجم، وكل مذنب، يسبح في فلكه الذي قدر له، لا يتحول عنه ولا يحيد، وفي نفس الوقت الكل في

<sup>١</sup> التفسير الوسيط، الشيخ طنطاوي جوهرى، ص: ٢٠٦/٩

<sup>٢</sup> صفوة التفاسير، محمد علي محمد علي الصابوني، ص: ٢٦١/٢

<sup>٣</sup> 'دعوى خطأ القرآن العلمي في قوله تعالى (وكل في فلك يسبحون)'، معلومات منشورة على موقع:

<http://www.bayanelislam.net/Suspicion.aspx>

وحدة متماسكة مترابطة بفعل الجاذبية، التي تنطق بوحداية الله خالق هذا النظام ومبدعه، ولكي تحتفظ الأجرام السماوية بأبعاد ثابتة فيما بينها دون صدام جعلها الخالق الأعظم تتجاذب فيما بينها تجاذبا صغيرا محدودا، بحجم كل منها وكتلته وبعده عن الشمس، ووفق هذا التجاذب تظل مواقع النجوم فيما بينها ثابتة، والأجرام وشمسها على مسافات وأبعاد تتحقق للجميع سبعا وطوافا دون تماس أو صدام ... إنه ميزان الله الدقيق الذي أودعه في قانونه الأعظم للكون".

### ملخص القول

إستخدم الله ثلاث كلمات في القرآن الكريم للتعرف بجريان الشمس وحركتها وهن: تجري و يجري، دائبين، يسبحون. المفسرون السلف والخلف مثل الإمام محمد بن جرير الطبري وغيره قد فهموا من هذه الآية أن الشمس تجري مستمرا إلى وقتها المعلوم وأجلها المحدود. وهي لاتزال تجري إلى مستقرها ومستودعها وإلى موضع قرارها، وروي عن النبي إن مستقرها تحت العرش. بينهم من رأى إنها تجري لوقت لها إلى يوم القيامة وهي تسير أيضا في منازلها حتى تنتهي إلى مستقرها الذي لاتجاوزه. هذا مفهوم أن جميع المفسرين وافقوا على أن الشمس لاتزال تجري، وهي جارية لاتثبت في موضع واحد.

حاول المفسرون الحديث مثل الإمام المراغي رحمهم الله أن يبين جريان الشمس أكثر واضحا مع مساعدة إكتشاف العلم الحديث في هذا المجال، فهذا واضح في تأويلهم مثلا في رأي الإمام المراغي إن الشمس تجري حول مركز مدارها الثابت الذي تسير حوله بحسب وضعها النجمي، ويضيف إليها سرعة حركة الشمس وغيرها من المعلومات التي إكتشف العلم الحديث. وفي رأي المفسر المعاصر السيد إسماعيل شهاب الدين رحمه الله أنها تجري في الفضاء في إتجاه واحد بسرعة هائلة أكثر من

إثني عشر ميلا في الثانية، والشمس كتلة هائلة وهي تتحرك في الفضاء بلا عمد يسندها.

كذلك استخدم الله كلمة 'دائب' لجريان الشمس والقمر، والمراد بها أنهما مستمران في الحركة لا يتوقفان، ومرور الشيء في العمل على عادة جارية فيه، وكلمة 'دأب' تشير إلى العادة المستمرة دائما على حالة واحدة. وهما يجريان إلى يوم القيامة ولا يفتران ولا ينقطع سيرهما في فلكهما. وهما يجريان دائما في إصلاح ما يصلحانه من النبات والحيوان وإزالة الظلمة، وإعراف فصول السنة، وانقضاء الشهور، وأخيرا ذل الله لكم الشمس والقمر لا يفتران عن حركتهما لتحقيق المصالح بهما، وذلك لكم الليل لتسكنوا فيه وتستريحوا، والنهار لتبتغوا من فضله وتدبروا معاشكم.

والكلمة الثالثة التي استخدمها الله في القرآن للإشارة إلى حركة النجوم والكواكب هي 'يسبحون'، والمعنى الأصلي لفعل 'سبح' هو 'جري' و'دار'. يشبه جريان الشمس والقمر والنجوم والكواكب في مدارهن في الفلك بالسبح وهن يجرين مستمرين على طريقهن بدون صدمة بينهن، جعلها الخالق تتجاذب فيما بينها تجاذبا صغيرا محدودا، ووفق هذا التجاذب تظل مواقع النجوم فيما بينها ثابتة، والأجرام وشمسها على مسافات وأبعاد تتحقق للجميع سبحا وطوافا.

يتميز رأي الإمام القرطبي رحمه الله من بين آراء المفسرين حتى يرى أن الشمس والقمر والنجوم في فلك بين السماء والأرض غير ملصقة، ولو كانت ملصقة ما كانت تتحرك، ويرى الإمام الشيخ طنطاوي جوهرى رحمه الله أنه جاءت كلمة 'يسبحون' بضمير العقلاء، لأن السباحة فعل العقلاء، حاول ابن عاشور رحمه الله أن يبين هذه الظاهرة مع مساعدة إختراعات العلم الحديث، وكذلك في رأي الصابوني رحمه الله من المعاصرين كل من الشمس والقمر والنجوم يجرون ويسرون بسرعة

كالسباح في الماء. هذا واضح من أقوال المفسرين حيث أنهم حاولوا أن يوضحوا معنى هذه الكلمات الثلاثة ومرادها بالإشارة إلى جريان الشمس والقمر معتمدين على معرفتهم في علم الفلك.

### الدلالات في ضياء الشمس ونور القمر

٨. سراج

٩. وهاج

١٠. منير

١١. ضياء

وقد وردت كلمة 'سراج'، 'وهاج'، 'منير'، 'ضياء' في سور الفرقان، يونس، والنبأ، والآيات هي:

- قال تعالى: هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا<sup>١</sup>.
- قال تعالى : تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا<sup>٢</sup>.
- قال تعالى: وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا<sup>٣</sup>.
- قال تعالى: وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا<sup>٤</sup>.

١ سورة يونس، الآية: ٥

٢ سورة الفرقان، الآية: ٦١

٣ سورة نوح، الآية: ١٦

٤ سورة النبأ، الآية: ١٣

وردت كلمة 'سراج' في القرآن الكريم أربع مرات، وهي في سور: الفرقان(٦١)، والأحزاب(٤٦)، ونوح(١٦)، والنبأ(١٣)، ثلاثة منها استخدمت للإشارة إلى الشمس، وفي مرة واحدة من سورة الأحزاب استخدمها تعالى لوصف النبي ﷺ وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا.

وكلمة 'ضياء' وردت في القرآن الكريم ثلاث مرات، وهي في سور: يونس(٥)، والأنبياء(٤٨)، والقصاص(٧١)، منها مرة واحدة استخدم الله هذه الكلمة مع الشمس في سورة يونس: 'هو الذي جعل الشمس ضياء'. وكذلك في سورة القصص استخدم هذه الكلمة كسؤال لمن ينكر قدرة الله ووحدانيته 'من إله غير الله يأتيكم بضياء'. أما في سورة الأنبياء يقول الله تعالى: 'ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكر للمؤمنين' أراد الله بها في هذه الآية، الهداية منه مع الفرقان، أي كتابه 'التوراة' والهداية لمن يؤمن بالله، أعطاهما الله لموسى وهرون عليهما السلام للدعوة.

كلمة 'منيرا' و 'نورا': كلمة 'منير' بالضم للراء وردت في القرآن الكريم أربع مرات، وفي جميع حالاتها وردت صفة للفظ 'الكتاب' و'كتاب'، أما كلمة 'منيرا' أي بالراء المنصوب وردت في القرآن الكريم مرتان، وهما في سورة الفرقان(٦١) والأحزاب(٤٦). استخدمت في سورة الفرقان صفة للقمر: 'وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا'، ولكن في سورة الأحزاب وردت للإشارة إلى النبي ﷺ كما أشار الباحث سابقا: 'وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا'.

أما كلمة 'نور' بالضم للراء وردت في القرآن الكريم ٢٤ مرة، ولكن كلمة 'نورا' بالراء المنصوب وردت تسع مرات، منها مرتان وردت مع 'القمر' في سورتين 'يونس' (٥) و'نوح' (١٦).

وكلمة 'وهاج' وردت في القرآن الكريم مرة واحدة في سورة النبأ (١٣) 'وجعلنا سراجا وهاجا'..

### كلمات 'سراج'، ضياء، منير، وهاج في المعاجم اللغوية:

ورد في لسان العرب: "السراج: المصباح الزاهر الذي يسرج بالليل، والشمس سراج النهار، المسرجة بالفتح، التي توضع فيها الفتيلة والدهن، كما أنه بضوء السراج يهتدي الماشي، السراج: الشمس، وفي التنزيل: (وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا)"<sup>١</sup>.

ورد في كتاب العين لخليل بن أحمد الفراهيدي: "والسراج، الزاهر الذي يزهر بالليل، والمسرجة التي توضع فيها الفتيلة، وأسرجت الدابة والشمس، سراج النهار، والهدى سراج المؤمنين"<sup>٢</sup>.

وأما كلمة 'منير'، في لسان العرب: "النور ضد الظلمة، وفي المحكم النور: الضوء أيا كان، وقيل: هو شعاعه وسطوعه، والجمع أنوار ونيران، وقد نار نورا واستنار"<sup>٣</sup>.

وفي قاموس 'المصباح المنير': "النور، الضوء وهو خلاف الظلمة، والجمع أنوار، وأنار الصبح إنارة أضواء ونور تنويرا واستنار استنارة كلها لازمة، ونار الشيء ينور نيارا بالكسر، وبه سمي أضواء أيضا فهو نير"<sup>٤</sup>.

وأما معنى الضياء: "فالضوء: بالضم، الضياء وضاءت النار تضوء ضوءا وضوءا، وأضاءت أيضا وأضاءت غيرها يتعدى"<sup>٥</sup>.

<sup>١</sup> لسان العرب، لابن منظور، ص: ٢٩٧/٢

<sup>٢</sup> كتاب العين، الخليل بن أحمد، ص: ٥٣/٦

<sup>٣</sup> لسان العرب، لابن منظور، ص: ٢٤١/٥

<sup>٤</sup> المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، ص: ٦٢٩/٢

ووهج: في مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني وهو يقول: "الوهج: حصول الضوء والحر من النار، والوهجان كذلك وقوله: (وجعلنا سراجاً وهاجاً: النبأ/١٣) أي مضيئاً، وقد وهجت النار توهج، ووهج يهيج ويوهج، وتوهج الجوهر: تاللاً"<sup>١</sup>.

### التفسير والتأويل للآية عند المفسرين عبر الزمان

ثبتت هذه الآيات المعجزة القرآنية والحقيقة العلمية الرائعة، وهي أن الشمس جرم متوهج ملتهب، وإذا ما رجع إلى أقوال المفسرين في صفات الشمس فسيوجد ما يلي:

يقول الزمخشري (ت ٥٧٨ هـ): (وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا): "أي متألئاً وقاداً، يعني الشمس، وتوهجت النار، إذا تلمظت فتوهجت بضوئها وحرها"<sup>٢</sup>.

يرى الإمام فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) في تفسيره: "الوهج مجمع النور والحرارة، فبين الله سبحانه وتعالى أن الشمس بالغة إلى أقصى الغايات في هذين الوصفين، وهو المراد بكونها وهَّاجاً، والوهج، حر النار والشمس، وهذا يقتضي أن الوهاج هو البالغ في الحر"<sup>٣</sup>.

وأبو السعود محمد بن مصطفى العمادي (ت ٩٨٢ هـ) رحمه الله يقول في إرشاد العقل السليم (وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا) هي الشَّمْسُ لقوله تعالى: "(وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا) وقرئ سراجاً وهي الشَّمْسُ والكواكب الكبار (وَقَمَرًا مُنِيرًا) مضيئاً بالليل، وقرئ قمراً

<sup>١</sup> مختار الصحاح، أبو بكر فخر الدين الرازي، ص: ١/١٤٤

<sup>٢</sup> مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص: ٨٨٥

<sup>٣</sup> الكشاف، جار الله الزمخشري، ص: ٤/٢٠٧

<sup>٤</sup> التفسير الكبير، فخر الدين فخر الدين الرازي، ص: ٣١/٨

أي ذات قمر، وهي جمع قمراء، ولما أنّ اللَّيالي بالقمر تكون قمراء أضيف إليها ثمّ حذف وأجري حكمه على المضاف إليه القائم مقامه"<sup>١</sup>.

يقول الإمام الشوكاني (ت ١٢٥٥ هـ) رحمه الله: "وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً، المراد به الشمس، وجعل هنا بمعنى خلق، والوهَّاج الوقَّاد، ويقال: وهجت النار تهيج وهجا ووهجانا، قال مقاتل: جعل فيه نورا وحرا والوهج يجمع النور والحرارة"<sup>٢</sup>. (وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً): "أي كالمصباح لأهل الأرض ليتوصلوا بذلك إلى التصرف في ما يحتاجون إليه من المعاش"<sup>٣</sup>.

ويفرّق الإمام الآلوسي (ت ١٢٧٠ هـ) في 'روح المعاني' تفريقاً بين الضوء والنور فيقول: "وقيل: وعلى الفرق المشهور بين الضوء والنور يكون في وصفه بمنير دون مضيئ، إشارة إلى أن ما يشاهد فيه مستفاد من غيره وهو الشمس"<sup>٤</sup>.

ويسبق فخر الدين الرازي والآلوسي بهذه الحقيقة وهذا التفریق فيقول: "ونقول: النور اسم لأصل هذه الكيفية، وأما الضوء، فهو اسم لهذه الكيفية إذا كانت كاملة تامة قوية، والدليل عليه أنه تعالى سَمَى الكيفية القائمة بالشمس (الشَّمْسُ ضِيَاءً) والكيفية القائمة بالقمر (نُوراً) ولا شك أن الكيفية القائمة بالشمس أقوى وأكمل من الكيفية القائمة بالقمر"<sup>٥</sup>.

١ إرشاد العقل السليم، أبو السعود محمد بن مصطفى العمادي، ص: ٢٢٢/٦

٢ فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، ص: ٣٦٤/٥

٣ المصدر نفسه، ص: ٢٩٩/٥

٤ روح المعاني، لآلوسي، ص: ١٩/٥٠

٥ التفسير الكبير، فخر الدين فخر الدين الرازي، ص: ٢١٠/١٧

يقول الإمام المراغي (ت ١٣٧١ هـ) رحمه الله في تفسيره للآية الخامسة من سورة يونس "الضوء والنور: بمعنى واحد لغة، والضوء أقوى من النور استعمالاً بدليل هذه الآية، وقيل الضوء لما كان من ذاته كالشمس. والنار، والنور لما كان مكتسباً من غيره، ويدل على ذلك قوله: 'وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً' والسراج: نوره من ذاته، والضياء والضوء ما أضاء لك، وشعاع الشمس مركب من ألوان النور السبعة التي ترى في قوس السحاب فهو سبعة أضواء، وقد كشف ترقى العلوم الفلكية عن ذلك، وكان الناس يجهلون عصر التنزيل، والتقدير: جعل الشيء أو الأشياء على مقادير مخصوصة في الذات أو الصفات أو الزمان أو المكان..

الآية: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً) أي إن ربكم الذي خلق السموات والأرض - هو الذي جعل الشمس مضيئة نهاراً والقمر منيراً ليلاً، ودبر أمور معاشكم هذا التدبير البديع، فأجدر به وأولى أن يدبر أمور معادكم بإرسال الرسل وإنزال الكتب"<sup>١</sup>.

وفي تفسير آية (تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيراً) من سورة الفرقان يقول الإمام المراغي: "أي تقدس ربنا الذي جعل في السماء نجوماً كباراً عدها المتقدمون نحو ألف وعدها علماء العصر الحاضر بعد كشف آلات الرصد الحديثة (التلسكوبات) أكثر من مائتي ألف ألف ولا يزال البحث يكشف كل حين منها جديداً، وجعل فيها شمساً متوقدة وقمراً مضيئاً"<sup>٢</sup>.

يقول الصابوني (ت ١٤٤٢ هـ) رحمه الله في تفسيره: "الآية للتنبيه على دلائل القدرة والوحدانية أي هو تعالى بقدرته جعل الشمس مضيئة ساطعة بالنهار كالسراج

<sup>١</sup> تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ص: ٦٧/١١

<sup>٢</sup> تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ص: ٣٣/١١

الوهاج (والقمر نورا) أي وجعل القمر منيرا بالليل وهذا من كمال رحمته بالعباد، ولما كانت الشمس أعظم جرما خصّت بالضياء، لأنه هو الذي له سطوعا ولمعان قال محمد بن جرير الطبري: المعنى أضاء الشمس وأنار القمر<sup>١</sup>. ويضيف إلى قوله قائلا في سورة النبأ: "أي وأنشأنا لكم شمسا منيرة ساطعة، يتوهج ضوءها، ويتوقد لأهل الأرض، دائمة الحرارة والتوقد، قال المفسرون الوهاج المتوقد الشديد الإضاءة الذي يضطرم ويلتهب من شدة لهبه"<sup>٢</sup>.

يقول صاحب الكتاب 'الإعجاز القرآني في ضوء الاكتشاف العلمي الحديث': "يمكن لنا استخلاص معطيات الآيات القرآنية كما يلي :

أولا : تبين لنا أن الشمس قد وصفت بأنها 'سراج ومضيئ' والقمر دائما يوصف بأنه منير.

ثانيا : من المعلوم أن السراج تتقد فيه الحرارة المتوهجة فيرسل معها ضياء حراريا ، وهذا هو شأن الشمس، أما الإنارة، فهي التي تملأ الحيز نورا وضياء دونما حرارة ، وهذا هو شأن القمر ، فالقرآن إذا عرض الشمس وصفها بأنها سراج مضيئ ، لأن حرارتها تنبعث من داخلها، وإذا عرض القمر وصفه بأنه منير لأن إنارته وضياءه مستمد من الشمس لا من ذاته، لأن القمر جرم قد برد مع مرور الزمن بعد تكوينه من الغبار، كما سيؤكده لنا علماء الفلك<sup>٣</sup>. يقول مصطفى صادق الرافعي: "ثم يفهم أهل القلوب الحديثة مع كل هذه الوجوه أن المراد من الآية إثبات ما كشفته هذه العلوم، من أن القمر جرم مظلم، وإنما يضيئ بما ينعكس عليه من نور التي هي

١ صفوة التفاسير، محمد علي محمد علي الصابوني، ص: ٥٧٤/١

٢ المصدر نفسه، ص: ٥٠٨/١

٣ الإعجاز القرآن في ضوء الاكتشاف العلمي الحديث دراسة تاريخية وتطبيقات معاصرة، مروان وحيد شعبان،

ص: ٢٢١

'سراج' إذ النور لا يكون من ذات نفسه ابتداءً، ولابد له من مصدر يبعثه، فذكر السراج بعد النور دليل على أن هذا مصدره ذلك".<sup>1</sup>

## ملخص القول

هذا مفهوم من المناقشة أعلاه إستخدم الله تعالى كلمة 'سراج' و'وهاج' و'ضياء' مع الشمس، وكلمة 'نور' و'منير' توجد مع القمر فقط، وهذا مثبت من إكتشافات العلم الحديث أن القمر نور ولكن لا يمكن للقمر أن ينتج الضوء من ذاته، ونور القمر ضوء منعكس من ضوء الشمس، وليس لضوء القمر حرارة، وأما الشمس هي جرم متوهج ملتهب. وقول المفسرين من السلف والخلف يشير إلى أنهم بالرغم من قلة معداتهم وأجهزتهم للبحث عن العالم الفضائي، حاولوا لتبيين أسرار الكون وعجائبه حسب قدرتهم ومستوى عقولهم في هذه القضية أيضاً.

مثلاً في رأي الزمخشري رحمه الله الذي عاش في القرن السادس من الهجري، جعل الله الشمس تلاً، وفخر الدين الرازي رحمه الله حاول أن يبين أن كلمة 'وهاج' هي مجمع النور والحرارة، ويرى في هذين الوصفين للشمس معجزة الله أي أن الشمس جرم حار، وهي بكونها وهاج، وكلمة الوهاج تشير إلى بالغة في الحر. والإمام الألوسي عاش في القرن الثالث عشر للهجري يحاول أن يفرق بين الضوء والنور لأن يبين معنى الدلالة، وكمال المعنى ليجعلها أكثر واضحاً في معنى المراد بها في الآية، والنور إشارة إلى أنما يشاهد فيه استفاد من غيره وهو الشمس. وفي رأي الإمام المراغي رحمه الله الذي عاش في القرن الرابع عشر للهجري 'الضوء أقوى من النور، والنور مكتسباً من غيره، والسراج نوره من ذاته'، ويضرب المراغي المثل من إكتشافات

<sup>1</sup> إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى الصادق الرفاعي، ص: ٢٠٧.

العلم الحديث لتعزيز رأيه في هذه القضية، ويشاركها في تفسير الآية، واختراعات العلم الحديث في هذه القضية تساعد المفسرين الحديث أن يجعل المعنى أكثر واضحاً.

والإمام المراغي يقول إن السراج تتقد فيه الحرارة المتوهجة فيرسل معها ضياء حرارياً، وهذا هو شأن الشمس وأما الإنارة هي التي تملأ الفضاء نورا بدون حرارة وهذا هو شأن القمر. وصف القرآن الشمس بأنها سراج مضيئ لأن حرارتها تنبعث من داخلها، والقمر منيراً لأن إنارته وضيائه مستمد من الشمس لأمن ذاته، والقمر جرم قد برد مع مرور الزمان وتكون من الغبار.

هذه الظاهرة قد أثبتها العلم الحديث عندما إكتشف أن الشمس مشتعلة، والشمس عبارة عن نجم متوسط السطوع، إنها نجم فريد من نوعه، حيث يحافظ نورها وحرارتها على الحياة، وعلى كوكب الأرض، وهي الكوكب الوحيد المأهول الذي نعرفه في هذا الكون. والقمر عبارة عن جرم بارد عاكس للضوء غير مشتعل.

في اللغة، يرى العلماء كلمة 'الضوء' تعني 'نور ذاتي' ينبعث من الجسم المشع بفعل الحرارة، هذه إشارة إلى ضوئية الشمس، إنها مصدر الضوء والحرارة، لأن الضوء مشتعل دائماً على الحرارة، إليها تشير آية القرآن. في قول علماء الفلك، "إن الشمس جسم ملتهب يضطرم بالحرارة من الباطن، وتبلغ في الأعماق ٢٠ مليون درجة، لها خاصية 'المتوهجات'، وأن مجالات مغناطيسية تنتج جسيمات سريعة الحركة

تصطدم بمادة جو الشمس العادية فتحيل هذه المنطقة من الشمس إلى متوهجات شمسية<sup>1</sup>.

في العصر الحديث حاول علماء الفلك أن يفرق بين الشمس والقمر، رأوا إن الشمس هي سراج، والسراج يحرق الزيت ويصدر الضوء والحرارة، والشمس تقوم بالعمل ذاته فهي تحرق لهيدروجين وتدمجه لتصدر الضوء والحرارة أيضا، وأما القمر فلا يقوم بأي عمل من هذا النوع بل هو كالمراة التي تعكس الأشعة الشمسية الساقطة عليه، فيرد جزء منها إلى الأرض، وهذه الحقيقة لم تكن معروفة زمن نزول القرآن.

وقد أصبحت دلالات هذه الكلمات الأربعة المترادفة أكثر وضوحا ودقة في علم التفسير في العصر الحديث حيث أن العلم الحديث قد اكتشف أن القمر جرم مظلم وإنما يضيئ بما ينعكس عليه. وكذلك قد اكتشف أصحاب العلم الحديث أن الشمس هو مصدر الضوء والحرارة أيضا، وضوؤه مشتعل دائما على حرارتها وهي جسم ملتهب يضطرم بالحرارة من الباطن، فهذا الفرق ظاهر فيما وردت في التفاسير القديمة والحديثة لهذه الآيات.

<sup>1</sup> <https://www.alittihad.ae/article/26966/2016/حقيقة-علمية-كشفتها-القرآن-الشمس-مصدر-الضوء/>

(زار الباحث هذا الموقع بتاريخ ٢٨/٠٥/٢٠٢٢)

## الفصل الثالث: الدلالات الواردة

### في ظواهر النجوم والكواكب

١٢. الخنس

١٣. الكنس

كلمة 'الخنس' و'الكنس' وردتا في القرآن الكريم مرة واحدة في سورة التكويد فهي الآية: "فلا أقسم بالخنس، الجوارى الكنس (١٦، ١٥، ٨١)".

### معنى كلمة 'الخنس' و'الكنس' في المعاجم

في كتاب العين يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي: "الخنس: الكواكب الخمسة التي تجري وتخنس في مجراها حتى يخفى ضوء الشمس، وخنوسها: اختفاؤها بالنهار"<sup>١</sup>.

في لسان العرب يقول ابن منظور: "والكواكب الخنس: الدراري الخمسة تخنس في مجراها وترجع وتكنس كما تكنس الظباء وهي: زحل (Saturn) والمشتري (Jupiter) والمريخ (Mars) والزهرة (Venus) وعطارد (Mercury) لأنها تخنس أحياناً في مجراها حتى تخفى تحت ضوء الشمس وتكنس أي تستر كما تكنس الظباء في المغار وهي الكناس وخنوسها إستخفاؤها بالنهار..... ويقال هي الكواكب السيارة منها دون الثابتة. الزجاج في قوله تعالى: فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس؛ قال أكثر أهل التفسير في الخنس أنها النجوم وخنوسها أنها تغيب وتكنس وتغيب أيضاً كما يدخل الظبي في كناسه"<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص: ٤٤٨/١

<sup>٢</sup> لسان العرب، ابن منظور: ص: باب 'س': ٧٢/٦

في 'معجم مقياس اللغة' يقول ابن فارس: "خنس: الخاء والنون والسين أصل واحد يدل علي استخفاء وتستر، قالوا: الخنس الذهاب في خفيه، يقال خنست عنه، وأخنست عنه حقه. والخنس: النجوم تخنس في المغيب، وقال قوم: سميت بذلك لأنها تخفي نهارا وتطلع ليلا، والخناس في صفة الشيطان، لأنه يخنس إذا ذكر الله تعالى، ومن هذا الباب الخنس في الأنف انحطاط القصبة، والبقر كلها خنس. ومعنى ذلك أن الخنس جمع خانس أي مختف عن البصر، والفعل خنس بمعني استخفي وتستر، يقال خنس الطبي إذا اختفي وتستر عن أعين المراقبين. والخنوس يأتي أيضا بمعني التأخر، كما يأتي بمعني الانقباض والاستخفاء. وخنس بفلان وتخنس به أي غاب به، وأخنسه أي خلفه ومضي عنه"<sup>١</sup>.

في المعجم الوسيط: "الخنس: الكواكب السيارة دون الثابتة..... والليالي الخنس: ثلاث في آخر الشهر لا يظهر فيها القمر"<sup>٢</sup>.

في معجم 'النفائس الكبير' المؤلف بجماعة من المختصين: "الخنس: أيضا: الكواكب كلها، وقيل السيارة فقط، وقيل: النجوم الخمسة: زحل، والمشتري، والمريخ، والزهرة، وعطارد، ومنه: (فلا أقسم بالخنس: ٨١/١٥) الثلاث الخنس: من ليالي الشهر لأن القمر يخنس فيها أي: يتأخر"<sup>٣</sup>.

في معجم المعاني: "خنس: جمع خانس، الخنس: الكواكب السيّارة؛ لأنها تستتر وترجع"<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> معجم مقياس اللغة، أبو الحسين أحمد ابن فارس بن زكريا: ص ٢٢٣/٢

<sup>٢</sup> المعجم الوسيط ٢٥٩

<sup>٣</sup> معجم النفائس الكبير: ص ٥٤٨

<sup>٤</sup> <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/> خنس

وكلمة كُنَّس في كتاب العين: "الجوار الكُنَّس: النجوم التي تستمرّ في مجاريها، وتكنس في مغاويرها، أي مغاييبها ومساقطها، خوت النجوم خيا، لكل نجم خويّ يقف فيه، ويستدير، ثم ينصرف راجعا، فكنوسه مقامه في خويّه، وخنوسه أن يخنس بالنهار فلا يرى"<sup>١</sup>.

في لسان العرب يقول ابن منظور: "كنست النجوم تكنس كنوسا: إستمرت في مجاريها ثم انصرفت راجعة، وفي التنزيل: فلا أقسم بالخنس الجوارى الكنس"<sup>٢</sup>. والجوارى الكنس: "هي الخنس لأنها تكنس في المغيب كالظباء في الكنس، أو هي كل النجوم لأنها تبدو ليلا وتخفى نهارا"<sup>٣</sup>.

هذا واضح من المعاجم اللغة المشهورة أن لكلمة 'الخنس' و'الكنس' علاقة بالنجوم والكواكب والجرم المخصوصة، والخنس والكنس صفتها أي هي تخفى تحت ضوء الشمس وتغيب كالظبي في كناسه.

### التفسير والتأويل للآية عند المفسرين عبر الزمان

الإمام محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) رحمه الله يقول: "اختلف أهل التأويل في الخُنْس الجوار الكُنَّس فقال بعضهم: هي النجوم الدراريّ الخمسة تخنس في مجراها فترجع وتكنس، فتستتر في بيوتها كما تكنس الظباء في المغار"<sup>٤</sup>.

في تفسير 'فتح القدير للشوكاني' (ت ١٢٥٥ هـ) يقول المصنف: "أي فأقسم بالخنس، وهي الكواكب، وسمّيت الخنس، من خَنَسَ: إذا تأخر لأنها تخنس بالنهار فتخفى

<sup>١</sup> كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص: ٥١/٤

<sup>٢</sup> لسان العرب، ابن منظور: ص: باب 'س': ١٩٨/٦

<sup>٣</sup> معجم النفاث الكبير: ص ١٧٣٢

<sup>٤</sup> جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، ص: ١٥٣/٢٤

ولاترى، وهي زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد كما ذكره أهل التفسير، ووجه تخصيصها بالذكر من بين سائر النجوم أنها تستقبل الشمس وتقطع المجرة، وقال في الصحاح: الخنس: الكواكب كلها، لأنها تخنس في المغيب، أو لأنها تخفى نهاراً، أو يقال هي الكواكب السيارة منها دون الثابتة<sup>١</sup>.

في تفسير 'روح المعاني' يقول الإمام الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ): "جمع خانس من الخنوس وهو الانقباض والاستخفاء (الجوار) جمع جارية من الجري وهو المر السريع وأصله لمر الماء ولماء يجري بجريه، (الكنس) جمع كانس وكأنسة من كَنَسَ الوحش إذا دخل كناسه وهو بيته الذي يتخذه من أغصان الشجر، ف قيل: لأنها تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل: أي تطلع في أماكنها كالوحش في كنسها، وفي تفسير تكنس بتطلع خفاء، وقيل: لأنها تخنس نهاراً وتخفى عن العيون مع طلوعها وكونها فوق الأفق وتكنس بعد طلوعها في المغيب وتدخل فيه كما تكنس الضباء في الكنس فتكون تحت الأفق بعد أن كانت فوقه"<sup>٢</sup>.

وأضاف قائلاً: "وقيل: الوصفان باعتبار أنها تغيب عن العيون وتطلع في أماكنها على نحو ما تقدم على تقدير أن يكون المراد بها الكواكب جميعها، وكون السيارات هي هذه السبع هو المعروف عند المتقدمين من المنجمين، وأما اليوم فقد ضموا إليها كواكب أخرى يقال وستا (Vesta) وجونو (Juno) وبالاس (Pallas) وسرس (Ceres) وأورنوس (Uranus) ويسمى هرسل وهو اسم المنجم الذي ظفر به بالرصد، وبينوا مقدار أقطارها وأبعادها وحركاتها ولولا مخافة التطويل لذكرت ذلك، وعدوا من

<sup>١</sup> فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ص: ٣٩٠/٥

<sup>٢</sup> روح المعاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، ص: ٢٦١/١٥-٢٦٢

جملة السيارات الأرض بناء على زعمهم أن لها حركة حول الشمس، واشتهر أنهم لم يعدوا القمر منها لكونه من توابع الأرض بزعمهم<sup>١</sup>.

صديق حسن خان القنوجي (ت ١٣٠٧ هـ) يفسر هذه الآية بقوله: "أي فأقسم (بالخنس) وهي الكواكب، وسميت الخنس من خنس إذا تأخر لأنها تخنس بالنهار فتخفى ولا ترى وهي زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد كما ذكره أهل التفسير، ووجه تخصيصها بالذكر من بين سائر النجوم أنها تستقبل الشمس وتقطع المجرة. وقال في الصحاح الخنس الكواكب كلها لأنها تخنس في المغرب أو لأنها تخفى نهراً أو يقال هي الكواكب السيارة منها دون الثابتة. قال الفراء إنها الكواكب الخمس المذكورة لأنها تخنس في مجراها وتكنس أي تستتر كما تكنس الظباء في المغار، وقيل سميت خنساً لتأخرها لأنها الكواكب المتحيرة التي ترجع وتستقيم، يقال خنس عنه يخنس خنوساً إذا تأخر وأخنسه غيره إذا خلفه ومضى عنه والخنس تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة. قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: هي الكواكب تكنس بالليل وتخنس بالنهار فلا ترى، وعنه قال خمسة أنجم زحل وعطارد والمشتري وبهرام والزهرة ليس شئ يقطع المجرة غيرها. وعن ابن عباس قال: هي النجوم السبعة وزاد الشمس والقمر وخنوسها رجوعها وكنوسها تغييبها بالنهار"<sup>٢</sup>.

يقول أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١ هـ) رحمه الله في تفسيره: "الخنس: واحدها خانس، وهو المنقبض المستخفى يقال خنس فلان بين القوم إذا انقبض واختفى، والكنس واحدها كانس أو كانسة من قولهم: كنس الظبي إذا دخل كناسه وهو بيته الذي يتخذه من أغصان الشجر والمراد بالخنس الجوار الكنس: جميع الكواكب،

<sup>١</sup> روح المعاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي، ص: ٢٦١/١٥-٢٦٢

<sup>٢</sup> فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان القنوجي، ص: ٣٧٢/٧

وخنوسها: غيبوبتها عن البصر نهارا، وكنوسها: ظهورها للبصر ليلا، فهي تظهر في أفلاكها، كما تظهر الظباء في كنسها. (بِالْخُنُسِ. الْجَوَارِ الْكُنُسِ) أي بالكواكب جميعها، وهي تخنس بالنهار فتغيب عن العيون، وتكنس بالليل: أي تطلع في أماكنها كالوحش في كنسها وقد أقسم بها سبحانه، لما في حركاتها وظهورها طورا واختفائها طورا آخر من الدلائل على قدرة مصرفها، وبديع صنعه، وإحكام نظامه.

ويرى بعض العلماء أن المراد بها الدراري الخمسة وهي: عطارد، والزهرة، والمريخ، والمشتري، وزحل، لأنها تجرى مع الشمس، ثم ترى راجعة حتى تختفي في ضوءها، فرجوعها في رأي العين هو خنوسها، واختفاؤها هو كنوسها<sup>١</sup>.

وقد أعطى المفسر العصر الحديث سيد قطب (ت ١٣٨٥ هـ) في تفسيره 'في ظلال القرآن' تفسيراً موافقاً مثل هذا إنه يقول: "الخنس الجوار الكنس، هي الكواكب التي تخنس، أي ترجع في دورتها الفلكية، وتجري وتختفي، والتعبير يصفها بأن حياة رشيقة كحياة الظباء، وهي تجري وتختبي في كناسها وترجع من ناحية أخرى"<sup>٢</sup>.

وابن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) رحمه الله يصف في تفسيره: "والخنس: جمع خانسة، وهي التي تخنس، أي: تختفي، يقال: خنست البقرة والظبية، إذا اختفت في الكناس، والجواري: جمع جارية، وهي التي تجري، أي: تسير سيرا حثيثا، والكنس: جمع كانسة، يقال: كنس الظبي، إذا دخل كناسه - بكسر الكاف - وهو البيت الذي يتخذه للمبيت.

<sup>١</sup> تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ص: ٢٦٣/١٠.

<sup>٢</sup> في ظلال القرآن، سيد قطب، ص: ٤٤٩٩.

وهذه الصفات أريد بها صفات مجازية؛ لأن الجمهور على أن المراد بموصوفاته الكواكب، وصفن بذلك لأنها تكون في النهار مختفية عن الأنظار، فشبهت بالوحشية المختفية في شجر ونحوه، فقليل: الخنس وهو من بديع التشبيه؛ لأن الخنوس اختفاء الوحش عن أنظار الصيادين ونحوهم دون السكون في كناس، وكذلك الكواكب لأنها لا ترى في النهار لغلبة شعاع الشمس على أفقها وهي مع ذلك موجودة في مطالعها فشبه طلوع الكوكب بخروج الوحشية من كناسها وشبه تنقل مرآها للناظر بجري الوحشية عند خروجها من كناسها صباحاً<sup>١</sup>.

والشيخ طنطاوي جوهرى (ت ١٤٢٠هـ) رحمه الله يقول: "وَبِالْخُنْسِ - بزنة رَكْع - جمع خانس، والخنوس: الاستخفاء والاستتار، يقال: خنست الظبية والبقرة، إذا اختفت في بيتها. وَالْجَوَارِ جمع جارية، وهي التي تجري بسرعة، من الجري بمعنى الإسراع في السير.

وَالْكَنَسِ جمع كانس، يقال: كنس الظبي، إذا دخل كناسه - بكسر الكاف - وهو البيت الذي يتخذه للمبيت، وسمى بذلك لأنه يتخذه من أغصان الأشجار، ويكنس الرمل إليه حتى يكون مختفياً عن الأعين، وهذه الصفات، المراد بها النجوم، لأنها بالنهار تكون مختفية عن الأنظار، ولا تظهر إلا بالليل، فشبهت بالظباء التي تختفي في بيوتها ولا تظهر إلا في أوقات معينة"<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ص: ١٥٣/٣٠

<sup>٢</sup> التفسير الوسيط، الشيخ طنطاوي جوهرى، ص: ٣٠١/١٥

يقول الصابوني (ت ١٤٤٢ هـ) رحمه الله في تفسيره: "أي النجوم المضيئة التي تختفي بالنهار، وتظهر بالليل، (الجواري الكنس) أي التي تجري وتسير مع الشمس والقمر ثم تستتر وقت غروبها، كما تستتر الظباء في كناسها".<sup>١</sup>

وفي العصر المعاصر، هناك جهود متواصلة من جانب العلماء لإكتشاف أبعادا جديدة لمعنى هذه الكلمات، وأخضعوا هذه الكلمات للتحليل ماديا ومعنويا، في رأيهم أن هذه الكلمات تشير إلى وجود 'الثقوب السوداء'.<sup>٢</sup> وفقا لهم هي تحدثنا عن مخلوقات كونية سماها القرآن 'الخنس'، هذا ما أكد علماء الفلك اليوم أن أرضنا يبلغ قطرها ١٢.٥ ألف كيلومتر تقريبا، وتتحول إلى ثقب أسود سيصبح قطرها أقل من سنتيمتر واحد. لتبيين ولتوضيح عظمة هذه النجوم الخانسة يقتضي العلماء منا خيالا أي إذا تخيلنا أننا رمينا حجراً ونحن نقف على الأرض سوف يرتد هذا الحجر عائداً بفعل جاذبية الأرض، ولكن إذا زادت سرعة هذا الحجر حتى تصل إلى ١١.٢ كيلو متر في الثانية سوف يخرج خارج الغلاف الجوي ويفلت من جاذبية الأرض. وسرعة الهروب بالنسبة للأرض هي ١١.٢ كيلو متر في الثانية. أما سرعة الهروب على سطح 'الثقب الأسود' تزيد على سرعة الضوء، أي أكثر من ٣٠٠ ألف كيلو متر في الثانية، وبالتالي حتى الضوء لا يستطيع المغادرة، ولذلك فهو مظلم لا يرى أبداً.

لو تأملنا اليوم في اكتشافات العلماء نلاحظ أنهم يتحدثون عن مخلوقات غريبة من أنواع النجوم أطلقوا عليها اسم الثقوب السوداء، هذا ما بحثه العلماء طويلاً وخرجوا بعدة نتائج عن هذه المخلوقات، فالكون مليئ بالنجوم ومجرتنا تحوي أكثر

<sup>١</sup> صفوة التفاسير، محمد علي محمد علي الصابوني، ص: ٥٢٥/٣

<sup>٢</sup> Black Hole (in Astronomy, Black Hole means a region of space having a gravitational field so intense that no matter or radiation can escape)

من مائة ألف مليون نجم، فهذه النجوم لها حياة تتشكل وتولد ثم تكبر، ثم تهرم، ثم تنقضي حياتها وتموت، كما يقولون.

وفي علم الفلك "الثقب الأسود هو موجودة في 'الزمكان'<sup>1</sup> (الفضاء بأبعاده الأربعة، وهي الأبعاد الثلاثة بالإضافة إلى الزمن) لها تتميز بجاذبية قوية جدا بحيث لا يمكن لأي شيء - ولا حتى الجسيمات أو موجات الإشعاع الكهرومغناطيسي مثل الضوء- للهروب منها"<sup>2</sup>. وصاحب موقع 'المرسال' يقول "يتحدث العلماء عن تشكل الثقوب السوداء بأنها ربما تكون ناتجة عن انهيار نجوم ذات أحجام كبيرة وهو ما يصيب النجوم في نهاية دورتها، وعندما يبدأ الثقب في التشكل فإنه يبدأ في التضخم نتيجة لإمتصاصه كل ما يصادفه من الكتل المحيطة مثل النجوم، أو الإندماج مع ثقوب سوداء أخرى وذلك يتسبب في تكوّن الثقوب السوداء الهائلة، وقد أجمع العلماء تقريبًا على أنه غالبًا يوجد ثقوب سوداء هائلة في قلب أغلب المجرات"<sup>3</sup>.

يقول السيد إسماعيل شهاب الدين (ت ١٤٣١هـ) في تفسيره على هامش التفاسير: "وقد اكتشفوا ما اعتقدوا أنه ثقب اسود في مجرة نائية أكبر من مائة مرة من أي ثقب أسود تم اكتشافه من قبل. وإن هذا الثقب الهائل يضم ألف مليون نجم، وأن تجمع النجوم والمواد الأخرى فيه يشكل مركزا كثيفا للجاذبية يبلغ من القوة أنه لايفلت من شيء! حتى الضوء!! فإذا كان هذائقبا في جانب الكون فما يكون الكون نفسه؟! يبدو أن ما بين السماوات والأرض أعجب منها!!!!"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> Space time (<https://en.wikipedia.org/wiki/Spacetime>)

<sup>2</sup> [https://en.wikipedia.org/wiki/Black\\_hole#CITEREFWald1984](https://en.wikipedia.org/wiki/Black_hole#CITEREFWald1984), Observation of Wald Robert M, an American theoretical Physicist who studies Gravitation, in his book 'General Relativity', University of Chicago Press, 1984.

<sup>3</sup> الثقب الأسود في القرآن، <https://www.almsal.com/post/842680>

<sup>4</sup> على هامش التفاسير، السيد إسماعيل شهاب الدين، ص: ٧٠/٤

حدد العلماء ثلاث صفات أساسية للثقوب السوداء:

● غير مرئية: Invisible

● ذات قوة جذب هائلة مما سيجعلها تمتص أي شيء يقابلها أياً كان، لذا فهي

أقرب للمكنسة الكهربائية (Vacuum Cleaner)

● دائمة الحركة (Moves)

كلمة "الخنس" معناها "الأجسام التي تختفي ولا ترى أبداً، وقد عبر القرآن عن تلك النوعية من مخلوقات الله حتى أنه أطلق الشيطان إسم الخناس فهو مخلوق لا يراه الإنسان بعينه ولكن أثره موجود وواضح وهي الصفة الأولى غير مرئية (Invisible)

كلمة "الجواري" في الآية تعني تجري وتتحرك بشكل سريع أو المتحركة دائماً وهي واحدة من الصفة التي حددها العلماء

"الكنس" تعني ما تبتلع كل ما تصادفه أو تكنسه وهي الصفة الثالثة التي حددها العلماء للثقوب السوداء (Vacuum Cleaner)

يبين محمد إسماعيل إبراهيم الناشر في كتابه: "عندما رصد العلماء هذه المخلوقات وجدوا أن هنالك (التقطت كاميراتهم الموجودة في المراصد المثبتة على مدارات حول الأرض مثل مرصد (هابل الفضائي) هذا المرصد موجود خارج الأرض في الفضاء وهو يلتقط صور دقيقة جداً للمجرات والأجسام البعيدة) لقد التقط هذا المرصد صوراً عديدة لسحابة من الغبار الكوني تدور حول نفسها، تدور بحركة عنيفة جداً وبعد إجراء الحسابات وجدوا أن سبب دوران هذا الدخان والغبار الكوني هو وجود ثقب أسود يبتلع هذه الغيمة من الدخان، فعندما يبتلعها تماماً يتشكل إعصار ودوامة

ويدور هذا الغاز والغبار الكوني يدور بسرعة هائلة حول هذا الثقب وفي النتيجة يمتص هذا الثقب كامل هذا الغبار الكوني، ولذلك قالوا إن هذه الأجسام تعمل مثل المكنسة الكهربائية، كأنها مكنسة تشفط وتجذب أي شيء يقترب منها لمسافة معينة<sup>1</sup>.

وهكذا تتجلى أمامنا أهم صفات الثقب الأسود وهي أنه لا يرى وأنه يجري بسرعات كبيرة وأنه يكنس ويجذب أي شيء يجده في طريقه وهذه الصفات الثلاثة هي ما حدثنا عنه القرآن في ثلاث كلمات عندما قال تبارك وتعالى: (فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ، الْجَوَارِ الْكُنُوسِ).

### ملخص القول

هذا واضح مما سبق، أن معظم المفسرين من السلف والخلف يقولون: (فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ؛ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ) هي النجوم، تختفي بالنهار وتظهر في الليل، فكلمة (الْخُنُوسِ) جاءت من فعل (خنس) معناها 'استتر' و'غاب' و'اختفى'، هذا في اللغة، ولذلك قالوا هذه النجوم تختفي أثناء النهار فهي خُنُوس. و(الجوار) تعني تجري، هم يشاهدونها تجري أمامهم و(الْكُنُوسِ) قالوا إنها تكنس صفحة السماء عندما تغيب. وفي رأي الجمهور منهم الكواكب أنها لا ترى في النهار لغلبة شعاع الشمس على أفقها وهي مع ذلك موجودة في مطالعها. فشبهوا طلوع الكوكب بخروج الوحشية من كناسها، وشبهوا تنقل مرآها للنّاظر بجري الوحشية عند خروجها من كناسها صباحا. أكثرهم كانوا يعدون خمسة أنجم أو سبعة أنجم من هذا الجنس ومنها

<sup>1</sup> كتاب القرآن وإعجازه العلمي، محمد إسماعيل إبراهيم الناشر، ص: ٥٩

عطارد، وزحل، والمشتري، وبهرام، والزهرة، والمريخ وغيرها، وأضاف إليها البعض مثل الآلوسي رحمه الله نجوماً أخرى.

هذا واضح من التفسير والتأويل لهذين الآيتين إن المفسرين كانوا يتفكرون حسب مستوى الفكر عندهم عن السماء، وكان العلم لم يتقدم في تلك العصور، والدراسة عن الكواكب والنجوم وعن خصائصها مقصورة ومحدودة بقلّة المعدات الجديدة والأجهزة المتدرجة كما توجد الآن في مجال العلم الحديث. اضطر العلماء والمفسرون في القرون الماضية أن يستقبلوا المعنى اللغوية من المعاجم. ولكن مفكري القرآن الكريم في العصر الحديث يتأثرون أنفسهم بالعلوم الحديثة ويتفكرون فيها.

والذين يتأملون هذا التفسير في هذا العصر التقنية المتدرجة يلاحظ أن هذه المعاني للكلمات 'خنس' و'الجوار' و'الكنس' غير دقيقة، لأن الله تبارك وتعالى يحدثنا عن مخلوقات كونية لا تُرى، والخنس هي أشياء لا ترى، واليوم بعدما تطورت وسائل القياس وتعرف العلماء على الكثير من أسرار الكون تبين بأن هذه النجوم التي نراها في الليل هي لا تغيب، تغيب بالنسبة لنا عندما يطلع علينا النهار، ولكنها تظهر بالنسبة لسكان الأرض في الجهة المقابلة من الأرض، وإذا خرجنا خارج نطاق الجاذبية الأرضية أو خارج الغلاف الجوي نرى ظلاماً دامساً ونرى هذه النجوم لا تغيب، نراها ليلاً ونهاراً.

هذه التغيرات التي وقعت في الفكر والملاحظات في العصر الحديث أدت إلى تطور الدلالة لهذه الكلمات ووجدوا فيها صفات خاصة لهذه الأجسام والكائنات لا ترى أبداً، واليوم كلمة (الخنس) لا تنطبق على النجوم كلها ولكن النجوم المختلفة أنوارها نهاراً، فهذا يعني أن الله تبارك وتعالى يتحدث عن أجسام أو كائنات لا تُرى

أبداً، وأما (الجوار) فتعني تجري من فعل "جرى" فهي جوارٍ تجري، أي النجوم الجارية في أفلاكها، وكلمة "كَسَّ" أي تجذب وتكنس أي شيء تصادفه في طريقها وهي مستترة في أبراجها، هذه هي الصفات الثلاث لهذه المخلوقات التي حدث عنها القرآن.

فتوضح مما سبق من آراء العلماء والمفسرين أن الكلمات القرآنية أدق من الكلمة 'ثقباً أسوداً' التي استخدمها العلم الحديث، وسبب هذه التسمية، ظنّ العلماء قبل سنوات بأن هناك ثقوب سوداء في السماء يعني هي أماكن فارغة، فأطلق هذا الاسم، لكن تبين فيما بعد أن هذه الثقوب وزنها كبير جداً وبلايين من الأطنان تتركز ضمن دائرة ضيقة هي الثقب الأسود، ولكن القرآن لم يسمها ثقباً أو أسود، لأن الثقب يعني الفراغ، وهذه الأجسام على العكس ليس فيها فراغ أبداً بل قمة الوزن والكتلة والجاذبية موجودة فيها.

#### ٤١. جُمِعَ الشمس والقمر

كلمة 'جُمِعَ' بضم الفاء وكسر العين (في صيغة المجهول لفعل جمع) وردت في القرآن الكريم في موضعين، هما:

فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (الشعراء: ٣٨)

وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (القيامة: ٩)

الآية 'وجمع الشمس والقمر' من سورة القيامة تتناول موضوعا خاصا متعلقا بالشمس والقمر. يريد الباحث تفتيش آراء المفسرين الكبار من القديم إلى الحديث عن هذه الظاهرة في الكون.

### كلمة 'جمع' في المعاجم

في كتاب العين يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي: "الجمع مصدر جمعت الشيء، والجمع أيضا: اسم لجماعة الناس"<sup>١</sup> في لسان العرب يقول ابن منظور: "جمع الشيء عن تفرقة يجمعه جمعا وجمعه وأجمعه"<sup>٢</sup>. في مفردات ألفاظ القرآن يقول صاحبه الراغب الأصفهاني: "الجمع: ضم الشيء بتقريب بعضه من بعض، يقال: جمعته فاجتمع، وقال عز وجل (وجمع الشمس والقمر: القيامة/٩)"<sup>٣</sup>. في تاج العروس من جواهر القاموس يقول الزبيدي: "الجمع، كالمنع: تأليف المتفرق"<sup>٤</sup>.

### التفسير والتأويل للآية عند المفسرين عبر الزمان

في جامع البيان يقول محمد بن جرير الطبري رحمه الله (ت ٣١٠ هـ): "وجمع بين الشمس والقمر في ذهاب الضوء، فلا ضوء لواحد منهما، وقيل: إنهما يجمعان ثم يكوران. عن مجاهد: قال: كورا يوم القيامة. قال ابن زيد في قوله: جمعا فرمي بهما في الأرض..... يجمعان يوم القيامة، ثم يقذفان في البحر، فيكون نار الله الكبرى"<sup>٥</sup>.

<sup>١</sup> كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص: ٢٥٩/١

<sup>٢</sup> لسان العرب، ابن منظور، ص: ٥٣/٨

<sup>٣</sup> مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص: ٢٠١

<sup>٤</sup> تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، ص: ٤٥١/٢٠

<sup>٥</sup> جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، ص: ٣٣٢/١٢

وفي تفسير 'بحر العلوم' للسمرقندي (ت ٣٩٣ هـ) وهو يقول: "ويقال: جمع الشمس والقمر، يعني، سوى بينهما في ذهاب نورهما"<sup>١</sup>.

يقول الإمام فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ): "قوله: (وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ) فيه مسائل: المسألة الأولى، ذكروا في كيفية الجمع وجوها، أحدها: أنه تعالى قال: (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ)<sup>٢</sup> فإذا جاء وقت القيامة أدرك كل واحد منهما صاحبه واجتمعا، وثانيها: جمعا في ذهاب الضوء، وثالثها: يجمعان أسودين مكورين ..... ، وقيل: يجمعان ثم يقذفان في البحر، فهناك نار الله الكبرى"<sup>٣</sup>. وقال الإمام القرطبي (ت ٦٧١ هـ): "أي جمع بينهما في ذهاب ضوء الشمس كما لا ضوء للقمر بعد خسوفه ... وقيل: يجمع الشمس والقمر فلا يكون ثم تعاقب ليل ولا نهار"<sup>٤</sup>.

يقول السعدي (ت ١٣٧٦ هـ) رحمه الله في تفسيره: "وهما لم يجتمعا منذ خلقهما الله تعالى، فيجمع الله بينهما يوم القيامة، ويخسف القمر، وتكور الشمس، ثم يقذفان في النار"<sup>٥</sup>.

وفي تفسير 'غاية البيان' ألفه حسن علون، و محمود محمد حمزة، و محمد أحمد برائق معا: "و جمع الشمس والقمر، يخسف القمر ويذهب ضوءه، ويصطدم بالشمس لضعف ما كان بينهما من تماسك، فتكون نهاية العالم"<sup>٦</sup>.

١ بحر العلوم، أبو الليث السمرقندي، ص: ٥٢٠ / ٣

٢ سورة يس، الآية: ٤٠

٣ التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، ص: ٧٢٥ / ٣٠

٤ الجامع لأحكام القرآن، محمد بن فرح القرطبي، ص: ٩٥ / ١٩

٥ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن ناصر السعدي، ص: ٩٧١

٦ غاية البيان، حسن علون، و محمود محمد حمزة، و محمد أحمد برائق، ١١٤ / ٦

وفي رأي ابن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) رحمه الله الذي سجل في تفسيره التحرير والتنوير إنه يقول: "ومعنى جمع الشمس والقمر: التصاق القمر بالشمس فتلتهمه الشمس لأن القمر منفصل من الأرض التي هي من الأجرام الدائرة حول الشمس كالكواكب ويكون ذلك بسبب اختلال الجاذبية التي وضع الله عليها النظام الشمسي"<sup>١</sup>.

يقول السيد إسماعيل شهاب الدين (ت ١٤٣١ هـ) رحمه الله في تفسيره: "والقمر يخسف ويطمس نوره، والشمس تقترن بالقمر بعد افتراق، حتى تصبحا كتلة واحدة محتل النظام الفلكي المعهود. ولعل ذلك يكون عندما تطوي السماء كطيّ السجل للكتب، فيجمع عند ذلك كل شيء، كما قال الله تعالى: 'والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه'" (الزمر/٦٧)<sup>٢</sup>..

قد أثبتت دراسات الحديثة من علماء العلم الحديث أن الشمس سيكبر حجمها وتجتمع مع القمر، أن القمر خلال دورانه حول الأرض يبتعد شيئاً فشيئاً عن الأرض، ولو بنسبة قليلة، أن هذا الابتعاد سيوقعه في جاذبية الشمس ويجمع معها يوماً ما. كتاب 'المعارف الكونية' يشير إلى هذه الحقيقة، فيه يقال: "فالشمس سوف تنتفخ عند شيخوختها لتصبح عملاقاً أحمر، أكبر ملايين المرات من الحجم الذي هي عليه الآن، وبذلك سوف يتحول لونها من الأصفر إلى الأحمر، أي تقل درجة حرارتها السطحية ٦٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ لاتساع مساحة سطحها المنتفخ لتبلغ عندئذ الكوكبين القريبين عطارد والزهرة وتلتهمهما التهاماً، ويتحولان بذلك إلى دخان في باطن العملاق، وتستمر الشمس العملاقة الحمراء في الانتفاخ فتبتلع قمر الأرض، ثم يصل سطحها بلونه الوردى إلى السحاب فوق رؤوسنا ، فيخطف أبصارنا لشدة

<sup>١</sup> تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ص: ٢٩/٣٤٥

<sup>٢</sup> على هامش التفاسير، السيد إسماعيل شهاب الدين، ص: ٧/٣٧٤

الالتماع والبرق، وعندئذ تشتعل البحار والمحيطات على سطح الكرة الأرضية، لتحلّ ماءها في هذه الحرارة المرتفعة إلى أيديروجين يشتعل وأكسجين يساعد على الاشتعال".<sup>١</sup>

## ملخص القول

تشير هذه الآية الكريمة إلى حدث من الأحداث والتغيرات التي ستقع مع قيام الساعة، والأحداث التي تؤدي إلى خراب الكون وهلاكه، فالشمس والقمر سوف يجتمعان، فواضح مما سبق أن المفسرين والعلماء يرون في تفسير الآية 'وجمع الشمس والقمر'، وتأويلها آراء مختلفة، فمثلاً للإمام محمد بن جرير الطبري رحمه الله رأي خاص في هذه الآية حيث يقول: إن الشمس والقمر يجتمعان ثم يكوران، وفي رأي آخر يجتمعان في يوم القيامة ويقذفان في البحر فيكون نار الله الكبرى، هذا الرأي شاركه معظم المفسرين القديم في تفاسيرهم.

وفي رأي الإمام السمرقندي الذي عاش في القرن السابع الهجري، هذا يعني سوى بين الشمس والقمر في ذهاب نورهما، والإمام فخر الدين الرازي رحمه الله يقدم مسائلاً في هذا القول منها: إذا جاء وقت القيامة أدرك كل واحد منهما صاحبه واجتمعا وجمعا في ذهاب الضوء. ويرى الإمام القرطبي رحمه الله وقيل: بعد جموع الشمس والقمر لا يتعاقب ليل ولانهار، أي ليس للشمس والقمر ضوء بعد خسوفهما. وقول السعدي يتميز، فيه يقول الشمس والقمر لم يجتمعا منذ خلقهما الله، ولكن يجتمعهما الله يوم القيامة فيخسف القمر ويتكور الشمس.

<sup>١</sup> المعارف الكونية، مجموعة من العلماء، ص ٥٧

وأصحاب تفسير غاية البيان يقدم رأياً آخر: تكون نهاية العالم بعد ما جمع الشمس والقمر، ويخسف القمر ويذهب ضوءه ثم يصطدم بالشمس لضعف التماسك بينهما، ورأي ابن عاشور رحمه الله يكون أكثر موافقا لنظرية العلم الحديث في هذه الظاهرة وهو يرى المراد به أي الجمع بين الشمس والقمر هو انضمام والتتام القمر بالشمس، وابتلاع الشمس القمر، والقمر يكون منفصلا عن الأرض، ويفوت للقمر جاذبية الأرض، ويجذب القمر إلى الشمس فتلتهمه الشمس. ورأي السيد إسماعيل شهاب الدين رحمه الله في هذه القضية أن القمر سيخسف وسيطمس نوره، والشمس تقترب بالقمر وستصبحا كتلة واحدة، وسيحدث كله عند ما تطوي السماء كطيّ السجل للكتب.

والعلم الحديث تقترح إن الشمس ستكون عملاقا أحمر في شيخوختها، وحجمها سيزيد أكثر ملايين المرات، وسوف يتحول لونها من الأصفر إلى الأحمر، ودرجة حرارتها السطحية ستقل لإتساع مساحة سطحها، وستبلع الكوكبين القريبين عطارد والزهرة، ويتحولان إلى دخان في باطن العملاق، ثم تبتلع الشمس القمر أي قمر الأرض.

هذا واضح مما سبق إن الدلالة لجمع الشمس والقمر في التفاسير خاضعة للتطور قرونا منذ عهد القديم إلى الحديث، وهذه التغيرات واضحة في آراء المفسرين الكبار، وقد وافقوا جميعا أن الشمس والقمر سيجتمع في وقت ما، وسيذهب ضوءهما عند جموعهما، ويمكن للمفسرين المعاصرين أن يعطوا أكثر وضحا وبيانا في هذه الظاهرة بوفرة المعارف الكونية عندهم.

## الفصل الرابع: الدلالات الواردة في بناء السماء

السماء، هي كل ما يقع فوق سطح الأرض، بما في ذلك الغلاف الجوي، والفضاء، أشار القرآن الكريم في آيات مختلفة إلى السماء وما فيها، ويطلب من المرء أن يوجه نظرته إلى بنائها العجيبة وأسرارها الكامنة، ويشجع إلى التدبير والتفكير فيها، ولإكتشاف عجائبها لأن يتعرف قدرة الله الخالق، وتأتي هذه الآيات في مقام الإستدلال على طلاقة القدرة الإلهية المبدعة، وهو الذي أبدع هذا الكون بعلمه وحكمته وقدرته، وهو قادر على إفنائه وإعادة خلقه من جديد.

وكلمة السماء قد وردت في القرآن الكريم مائة وعشرين مرة (١٢٠) في صيغة الإسم، كما وردت في صيغة الجمع 'السموات' مائة وتسعين مرة (١٩٠). وقد وردت كلمة 'السماء' مقترنة بكلمات مختلفة حتى تشير إلى عجائب بنائها، وتنظيمها، ومنافعها، ومصالحها، وغيرها من قدرة الخالق. ومنها ما وردت في القرآن عبارات مثل 'السماء بناء'،<sup>١</sup> 'فسواهن سبع سماوات'،<sup>٢</sup> 'جعلنا في السماء بروجاً'،<sup>٣</sup> 'جعلنا السماء سقفا محفوظاً'،<sup>٤</sup> 'نطوي السماء'،<sup>٥</sup> 'يمسك السماء'،<sup>٦</sup> 'تشقق السماء'،<sup>٧</sup> 'أن تقوم السماء'،<sup>٨</sup> 'كيف بنيهاها وزيناها'،<sup>٩</sup> 'والسماء رفعها'،<sup>١٠</sup> 'انشقت

١ سورة غافر، الآية ٦٤

٢ سورة البقرة، الآية ٢٩

٣ سورة الفرقان، الآية ٦١

٤ سورة الأنبياء، الآية ٣٢

٥ سورة الأنبياء، الآية ١٠٤

٦ سورة الحج، الآية ٦٥

٧ سورة الفرقان، الآية ٢٥

٨ سورة الروم، الآية ٢٥

٩ سورة ق، ٦

١٠ سورة الرحمن، الآية ٧

السماء<sup>١</sup>، 'السماء منقطر<sup>٢</sup>، 'السماء فرجت<sup>٣</sup>، 'فتحت السماء<sup>٤</sup>، 'السماء كشطت<sup>٥</sup>، 'والسماء والطارق<sup>٦</sup>، 'والسماء ذات الرجع<sup>٧</sup>، 'السماء كيف رفعت<sup>٨</sup>، وغيرها. ومن هذه الكلمات، يريد الباحث أن يختار تعابير مثل 'بناء'، و'بغير عمد ترونها'، و'سقفا محفوظا' حتى يفتش آراء المفسرين والعلماء والمعاني المعجمية ولاكتشاف مدى تطور الدلالات لهذه الكلمات الثلاثة عبر الزمان.

## ١٥. بناء

## ١٦. سقف محفوظ

## ١٧. بغير عمد

كلمة 'بناء' وردت في القرآن الكريم في موضعين من سورة البقرة وسورة غافر وهما:

- (الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء)<sup>٩</sup>
- (الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء)<sup>١٠</sup>

وكلمة 'عمد' وردت في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع، وردت مرة في سورة الهمزة إشارة إلى عذاب جهنم؛ (إنها عليهم مؤصدة، في عمد ممددة)<sup>١</sup> المراد به: 'وهي عمد

---

١ سورة الحاقة، الآية ١٦  
٢ سورة المزمل، الآية ١٨  
٣ سورة المرسلات، الآية ٩  
٤ سورة النبأ، الآية ١٩  
٥ سورة التكويد، الآية ١١  
٦ سورة الطارق، الآية ١  
٧ سورة الطارق، الآية ١١  
٨ سورة الغاشية، الآية ١٨  
٩ سورة البقرة، الآية ٢٢  
١٠ سورة غافر، الآية ٦٤

يعذبون بها'. وفي الموضعين الباقيين استخدمت 'بغير عمد ترونها' إشارة إلى بناء السماء، وهما:

• (الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها..)<sup>٢</sup>

• (خلق السماوات بغير عمد ترونها؛ وألقى في الأرض رواسي....)<sup>٣</sup>

وردت كلمة 'سقف' في صيغتين، 'سقفا' و'السقف' في القرآن الكريم، أما كلمة 'سقفا' بدون 'ال' المعرفة وردت مرة واحدة في سورة الأنبياء وهي:

(وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ)<sup>٤</sup>

وكلمة 'السقف' وردت موضعين في سورة النحل والطور هما:

• فخرّ عليهم السقف من فوقهم (سورة النحل: ٢٦)

• والسقف المرفوع، والبحر المسجور، إن عذاب ربك لواقع (سورة الطور: ٥)

### كلمة 'بناء' و'عمد'، و'سقف' في المعاجم

كلمة 'بناء' في كتاب العين: يقول صاحبه الخليل بن أحمد الفراهيدي "بني البناء البناء يبني بنيا وبناء"<sup>٥</sup>. وفي لسان العرب يقول ابن منظور: "والبناء: المبني، والجمع

<sup>١</sup> سورة الهمزة، الآية ٩

<sup>٢</sup> سورة الرعد، الآية ٢

<sup>٣</sup> سورة لقمان، الآية ١٠

<sup>٤</sup> سورة الأنبياء، الآية: ٣٢

<sup>٥</sup> كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص: ١٦٥/١

أبنية، وأبنيات جمع الجمع. سمي البناء من حيث كان البناء لازما موضعا لايزول من مكان إلى غيره<sup>١</sup>. وفي مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني: "والبناء: اسم لما يبني بناء"<sup>٢</sup>.

في تاج العروس يقول الزبيدي: "يقال: بناه، يبنيه بنايا، بالفتح، وبناء، بالكسر والمد، وبنى، بالكسر والقصر؛ قد أغفله المصنف وهو في المحكم؛ وبنيانا، كعثمان، وبنية وبناية، بكسرهما. وابتناه وبناه، بالتشديد للكثرة، كل ذلك بمعنى واحد؛ من الأخيرة؛ قصر مبني: أي مشيد"<sup>٣</sup>.

كلمة 'عمد' في كتاب العين: يقول صاحبه الخليل بن أحمد الفراهيدي "وقوله: (خلق السماوات بغير عمد ترونها)، يقال: إن الله عجب الخلق من خلق السماوات في الهواء من غير أساس وأعمدة، وبنائهم لا يثبت إلا بهما، فقال: خلقتهما من غير حاجة إلى الأعمدة ليعتبر الخلق ويعرفوا قدرته. وقال آخر: بغير عمد ترونها، أي لها عمد لاترونها. ويقال: عمدها جبل قاف، وهي مثل القبة أطرافها على ذلك الجبل والجبل محيط بالدنيا من زرجدة خضراء وخضرة السماء منه، فإذا كان يوم القيامة صيره الله نارا تحشر الناس من كل أوب إلى بيت المقدس"<sup>٤</sup>.

يقول صاحب كتاب 'تاج العروس من جواهر القاموس' الزبيدي: "العمد كصبور (م)، وهو الخشبة القائمة. وقوله تعالى: (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا: لُقْمَانَ: ١٠) قَالَ الْفَرَاء: فِيهِ قَوْلَانِ، أَحَدُهُمَا أَنَّهُ خَلَقَهَا مَرْفُوعَةً بِلَا عَمَدٍ، وَلَا تَحْتَاجُونَ مَعَ

<sup>١</sup> لسان العرب، ابن منظور: ص: ٩٤/١٤

<sup>٢</sup> مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني: ص ١٤٧

<sup>٣</sup> تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: ص: ٢١٦/٢٧

<sup>٤</sup> كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص: ٢٢٨/٣

الرؤية إلى خبر، والقول الثاني أنه خلقها بعمد لاترون تلك العمدة، وقيل: العمدة التي لاترى: قدرته، واحتج الليث بأن عمدها جبل قاف المحيط بالدنيا، والسماء مثل القبة أطرافها على قاق من زبرجدة خضراء ويقال: إن خضرة السماء من ذلك الجبل".<sup>١</sup>

في لسان العرب يقول ابن منظور: "وعمد الحائط يعمده عمدا: دعمه؛ والعمود الذي تحامل الثقل عليه من فوق كالسقف يعمد بالأساطين المنصوبة. وعمد الشيء يعمده عمدا: أقامه".<sup>٢</sup>

يقول الراجز الإصفيهاني في كتابه 'مفردات ألفاظ القرآن': "والعمود: خشب تعتمد عليه الخيمة، وجمعه: عمد وعمد. قال (في عمد ممددة: الهمزة/٩)، وقرئ: (في عمد)، وقال: (بغير عمد ترونها: الرعد/٢)، وكذلك ما يأخذه الإنسان بيده معتمدا عليه من حديد أو خشب".<sup>٣</sup> يقول صاحب كتاب 'مقاييس اللغة' ابن الفارس: "عمد: العين والميم والبدال أصل كبير، فروعه كثيرة ترجع إلى معنى، وهو الإستقامة في الشيء، منتصبا أو ممتدا، وكذلك في الرأي وإرادة الشيء. من ذلك عمدت فلانا وأنا أعمده عمدا، إذا قصدت إليه، ..... والعمد: أن تعمد الشيء، بعماد يمسكه ويعتمد عليه".<sup>٤</sup> وفي معجم الوسيط: "عمد الشيء عمدا: أقامه بعماد ودعمه".<sup>٥</sup>

<sup>١</sup> تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، ص: ٤١١/٨-٤١٢

<sup>٢</sup> لسان العرب، ابن منظور: ص: ٣٠٣/٣

<sup>٣</sup> مفردات ألفاظ القرآن، الراجز الإصفيهاني، ص: ٥٨٥

<sup>٤</sup> مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، ص: ١٣٧/٤

<sup>٥</sup> معجم الوسيط، ص: ٦٥٢

أما كلمة 'سقف': في كتاب العين يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي: "سقف: السقف عماد البيت، والسماء سقف فوق الأرض، وبه ذكر"<sup>١</sup>.

يقول صاحب 'لسان العرب' ابن منظور: "سقف: السقف: عماد البيت، والجمع سقف وسقوف،... وقال الفراء: سقفا إنما هو جمع سقيف كما تقول كتيب، وكتب، وقد سقف البيت يسقفه سقفا والسماء سقف على الأرض، ولذلك ذكر في قوله تعالى: السماء منفطر به، والسقف المرفوع، وفي التنزيل العزيز: وجعلنا السماء سقفا محفوظا"<sup>٢</sup>.

في تاج العروس من جواهر القاموس يقول الزبيدي: "السقف للبيت): معروف، (كالسقيف)، كأمير، سمي به لعلوه وطول جداره، (ج. سقوف، وسقف، بضمين) .. (والسماء) سقف الأرض، مذكر، قال الله تعالى: (والسقف المرفوع)، (وجعلنا السماء سقفا محفوظا)"<sup>٣</sup>.

يقول صاحب كتاب 'مفردات ألفاظ القرآن' الراغب الأصفهاني: "سقف البيت، جمعه سقف، وجعل السماء سقفا في قوله تعالى: (والسقف المرفوع: الطور/٥)، وقال تعالى: (وجعلنا السماء سقفا محفوظا: الأنبياء/٣٢)، وقال: (لبيوتهم سقفا من فضة: الزخرف/٣٣)، والسقيفة: كل مكان له سقف، كالصفة، والبيت، والسقف: طول في انحناء تشبيها بالسقف"<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص: ٢٥٧/٢

<sup>٢</sup> لسان العرب، ابن منظور، ص: ١٥٥/٩

<sup>٣</sup> تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، ص: ٤٤٤-٤٤٥/٢٣

<sup>٤</sup> مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص: ٤١٥

يقول ابن الفارس في 'مقاييس اللغة': "السين والقاف والفاء أصل يدل على ارتفاع في إطلال وانحناء، من ذلك السقف سقف البيت، لأنه عال مطل. والسقيفة: الصفة. والسقيفة: كل لوح عريض في بناء إذا ظهر من حائط. والسماء سقف، قال الله تعالى: (وجعلنا السماء سقفا محفوظا)<sup>١</sup>". وكلمة السقف في معجم الوسيط: "(سقف) البيت ونحوه- سقفا: عمل له سقفا"<sup>٢</sup>.

هذا واضح مما سبق أن المعنى لكلمة 'بناء' تدل على شيء يبني بالدقة، ومعنى كلمة 'سقف' تدل على إرتفاع في اطلال وانحناء، يقال السماء سقف على الأرض، ومعنى 'عمد' في المعاجم المنشورة المختلفة تدل على شيء منتصب ممتد مثبت للدعامة. أي البناء يحتاج إلى سقف مرفوع، والسقف يحتاج إلى عمود ممتد منتصب للدعامة والحفظ، إذن السماء بناء وهو سقف مرفوع محفوظ بعمد لا ترى.

### التأويل والتفسير للآيات عند المفسرين عبر الزمان

يقول الإمام محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) رحمه الله في تفسير التعبير 'والسماء بناء': "قال أبو جعفر: وإنما سميت السماء سماء لعلوها على الأرض وعلى سكانها من خلقه، وكل شيء كان فوق شيء آخر فهو لما تحته سماء. ولذلك قيل لسقف البيت: سماء، لأنه فوقه مرتفع عليه.. "والسماء بناء"، فبناء السماء على الأرض كهيئة القبة، وهي سقف على الأرض.. عن قتادة في قول الله: "والسماء بناء"، قال: جعل السماء سقفا لك"<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، ص: ٨٧/٣

<sup>٢</sup> معجم الوسيط، ص: ٤٦٢

<sup>٣</sup> جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، ص: ١٩٧/١ - ١٩٨

يقول الإمام الألوسي رحمه الله (ت ١٢٧٠هـ) في تفسيره روح المعاني: "والبناء في الأصل مصدر أطلق على المبنى بيتا كان، أو قبة، أو خباء، أو طرفا، ومنه بنى بأهله أو على أهله، والمراد بكون السماء بناء أنها كالقبة المضروبة، أو أنها كالسقف للأرض، ويقال لسقف البيت بناء"<sup>١</sup>.

في تفسير 'في ظلال القرآن' يقول صاحبه سيد قطب (ت ١٣٨٥ هـ) رحمه الله: "فيها متانة البناء وتنسيق البناء، والسماء ذات علاقة وثيقة بحياة الناس في الأرض، وبسهولة هذه الحياة، وهي بحرارتها وضوئها وجاذبية اجرامها وتناسقها وسائر النسب بين الأرض وبينها، تمهد لقيام الحياة على الأرض وتعين عليها"<sup>٢</sup>.

وابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) رحمه الله يقول في تفسيره: "(والسماء بناء) ويكون تلك الكرة الهوائية واقية الناس من إضرار طبقات فوقها متناهية في العلو، من زمهير أو عناصر غريبة قاتلة خانقة، فالكرة الهوائية جعلت فوق هذا العالم فهي كالبناء له ونفعها كنفع البناء"<sup>٣</sup>.

في 'التفسير الوسيط للقرآن الكريم'، يقول الإمام الشيخ طنطاوي جوهرى (ت ١٤٢٠هـ) رحمه الله: "(والسماء بناءً) يقال لسقف البيت بناء أي: جعل السماء كالسقف للأرض، لأنها تظهر كالقبة المضروبة فوقها كما قال تعالى (وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ) وقدم خلق الأرض على خلق السماء لأن الأرض أقرب إلى المخاطبين، وانتفاعهم بها أظهر وأكثر من انتفاعهم بالسماء. قال بعض الأدباء: إذا تأملت هذا العالم وجدته كالبيت المعد فيه كل ما يحتاج إليه

<sup>١</sup> روح المعاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، ص: ١٩٠/١

<sup>٢</sup> في ظلال القرآن، سيد قطب، ص: ٤٧/١

<sup>٣</sup> تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، ص: ٣٣١/١

فالسماء مرفوعة كالسقف، والأرض ممدودة كاللبساط، والنجوم منورة كالمصابيح".<sup>١</sup>

يقول الإمام محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) رحمه الله حول السقف المحفوظ والمرفوع: "(أي، سقفا مرفوعا، وموجا مكفوفا)".<sup>٢</sup>

ويقول الإمام فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) رحمه الله في تفسيره: "فيها مسألتان، المسألة الأولى: سعى السماء سقفا لأنها للأرض كالسقف للبيت، المسألة الثانية: في المحفوظ قولان، أحدهما، أنه محفوظ من الوقوع والسقوط الذين يجري مثلهما على سائر السقوف".<sup>٣</sup>

والإمام القرطبي (ت ٦٧١ هـ) رحمه الله يقول في تفسيره: "قوله تعالى: (وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا) أي محفوظا من أن يقع ويسقط على الأرض".<sup>٤</sup>

يقول الإمام البيضاوي (ت ٦٩١ هـ) رحمه الله في تفسيره 'أنوار التنزيل': "وجعلنا السماء سقفا محفوظا عن الوقوع بقدرته أو الفساد والإخلال إلى الوقت المعلوم بمشيئته، أو استراق السمع بالشهب".<sup>٥</sup>

والشنقيطي (١٣٩٤ هـ) رحمه الله يقول في تفسيره: "وبين أنه محفوظ من التشقق والتفطر، لا يحتاج إلى ترميم ولا إصلاح كسائر السقوف إذا طال زمنها".<sup>٦</sup>

<sup>١</sup> التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الطنطاوي، ص: ١/٧٢

<sup>٢</sup> جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، ص: ١٧/١٦

<sup>٣</sup> التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، ص: ٢٢/١٤٢

<sup>٤</sup> الجامع لأحكام القرآن، محمد بن فرح القرطبي، ص: ١١/٢٨٢

<sup>٥</sup> أنوار التنزيل، عبد الله بن عمر البيضاوي، ص: ٤/٩٠

<sup>٦</sup> أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي، ص: ٤/٧٠٧

وابن عاشور رحمه الله (ت ١٣٩٣ هـ) يقول في تفسيره 'التحرير والتنوير': "وأما حال خلق السماء فلا تظهر فيه منفعة فلم يذكر بعده امتنان، ولكنه ذكر إعراضهم عن التدبر في آيات خلق السماء الدالة على الحكمة البالغة فعقب بقوله تعالى: (وهم عن آياتها معرضون). فأدمج في خلال ذلك منة وهي حفظ السماء من أن تقع بعض الأجرام الكائنة فيها أو بعض أجزائها على الأرض فتهلك الناس أو تفسد الأرض فتعطل منافعها، فذلك إدماج للمنة في خلال الغرض المقصود الذي لا مندوحة عن العبرة به. والسقف، حقيقته: غطاء فضاء البيت الموضوع على جدرانها، ولا يقال السقف على غطاء الخباء والخيمة"<sup>١</sup>.

يقول الصابوني (ت ١٤٤٢ هـ) رحمه الله: "أي جعلنا السماء كالسقف للأرض محفوظة من الوقوع والسقوط"<sup>٢</sup>.

يقول الإمام محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) رحمه الله عن عبارة 'بغير عمد ترونها': "عن ابن عباس (بغيرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) قال: لعلها بعمد لا ترونها. عن مجاهد قال: إنها بعمد لا ترونها. وعن عكرمة في هذا الحرف (خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) قال: ترونها بغير عمد، وهي بعمد.. قال الحسن وقتادة: إنها بغير عمد ترونها، ليس لها عمد. وقال ابن عباس (بغيرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) قال: لها عمد لا ترونها"<sup>٣</sup>.

بعدما ألقى وجهات مختلفة من العلماء في 'غير عمد ترونها' يقول الإمام فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ). رحمه الله: "وعندي فيه وجه آخر أحسن من الكلّ وهو أن العماد ما يعتمد عليه وقد دللنا على أنّ هذه الأجسام إنما بقيت واقفة في الجو

<sup>١</sup> تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ص: ٥٨/١٥

<sup>٢</sup> صفوة التفاسير، محمد علي محمد علي الصابوني، ص: ٢٦١/٢

<sup>٣</sup> جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، ص: ١٣٢/٢٠

العالي بقدرة الله تعالى وحينئذ يكون عمدها هو قدرة الله تعالى فنتج أن يقال إنه رفع السماء بغير عمد ترونها أي لها عمد في الحقيقة إلا أن تلك العمدة هي قدرة الله تعالى وحفظه وتديبره وإبقاؤه إيّاها في الجوّ العالي وأنهم لا يرون ذلك التدبير ولا يعرفون كيفية ذلك الإمساك<sup>١</sup>.

يقول الإمام القرطبي (ت ٦٧١ هـ) رحمه الله: "لها عمد ولكننا لا نراه، قال ابن عباس: لها عمد على جبل قاف ويمكن أن يقال على هذا القول: العمدة قدرته التي يمسك بها السموات والأرض وهي غير مرئية لنا"<sup>٢</sup>.

يقول الإمام المراغي (ت ١٣٧١ هـ) رحمه الله: "(اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) أي إنه تعالى خلق السموات مرفوعات عن الأرض بغير عمد، بل بأمره وتسخيره، على أبعاد لا يدرك مداها، وأنتم ترونها كذلك بلا عمد من تحتها تسندها، ولا علاقة من فوقها تمسكها"<sup>٣</sup>.

صاحب على هامش التفاسير السيد إسماعيل شهاب الدين (ت ١٤٣١ هـ) رحمه الله يقول: "في رفع السماوات بغير عمد التي يدركها الناس من الألفاظ ويشاهدونها مرفوعة بغير عمد، الباء متعلقة ب'رفع' أو ب'ترونها' و'ترونها' جملة في موضع النصب على الحال من 'السماوات' أي: إنه ليس ثم عمد البتة. أو في موضع حر صفة ل'عمد'، أي ثم عمد لا ترى؛ فما يراه الناس من تلك البنيان القابعة في مضيق من الأرض بعمد، أو بغير عمد، يتحدث الناس عما في تلك من عظمة، ومن قدرة وإتقان وهم غافلون عن منظورها يعلوهم من سموات مرفوعة بغير عمد!

<sup>١</sup> تفسير الكبير، الإمام فخر الدين فخر الدين الرازي، ص: ٥٢٥/١٨

<sup>٢</sup> الجامع لأحكام القرآن، محمد بن فرح القرطبي، ص: ٢١٨/٩

<sup>٣</sup> تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ص: ٦٣/١٣

ونحن لا نرى إلا هذه النجوم والمجرات والكواكب، فربما يكون المراد هنا تلك التي نراها من الأكوان المنظورة، وذهب بعضهم أن المراد بها السماوات السبع، وفيه أنا لا نراها. رغم أنهم يرون أن بين السماء الدنيا والأرض وبين كل سماء خمسمائة سنة. وهذا لا ينطبق؛ لأن البعد بين السماء بما فيه من النجوم والمجرات والأرض أكثر من خمسمائة سنة مهما كان نوع السنة التي يقاس بها هذا البعد. فلا بد أن تحمل على أنها سماوات غيبية عنا"<sup>١</sup>. ثم يشرح علميا عن أربع قواة، وهي: القوى الجاذبية، والقوى الكهرومغناطيسية، والقوى النووية القوية، والقوى النووية الضعيفة. في رأيه "أعمدة غير مرئية، وهي قوى الترابط الكونية التي تشمل القوانين الدقيقة التي تنظم حرمة الكون كله، وما يحتويه من مجرات وأفلاك وأجرام سماوية مختلفة. وهذه السماوات التي تواجه النظر والحس: هائلة فسيحة، ولا حاجة إلى تعمق نظر في أية بحوث علمية... وعلى أية حال فهنا خلائق ضخمة هائلة معلقة بغير عمد تستندها! والناس يرونها حيث امتدت أبصارهم باليل والنهار!"<sup>٢</sup>.

وفي 'التفسير الشامل' يقول الدكتور أمير عبد العزيز (ت ٢٠٢١ م): "خلق السموات العلى على غاية ما يكون عليه الاتساع والامتداد والفخامة، وعلى أكمل ما يكون عليه الاتساق والتوازن والانتظام، خلائق كبيرة وكثيرة، وأجرام هائلة ماثورة في أجواء الفضاء، يضمها نظام دقيق ومنضبط لا يعرف الخلل أو العشوائية أو الفوضى تلك هي السموات الشامخات الكبريات، قد رفع الله بناءها، وجعلها منسجمة رفيعة لا تستند إلى ما يمسكهن من الأعمدة المنظورة، ولكن الله قدر لها من النظام الكوني الوثيق ما يكفل لها تمام الدوران والحركة والاستمرار"<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> على هامش التفسير، السيد اسماعيل شهاب الدين، ص: ٦٩/٥-٧٠.

<sup>٢</sup> على هامش التفسير، السيد اسماعيل شهاب الدين، ص: ٣٨٣/٥.

<sup>٣</sup> التفسير الشامل، أمير عبد العزيز، ص: ١٧٧٨/٣.

قد أثبت العلم الحديث وقرر أن للأرض غلافا جويا (Atmosphere) يحيط بها، وله من المنافع والفوائد الشيء الكثير. حسب إكتشاف العلم الحديث الغلاف الجوي: هو مزيج من الغازات، متألّفة من 'النيتروجين' (Nitrogen) و'الأوكسجين' (Oxygen) و'الأرغون'، (Argon) و'ثاني أكسيد الكربون' (Carbon dioxide)، وكذلك يحتوي أيضا من بخار الماء.

ويحتوي الغلاف الجوي على خمس طبقات أساسية وهي: 'التروبوسفير' (troposphere)، و'الستراتوسفير' (stratosphere)، 'الترموسفير' (Thermosphere)، 'الإكسوسفير' (Exosphere)، و'الأيونيا' (Ionosphere) وهي مهمة للناس لأنها تعكس الموجات اللاسلكية إلى الأرض ما يسمح للموجات بالدوران حول سطح الأرض المقوس.

وبين العلماء المعاصرين من يحاول لتبيين الإصطلاح 'سقفا محفوظا' في ضوء الإكتشافات العلمي الحديث يقول سمير عازار في كتابه 'المنظومة الشمسية': "هذا الغلاف الجوي يعدّل ويلطف مستويات الحرارة القصوى من ساخنة أو باردة، فيعمل كسقف دفيئة، ويقلل من تغيرات مستوى الحرارة بين الليل والنهار، أو بين الصيف والشتاء، عند النهار تسخن الشمس سطح الأرض وتنقل هذه الحرارة إلى الجو، حيث تخزن وتقي من البرد الشديد عند ما تغيب الشمس، وبالعكس يقي الغلاف الجوي عند النهار من الحرارة الشديدة بامتصاصه قسما من أشعة الشمس، ويقي الجو سطح الأرض من قصف النيازك، إذ يقدر أن الأرض تتلقى كل يوم ما يقارب المائة ألف مليون نيزك (meteor) من مختلف الأحجام، إنما لا تدرك

سطحها لأنها تحترق في الجو بسبب الحرارة التي يولدها احتكاك النيّزك بالغلاف الجوي".<sup>١</sup>

## ملخص القول

عندما يصف عن كيفية السماء وخلقها، إستخدم الله كلمات مثل 'بناء' و'سقفا محفوظا' و'غير عمد' وغيرها، والآيات التي وردت فيها هذه الكلمات تدل على قدرة الله تعالى في خلق الكون و السماوات وغيرها من الكائنات العالم. وقد توضح من آراء المفسرين التي ناقش حولها الباحث أن عبارة 'السماء بناء' رأي فيها محمد بن جرير الطبري؛ إنها سميت سماء لعلوها على الأرض وكل شيء يقع فوق شيء آخر يسمى سماء، والسماء بنيت كهيئة القبة وهي سقف على الأرض. وللإمام القرطبي رحمه الله أيضا رأي سواء، أي المراد بكون السماء بناء وهي كالقبة، وهي أيضا كالسقف للأرض، والمفسرون مثل سيد قطب الذي عاش في القرن الحادي والعشرين قد حاولوا لأن يفسروا هذه الآية على ضوء معرفة العلوم الحديثة، وإنه يرى أن في خلق السماء متانة البناء وتنسيقها، وللسماء علاقة وثيقة بحياة الناس في الأرض، حيث تساعد السماء بحرارتها وبضوئها وبجاذبيتها قيام الحياة على الأرض، وابن عاشور رحمه الله يضيف إلى قوله والكرة الهوائية جعلت فوق هذا العالم حتى تقي وتحفظ الناس من إضرار طبقات فوقها، وبذلك السماء تشغل كالبناء للأرض ونفعها كنفع البناء، والإمام الشيخ طنطاوي جوهرى رحمه الله من المعاصرين يرى السماء بناء وجعل السماء كالسقف للأرض، وهي كالقبة، والعالم كالبيت، وهو يحتاج إلى سماء مرفوعة كالسقف، والأرض المبسوطة، والنجوم المنورة كالمصابيح الموقدة.

<sup>١</sup> المنظومة الشمسية، سمير عازار، ص: ٦٢

أما عبارة 'السقف المحفوظ المرفوع' في رأي الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله السماء سقف للأرض كالسقف للبيت وهي محفوظة من الوقوع والسقوط، حقق هذا التفسير الإمام القرطبي بعده، والإمام الشنقيطي يرى إنها محفوظة من الإنشقاق والإنفطار، ولا تحتاج إلى تجديد وإصلاح بطول زمنها، وابن عاشور رحمه الله من المفسرين المعاصرين قد فسر وبين معنى عبارة 'سقفا محفوظا' في أبعاد جديدة، حيث يضمن آراء العلم الحديث في رأيه 'وهي حفظ السماء من أن يقع بعض الأجرام في السماء والأرض'.

أما في عبارة 'بغير عمد ترونها'، قد أورد الإمام محمد بن جرير الطبري رحمه الله آراء مختلفة بما فيها أن السماء مرتفعة بعمد ولا تراها، وأنها بعمد لاترونها، وتروها بغير عمد، وإنها بغير عمد ترونها، وليس لها عمد، والإمام محمد بن جرير الطبري يؤيد تلك الآراء برأي ابن عباس رضي الله عنه حيث يقول لها عمد لاترونها، ويلقي الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله وجهته في هذه القضية برأيه لها عمد في الحقيقة هي قدرة الله في حفظه وتدييره وابقائه في الجو العالي، لانرى ذلك التدبير ولانعرف كيفية الإمساك أيضا، وفي رأي الإمام القرطبي رحمه الله العمد هو قدرة الله التي يمسك بها السماوات والأرض وهي غير مرئية لنا.

والسيد إسماعيل شهاب الدين يتميز بشرحه علميا عن أربع قوات، وهي: القوى الجاذبية، والقوى الكهرومغناطيسية، والقوى النووية القوية، والقوى النووية الضعيفة. في رأيه 'بغير عمد ترونها' هي قوى الترابط الكونية التي تشمل القوانين الدقيقة التي تنظم حرمة الكون كله، وما يحتويه من مجرات وأقلاك وأجرام سماوية مختلفة، وقد قدم الدكتور أمير عبد العزيز النظرية علم الحديث بهذا الصدد حيث يقول أنه قد رفع الله بناءها، وجعلها منسجمة رفيعة، وقدر الله لها من النظام الكوني الوثيق ما يكفل لها تمام الدوران والحركة والإستمرار.

وهذا واضح مما سبق أن السماء مبنية بناء دقيقا وجعلها سقفا محفوظا مرفوعا متماسكا على أعمدة غير مرئية، هذه الآيات تشير بكل وضوح إلى أن هناك أعمدة منتشرة في السماء، وأن السماء بنيت عليها وهي غير مرئية، وربما تكون جاذبية. وفي نظرية الناس توجد العمدة في كل سقف، وقول الله تعالى إشارة إلى أن هناك عمدة موجودة ولكنها غير مرئية، وهو قادر على امساك السماء أن لا تقع على الأرض.

والعلماء الحديث يرى في كلمة 'سقف محفوظ' التي وردت في الآية وصف الحق، وفي رأيهم تتجلى فيها قمة البلاغة القرآنية، وفيها الإعجاز العلمي عند ما زاد هذا الوصف للسقف بأنه محفوظ، وهذا هو شأن الغلاف الجوي للأرض (atmosphere) فلقد جعله الله سقفا محيطا وحاميا للأرض من كل أسباب الهلاك والخراب. إن الله سبحانه وتعالى جعل للكورة الأرضية سقفا يحيط بها، ويكون سببا في حمايتها من كل سوء، وحافظا لها من كل مكروه.

## الفصل الخامس: الدلالات الواردة

### في بساطة الأرض وكرويتها وإقرارها

١٨. دحا

١٩. طحا

الأرض هي من كواكب المجموعة الشمسية، وإنها تُعتبر من أكبر الكواكب الأرضية وخامس أكبر الكواكب في النظام الشمسي، وذلك من حيث قطرها وكتلتها وكثافتها، ويُطلق على هذا الكوكب أيضًا اسم العالم. تعتبر الأرض مسكنًا لملايين الأنواع من الكائنات الحية، بما فيها الإنسان؛ وهي المكان الوحيد المعروف بوجود حياة عليه في الكون، وقد ظهرت الحياة على سطحها في المليار سنة الأخيرة كما يشير إليه العلم الحديث. وقد عرفها الله في القرآن الكريم في الآيات المختلفة.

كلمة 'الأرض' وردت في القرآن الكريم ٤٥١ مرة، بما فيها ما جاءت بضم الضاد 'الأرض' في أربعة وثلاثين (٣٤) مرة، وما جاءت بفتحة الضاد و'الأرض' ستة وثمانين (٨٦) مرة، وما جاءت بكسرة الضاد ثلاث مائة وواحدة وثلاثين (٣٣١) مرة. وردت في القرآن كلمات تشير إلى بساطة الأرض منها 'دحا' و'طحا'، والآيات التي وردت فيها هذه الكلمات الأربعة هي:

• وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (النازعات ٣٠).

• وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (الشمس ٦)

## كلمة 'دحا' و'طحا'

كلمة 'دحا' وردت مرة واحدة في سورة 'النازعات' (الآية: ٣٠)، وكلمة 'طحا' وردت مرة واحدة في سورة الشمس (الآية: ٦) مع 'الأرض' هذان كلمتان إشارة إلى قدرة الله سبحانه وتعالى في جعل الأرض بسطا ليجعلها قرارا لمن يسكن فيها.

## كلمة 'دحا' و'طحا' في المعاجم اللغوية

كلمة الدحو، في كتاب العين يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي: "دحا (دحو) (دحي): المدحاة: خشبة يدحى بها الصبي، فتمر على وجه الأرض، لا تأتي على شيء اجتحفته. ومطر داح يدحى الحصى عن وجه الأرض. والدحو: البسط. والأدحى: سرب النعام، وموضعه الذي يبيض فيه ويفرخ. والأدحى: منزل في السماء بين النعائم وسعد الذابح، يقال له: البلدة"<sup>١</sup>.

في لسان العرب يقول ابن منظور: يعني البسط: "دحا الأرض يدحوها، دحوا: بسطها، وقال الفراء في قوله عز وجل: والأرض بعد ذلك دحاهم، قال بسطها؛ قال شمر وأنشدتني أعرابية:

الحمد لله الذي أطاق؛

بنى السماء فوقنا طباقا؛

ثم دحا الأرض فما أضاقا

قال شمر: وفسرته فقالت دحا الأرض أوسعها. وفي حديث عليّ عليه السلام: اللهم داحي المدحوات، يعني باسط الأرضين وموسعها. والأدحوّة: مبيض النعام في الرمل، وزنه

<sup>١</sup> كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص: ١٢/٢

أفعل من ذلك، لأن النعامة تدحوه برجلها ثم تبيض فيه وليس للنعام عش، ومدحى النعام، موضع بيضها"<sup>١</sup>.

في تاج العروس يقول الزبيدي: "(دحا الله الأرض يدحوها، ويدحاها دحوا: بسطها)، قال شيخنا فيه تخطيط بالإصطلاح، ولو قال: دحا، كدعا وسعى، لكان أنص على المراد، وأبعد عن تخطيط الإصطلاح. قال الجوهرى: قال الله تعالى: (والأرض بعد ذلك دحاها) أي: بسطها، قلت: وهو تفسير الفراء"<sup>٢</sup>. ويضيف قائلاً: "وفي صلاة علي رضي الله تعالى عنه: اللهم يا داحي المدحوات: يعني: باسط الأرضين وموسعها"<sup>٣</sup>.

في معجم المعاني: "دحا: (اسم) دحا الله الأرض: بسطها ومدّها ووسّعها على هيئة بيضة للسكنى والإعمار"<sup>٤</sup>. في معجم اللغة العربية المعاصرة: "دحا يدحو، ادح، دحوا، فهو داح، والمفعول مدحو، دحا الله الأرض: بسطها ومدّها ووسّعها على هيئة بيضة للسكنى والإعمار "دحا الخباز العجينة – (وَالأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا)"<sup>٥</sup>. وأما كلمة 'الطحو': "فالطحو كالدحو، وهو بسط الشيء والذهاب به، قال تعالى: (وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا)"<sup>٦</sup>.

<sup>١</sup> لسان العرب، لابن منظور، ص: ٢٥١ / ١٤

<sup>٢</sup> تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسين السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي:

ص: ٣٧-٣٦/٣٨

<sup>٣</sup> المصدر نفسه ٣٧/٣٨

<sup>٤</sup> <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar>

<sup>٥</sup> <https://www.maajim.com/dictionary>

<sup>٦</sup> سورة الشمس، الآية: ٦.

<sup>٧</sup> مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص ٥١٧

وفي 'لسان العرب': "طحاه طحوا وطحوا، بسطه، وطحى الشيء يطحيه طحيا، بسطه أيضا والطحو كالدحو وهو البسط، والطحى المنبسط"<sup>١</sup>.

في تاج العروس يقول الزبيدي: "(طحا كسعى)، يطحى طحيا: (بسط)، هكذا ذكره ابن سيده، وفيه لغة أخرى: طحاه طحوا، كدحاه دحوا: بسطه، فهي يائية واوية... وطحأ أيضا: (انبسط)"<sup>٢</sup>.

وفي 'معجم البلدان': "طحا بالفتح والكسر، الطحو والدحو بمعنى وهو البسط وفيه لغتان طحا يطحو ويطحى، ومنه قوله تعالى: (وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا)"<sup>٣</sup>.

في موقع معجم اللغة العربية المعاصرة: "طحا، طحا ب يطحو، اطح، طحوا، فهو طاح، والمفعول مطحو، طحا الله الأرض: مدّها وبسطها" (وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا. وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا). طحا بالكرة: رمى بها، طحا بك الهوى، طحا بك الهم: ذهب بك إلى حيث لا ترغب"<sup>٤</sup>.

هذا مفهوم من المعاجم اللغوية المعنى المراد بهذين الكلمتين 'البسط' و'التوسع' في اللغة، وأراد الله باستخدام هذين الكلمتين في الآيات المذكورة 'بسطة الأرض' و'توسيعها' أي إنه بسط الأرض ووسعها لتمكين القرار فيها للحيوانات والنباتات واخرى من الكائنات كلها. ومعجم اللغة العربية المعاصرة يختص بمعناه دحا الله الأرض: أي بسطها ومدّها ووسعها على هيئة بيضة للسكنى والإعمار يختص.

<sup>١</sup> لسان العرب، ابن منظور، ص: ٣٩ / ٣.

<sup>٢</sup> تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسين السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، ص:

٤٨٢-٤٨٣ / ٣٨

<sup>٣</sup> معجم البلدان، ياقوت الحموي، ص: ٤ / ٢٢

<sup>٤</sup> <https://www.maaajim.com/dictionary>

## التفسير والتأويل للآية عند المفسرين عبر الزمان

يقول الإمام محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) رحمه الله: "والقول الذي ذكرناه عن ابن عباس من أن الله تعالى خلق الأرض، وقدّر فيها أقواتها، ولم يدحها، ثم استوى إلى السماء، فسوّاهن سبع سموات، ثم دحا الأرض بعد ذلك، فأخرج منها ماءها ومرعاها، وأرسى جبالها، أشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل، لأنه جلّ ثناؤه قال: (وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا) والمعروف من معنى "بعد" أنه خلاف معنى "قبل" وليس في دحو الله الأرض بعد تسويته السماوات السبع، وإغطاشه ليلها، وإخراجه ضحاها، ما يوجب أن تكون الأرض خلقت بعد خلق السموات لأن الدحو إنما هو البسط في كلام العرب، والمدّ يقال منه: دحا يدحو دحوا، ودحيثُ أدحي دحيا"<sup>١</sup>. يقول الإمام القرطبي (ت ٦٧١ هـ) في تفسيره 'الجامع لأحكام القرآن': "أي بسطها، والعرب تقول: دحوت الشيء أدحوه دحوا، إذا بسطته، ويقال لعش النعامة أدحي، لأنه مبسوط على وجه الأرض"<sup>٢</sup>.

وفي تفسير الجلالين (ت ٨٦٤ هـ، ٩١١ هـ) يقول الإمامان المحلي والسيوطي رحمهما الله: "بسطها وكانت مخلوقة قبل السماء من غير دحو"<sup>٣</sup>.

يقول المفسر الإمام المراغي (ت ١٣٧١ هـ) رحمه الله: "أي ومهد الأرض بعد ذلك وبسطها للسكنى، وسير الناس والأنعام عليها، وقد كانت مخلوقة غير مدحوة قبل ذلك"<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، ص: ٤٦/٣٠

<sup>٢</sup> الجامع لأحكام القرآن، محمد بن فرح القرطبي، ص: ٢٠٣/١٩

<sup>٣</sup> الجمالين على الجلالين/ سورة النازعة، حاشية الملا علي بن سلطان محمد الهروي القارئ، ص: ٥٠٢

<sup>٤</sup> تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ص: ٣٢٢/١٠

يقول عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦ هـ) رحمه الله في تفسيره: "أي: بعد خلق السماء (دَحَاهَا) أي: أودع فيها منافعها".<sup>١</sup>

يقول الشنقيطي (ت ١٣٩٣ هـ) رحمه الله، "وقال أبو حيان: 'دحاها' بسطها ومهدّها للسكنى والاستقرار عليها".<sup>٢</sup>

يقول المفسر صديق حسن خان القنوجي (ت ١٣٠٧ هـ) في تفسيره: "لا معارضة بين هذه الآية وبين ما تقدم في سورة فصلت من قوله (ثم استوى إلى السماء) بل الجمع بأنه سبحانه خلق الأرض أولاً غير مدحوة ثم خلق السماء ثم دحى الأرض، وقد قدمنا الكلام على هذا مستوفى هنالك، وقد منّا أيضاً بحثاً في هذا في أول سورة البقرة عند قوله (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً) وذكر بعض أهل العلم أن (بعد) بمعنى مع كما في قوله (عتل بعد ذلك زنيم) وقيل (بعد) بمعنى قبل كقوله (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر) أي من قبل الذكر، والجمع الذي ذكرناه أولى وهو قول ابن عباس وغير واحد واختاره ابن جرير.

وعن ابن عباس: أن رجلاً قال له، آيتان في كتاب الله تخالف إحداهما الأخرى، فقال إنما أتيت من قبل رأيك قال اقرأ (قُلْ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ - حتى بلغ- ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ) وقوله (والأرض بعد ذلك دحاها) قال خلق الله الأرض قبل أن يخلق السماء ثم خلق السماء ثم دحى الأرض بعد ما خلق السماء

<sup>١</sup> تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص: ٩٠٩.

<sup>٢</sup> أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، ص: ١٧/٩.

وإنما قوله (دحاها) بسطها، وعنه قال دحاها أن أخرج منها الماء والمرعى وشقق فيها الأنهار وجعل فيها الجبال والرمال والسبل والآكام وما بينهما في يومين"<sup>١</sup>.

يقول الإمام محمد بن جرير الطبري رحمه الله (ت ٣١٠ هـ) حول عبارة والأرض وما طحاها: "ومعنى قوله: (طحاها): بسطها يميناً وشمالاً ومن كل جانب. وقد اختلف أهل التأويل في معنى قوله: (طحاها) فقال بعضهم: معنى ذلك: والأرض وما خلق فيها"<sup>٢</sup>، ويضيف الإمام محمد بن جرير الطبري قائلاً: "عن ابن عباس: (والأرض وما طحاها) يقول: ما خلق فيها. وقال آخرون: يعني بذلك: وما بسطها... عن مجاهد، قوله: (والأرض وما طحاها) قال: دحاها. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: (وما طحاها) قال: بسطها. وقال آخرون: بل معنى ذلك: وما قسمها"<sup>٣</sup>.

وفي تفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) إنه يضع مسألتين لهذه الآية، وفي المسألة الثانية وهو يقول: "المسألة الثانية: قال الليث: الطَّحُو كالدَّحُو وهو البسط، وإبدال الطَّاء من الدَّال جائز، والمعنى: وسَّعها. قال عطاء والكلبي: بسطها على الماء"<sup>٤</sup>.

في تفسير 'جامع لأحكام القرآن' يقول الإمام القرطبي رحمه الله (ت ٦٧١ هـ) "والأرض وما طحاها: أي وطحوها وقيل: ومن طحاها، على ما ذكرناه أنفاً أي بسطها، كذا قال عامة المفسرين، مثل دحاها قال الحسن ومجاهد وغيرهما: طحاها ودحاها: واحد،

<sup>١</sup> فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان القنوجي، ص: ٢٢٧/١٠

<sup>٢</sup> جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، ص: ١٣٤/٢٨

<sup>٣</sup> جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، ص: ١٣٤/٢٨

<sup>٤</sup> تفسير الكبير، الإمام فخر الدين الرازي، ص: ٨٢/٨

اي بسطها من كل جانب، والطحو: البسط، طحا يطحو طحوا، وطحى يطحى طحيا، وطحيت: اضطجعت، عن أبي عمر، وعن ابن عباس: طحاها: قسمها<sup>١</sup>.

يقول المفسر المعاصر ابن عثيمين (ت ١٤٢١هـ) في تفسيره 'تفسير القرآن': "يعني: الأرض وما سواها حتى كانت مستوية، وحتى كانت ليست ليّنة جدًّا وليست قوية جدًّا صلبة، بل هي مناسبة للخلق على حسب ما تقوم به حوائجهم، وهذه من نعمة الله سبحانه وتعالى على عباده أن سوى لهم الأرض وجعلها بين اللين وبين الخشونة إلا في مواضع، لكن هذا القليل لا يُحكّم به على الكثير"<sup>٢</sup>.

يقول الإمام الشيخ طنطاوي جوهرى (ت ١٤٢٠ هـ) رحمه الله: "وقوله تعالى: والأرض وما طحاها أى: وحق الأرض ومن بسطها من كل جانب، وجعلها مهيأة للاستقرار عليها: يقال: طحى فلان الشيء ودحاه، إذا بسطه ووسعه"<sup>٣</sup>.

وابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) رحمه الله يقول في تفسيره 'التحرير والتنوير': "وطحو الأرض: بسطها وتوطئتها للسير والجلوس والإضطجاع، يقال: طحا يطحو ويطيح طحوا وطحيا، وهو مرادف (دحا) في سورة النازعات"<sup>٤</sup>.

والسيد إسماعيل شهاب الدين (ت ١٤٣١ هـ) رحمه الله يقول في تفسيره: "أى: دحاه، والدحو فيه معنى الكروية، وعامة المفسرين فسروا "الطحو" و "الدحو" بالبسط فقط! وهو غفلة عن مجموع ما تستعمل له هاتان الكلمتان في اللغة العربية، فالأطحية والأدحية مبيض النعام في الرمال، ومبيض النعام في الرمال فيه

<sup>١</sup> الجامع لأحكام القرآن، محمد بن فرح القرطبي، ص: ٥٠/١٠.

<sup>٢</sup> تفسير القرآن، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، جزء عم، ص: ٢٢٢.

<sup>٣</sup> التفسير الوسيط، الشيخ طنطاوي جوهرى، ص: ٤١٢/١٥.

<sup>٤</sup> التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ص: ٨٦/٣٠.

معنى كروية، وتقدير الكلام: والأرض وطحوها، أو والأرض وطاحها، وهو الله عز وجل، والطحو كالدحو البسط والتمهيد للحياة، وهي حقيقة قائمة تتوقف على وجودها حياة الجنس البشري، وسائر الأجناس الحية، فلو احتلت إحدى هذه الخصائص ما أمكن أن تنشأ الحياة، ولا أن تسير في هذه الطريق الذي جارت فيه<sup>١</sup>. وهو يضيف قائلاً: "فالدحو في اللغة العربية يفيد التكوير، ولذلك تسمى العرب بيض النعام في الرمل الأدحية أو الأدوح، والقول بكروية الأرض لم يكن معروفا في جزيرة العرب حين تنزل القرآن"<sup>٢</sup>.

يقول صاحب صفوة التفاسير الإمام الصابوني (ت ١٤٤٢ هـ) رحمه الله: "أي وأقسم بالأرض ومن بسطها من كل جانب، وجعلها ممتدة ممهدة، صالحة لسكنى الإنسان والحيوان، وهذا لا ينافي كرويتها كما قال المفسرون، لأن الغرض من الآية الإمتنان بجعل الأرض ممتدة واسعة، ميسرة للزراعة والفلاحة وسكنى الإنسان"<sup>٣</sup>.

يقول صاحب الكتاب 'نظرة علمية جديدة: آيات قرآنية إعجازية' م. وصفي أمين الشديفات: "أن 'دحا' هو فعل يعني ألقى وبسط ودحرج، وهذا الفعل يقع على المفعول به ليصبح هذا المفعول به له صفات جديدة. لكن ما يلاحظ على هذا الفعل أنه فعل هندسي حركي، وليس فعل معنوي مثل أفعال: نصح، قال، صمت. وبما أنني أطلق على هذا الفعل وصفا وتصنيفا جديدا أي فعل حركي هندسي، فإنني أفعل

١ على هامش التفاسير، السيد إسماعيل شهاب الدين، ص: ٥٠٦/٧

٢ المصدر نفسه، ص: ٤١٧/٧

٣ صفوة التفاسير محمد علي محمد علي الصابوني، ص: ٥٦٦/٣

ذلك حتى أبحث في المعاني الكامنة في هذا الفعل وما ورائها، والتي ستكون لها نتائج حركية شكلية هندسية على المفعول به"<sup>١</sup>.

ثم إنه يشرح كيفية تأثير الفعل 'دحا' على المفعول به بالأمثلة منها يقول: "الأدحيّ والإدحيّ والأدحية والأدحوة: مبيض النعام في الرمل، وزنه أفعال من ذلك، لأن النعامة تدحوه برجلها ثم تبيض فيه وليس للنعامة عش، ومدحى النعام: موضع بيضها، وأدحها: موضعها الذي تفرخ فيه، قال ابن بري: ويقال للنعامة بنت أدحية، ورغم أن مدحى النعامة هو موضع بيضها، إلا أن طريقة دحوها لهذا المكان تكون ببسط الحصى وتدويره، وإذا نظرنا إلى مدحى النعامة سنجد فيه بيضا شكله كرويا أو بيضويا محدبًا، وسنرى منبسطا محدبا مستديرا"<sup>٢</sup>.

## ملخص القول

'دحى' و'طحأ' كلمتان وردتا في القرآن الكريم إشارة إلى بسط الأرض وتوسيعها، وجميع المعاجم اللغة العربية من القديم إلى الحديث تعني كلمة 'دحى' البسط، وفسر دحى الأرض أي أوسعها، وبسطها، ومعجم المعاني ومعجم اللغة العربية يعني دحى الله الأرض أي بسطها ومدّها ووسعها على هيئة بيضة للسكنى والإعمار، وكلمة طحا تعد مترادفا لكلمة 'دحى' في جميع معناها، وتوجد في معظم المعاجم هذا المعنى لكلمة 'طحأ' أي بسط الأرض وانبسط أي مد الأرض وبسطها وأوسعها.

فخلال تأويل هذين الآيتين قد إستعمل المفسرون المعاني المعجمية الأصلية كما وردت في تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري رحمه الله حيث يشارك رأي ابن عباس

<sup>١</sup> نظرة علمية جديدة: آيات قرآنية إعجازية، م. وصفي أمين الشديقات، ص: ٥٤ (www.books.google.co.in)

<sup>٢</sup> المصدر نفسه

ﷻ وفي رأيه خلق الله تعالى الأرض، وقدر فيها أقواتها، ومدحو الأرض جرت بعد إستواء الله إلى السماء وسواهن سبع سماوات، وبعد دحو الأرض أخرج الله منها الماء والمرعى، وأرسى جبالها. توجد في معظم التفاسير مناقشة حول عبارة 'والأرض بعد ذلك دحاها' على أساس سؤال هل كانت قبل خلق السماء أو بعد خلقها؟، فمعظمهم يرون أن الله خلق الأرض أولاً في صورة غير مدحوة ثم خلق السماء ودحى الأرض بعدها ثم طحاها أي وسعها وأبسطها لتمكين القرار عليها للحيوانات والنباتات والكائنات كلها التي توجد عليها، كما أخرج منها ماءها ومرعاها، وفجر من خلالها أنهاراً.

ومعنى 'الدحو' في كلام العرب هو 'البسط'، والمفسرون مثل الإمام القرطبي رحمه الله يبين أن في كلام العرب كلمة 'دحى' موجودة لتدل على عيش النعامة لأنه مبسوط على وجه الأرض. والمفسرون في العصر الحديث خصوصاً بعد القرن العشرين حاولوا أن يجعل هذه الدلالة أكثر بيانا وواضحا كما يوجد في قول الإمام المراغي والإمام الشنقيطي وغيرهما، عبروها مهد الأرض بعد ذلك وبسطها للسكنى، وسير الناس والأنعام عليها، والإستقرار عليها.

أما كلمة 'طحا' إعتبرها المفسرون مترادفاً لكلمة 'دحى'، وفي تفسيرهم قالوا خلق الله الأرض ثم دحاها وبسطها، ومهداها للإستقرار، يوجد بعض الإضافة في معنى الأصلي لكلمة 'طحا' كما يرى في تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري 'وما قسمها' وفي تفسير الإمام فخر الدين الرازي 'بسطها على الماء'، وفي تفسير الإمام القرطبي 'بسطها من كل جانب'.

وقد حاول المفسرون في العصر الحديث مثل الشيخ ابن عثيمين والإمام الشيخ طنطاوي جوهرى وغيرهم أن يبينوها أكثر واضحاً، فمثلاً يقول الإمام ابن عثيمين

سواها الله وجعلها بين اللين وبين الخشونة، وجعلها مناسبة للخلق على حسب ما تقوم بحوائجهم، وفي قول ابن عاشور يوجد بسطها وتوطئتها للسير والجلوس والإضطجاع. والسيد إسماعيل شهاب الدين ينقد أن يقصر تفسير 'طحا' و'دحو' على معنى 'البسط' فقط، وهو يرى معنى 'كروية' في معنى 'مبيض النعام في الرمال'، وفي رأيه 'الدحو' في اللغة العربية يفيد التكوير، لذلك تسمى العرب مبيض النعام في الرمل الأدحية أو الأدحو.

## ٢٠. كور

كلمة 'كورت' بفتح الكاف وردت مرة واحدة في سورة التكوير إذا الشمس كورت، و'يكور' بضم الياء وردت في موضعين من سورة الزمر في آية واحدة 'خلق السماوات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار.

## كلمة 'كور' في المعاجم

في كتاب العين يقول الخليل بن أحمد: "كور: الكور، على أفواه العامة: كير الحداد. والكور: الرحل، والجميع: الأكوار، والكيران. والكور: لوث العمامة على الرأس، وقد كورتها تكويرا، والكوارة: لوث ثلثائه المرأة بخمارها، وهو ضرب من الخمرة.. ويقال: الكوارة تعمل من غزل أو شعر تختمر بها، وتعتم بعمامة فوقها، وتلتاث بخمارها عليها. وكورت هذا على هذا، وذا على ذا مرة، إذا لويت، ومنه قول الله عز وجل: (يَكْوَرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكْوَرُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ)"<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي: ص: ٥٦-٥٧

وردت في تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي: " (و) الله سبحانه وتعالى كور (الليل على النهار: أدخل هذا في هذا)، وأصله من تكوير العمامة، وهو لفها وجمعها. وقيل تكوير الليل والنهار: أن يلحق أحدهما بالآخر، وقيل: تكوير الليل والنهار: تغشية كل واحد منهما صاحبه"<sup>١</sup>.

ووردت في 'لسان العرب' لابن منظور: "الكور، لوث العمامة، يعني إدارتها على الرأس، وقد كورتها تكويراً، وكل دارة من العمامة كور وكل دور كور، وتكوير العمامة، كورها وكار العمامة على الرأس يكورها كورا، لاثها عليه وأدارها"<sup>٢</sup>.

يقول الإمام فخر الدين الرازي في 'مختار الصحاح': "كار العمامة على رأسه أي لاثها، وكل دور كور، والكور بالضم الرحل بأداته والجمع أكوار وكيران ... وتكوير المتاع، جمعه وشده، وتكوير العمامة، كورها وتكوير الليل على النهار تغشيتها إياه، وقيل: زيادته في هذا من ذلك"<sup>٣</sup>.

يقول الراغب الأصفهاني في كتابه 'مفردات لألفاظ القرآن': "فإشارة إلى جريان الشمس في مطالعها وانتقاص الليل والنهار وازديادهما"<sup>٤</sup>. وفي معجم الوسيط: "كؤر الشيء: لقه على جهة الإستدارة. كؤر الله الليل على النهار، والنهار على الليل: أدخل هذا في هذا، أو زاد في هذا"<sup>٥</sup>.

<sup>١</sup> تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، ص: ٧٨/١٤-٧٩

<sup>٢</sup> لسان العرب، ابن منظور، ص: ١٥٦/٥

<sup>٣</sup> مختار الصحاح، أبو بكر فخر الدين الرازي، ص: ٢٤٢/١

<sup>٤</sup> الراغب الأصفهاني، مفردات لألفاظ القرآن، ص: ٧٢٩

<sup>٥</sup> معجم الوسيط، ص: ٨٣٠

وفي 'معجم تفسير لغوي لكلمات القرآن' يقول صاحبه حسن عز الدين الجمل: "كور الشيء يكوره تكويرا: لفه على شيء آخر مستدير، يقال: كور العمامة، وهذا تمثيل، فقد جعل سبحانه زيادة طول الليل بتقصير طول النهار بمثابة لف الليل حول النهار وتملكيه جزءا منه، وبالعكس، فقد جعل طول النهار بتقصير طول الليل بمثابة لف النهار على الليل"<sup>١</sup>. وفي معجم المعاني: "كُورَ اللهُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ: أدخل هذا في هذا"<sup>٢</sup>.

هذا واضح من حكايات المعاجم اللغوية أعلاه المعنى الأصلي لكلمة 'كور' هو 'أدخل'، و'الكور' هو 'لوث العمامة على الرأس'، أي إدارتها على الرأس، وكور الليل على النهار أي أدخل هذا في هذا، وأصله من تكوير العمامة، وهو لفها وجمعها، وتكوير الليل والنهار هي 'تغشية' كل واحد منهما صاحبه، وفي قوله تعالى 'يكور الليل على النهار، إشارة إلى جريان الشمس في مطالعها وانتقاص الليل والنهار وازديادهما.

### التفسير والتأويل للآية عند المفسرين عبر الزمان

يقول الإمام محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) رحمه الله: "يغشي هذا على هذا، وهذا على هذا، كما قال: يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل"<sup>٣</sup>. وهو يضيف قائلا: "قال ابن زيد في قوله: حين يذهب بالليل ويكور النهار عليه، ويذهب بالنهار ويكور الليل عليه"<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، حسن عز الدين الجمل، ص: ١٠٥/٤

<sup>٢</sup> <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar>

<sup>٣</sup> جامع البيان، الإمام محمد بن جرير الطبري، ص: ٦١٢/١٠-٦١٣

<sup>٤</sup> المصدر نفسه، ص: ٦١٢/١٠-٦١٣

وقول فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) رحمه الله في هذه القضية: "اختلاف أحوال الليل والنهار وهو المراد هاهنا من قوله: يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وذلك لأن النور والظلمة عسكران مهيبان عظيمان، وفي كل يوم يغلب هذا ذاك تارة، وذلك هذا أخرى، وذلك يدل على أن كل واحد منهما مغلوب مقهور، ولا بد من غالب قاهر لهما يكونان، تحت تدبيره وقهره وهو الله سبحانه وتعالى، والمراد من هذا التكوير أنه يزيد في كل واحد منهما بقدر ما ينقص عن الآخر، والمراد تكوير الليل والنهار ما".<sup>١</sup> في 'أنوار التنزيل' يقول الإمام البيضاوي (ت ٦٩١ هـ): "خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل، يغشى كل واحد منهما الآخر، كأنه يلفه عليه لف اللباس باللباس، أو يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة، أو يجعله كارا عليه كرورا متتابعات تابع أكوار العمامة".<sup>٢</sup>

والإمام القرطبي (ت ٦٧١ هـ) رحمه الله يقول: "يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل، أي يلقي هذا على هذا، وهذا على هذا، وهذا على معنى التكوير في اللغة، وهو طرح الشيء بعضه على بعض، يقال: كور المتاع أي بعضه على بعض، ومنه كور العمامة، وقد روي عن ابن عباس هذا في معنى الآية قال: ما نقص من الليل دخل في النهار وما نقص من النهار دخل في الليل، وهو معنى قوله تعالى: (يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ)<sup>٣</sup> وقيل: تكوير الليل على النهار، تغشيته إياه حتى يذهب ضوءه ويغشي النهار على الليل فيذهب ظلّمته".<sup>٤</sup>

<sup>١</sup> مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، فخر الدين الرازي: ص: ٢٦/٢٣

<sup>٢</sup> أنوار التنزيل، عبد الله بن عمر البيضاوي، ص: ٥/٥٨

<sup>٣</sup> سورة فاطر، الآية: ١٣

<sup>٤</sup> الجامع لأحكام القرآن، محمد بن فرح القرطبي، ص: ١٥/٢٣٤

وفي تفسير 'الجواهر الحسان' يقول الإمام الثعالبي (ت ٨٧٥ هـ): "أي يعيد من هذا على هذا، ومنه كور العمامة التي يلتوي بعضها على بعض، فكان الذي يطول من النهار أو الليل يصير منه على الآخر جزء فيستره، وكأن الآخر الذي يقصر يلج في الذي يطول فيستر فيه"<sup>١</sup>.

في تفسير المراغي (ت ١٣٧١ هـ) يقول صاحبه: "أي يغشى كلا منهما الآخر كأنه يلفه عليه لفّ اللباس على اللابس، أو يجعلهما في تتابعهما أشبه بتتابع أكوار العمامة بعضها على بعض، ألا ترى إلى الأرض وقد دارت حول نفسها وهي مكورة فأخذ النهار الحادث من مقابلتها للشمس يسير من الشرق إلى الغرب ويلف حولها طاويا الليل، والليل من الجهة الأخرى يلتف حولها طاويا النهار، فالأرض كالرأس والظلام والضياء يتتابعان بتتابع أكوار العمامة، ويلتفان متتابعين حولها. وفي هذا إيماء إلى كروية الأرض أولا، وإلى دورانها حول نفسها ثانيا، فتكوير الأرض ظاهر الآية، ودورانها أتى تابعا بالرمز والإشارة"<sup>٢</sup>.

وفي 'أضواء البيان' يقول الإمام الشنقيطي (ت ١٣٩٣ هـ): "والتكوير هو التدوير ومنه قيل: كار العمامة وكورها، ولهذا يقال للأفلاك كروية الشكل، لأن أصل الكرة، كورة تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا"<sup>٣</sup>. وهو يضيف قائلا: "ولا خلاف بين العلماء أن السماء على مثال الكرة، وأنها تدور بجميع ما فيها من الكواكب كدورة الكرة على قطبين ثابتين غير متحركين، أحدهما في الشمال، والآخر في ناحية الجنوب، ويدل على ذلك أن الكواكب جميعها تدور من المشرق تقع قليلا على ترتيب واحد في حركتها ومقادير أجزائها، إلى أن تتوسط السماء، ثم تنحدر على ذلك

<sup>١</sup> الجواهر الحسان، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، ص: ٤٨ / ٤

<sup>٢</sup> تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ص: ١٨٧ / ٨

<sup>٣</sup> أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي، ص: ٥٥١ / ٩

الترتيب، فكأنها ثابتة في كرة تديرها جميعها دورا واحدا، وهذا محل القصد بالذات، وكذلك أجمعوا على أن الأرض بجميع حركاتها من البر والبحر مثل الكرة، وفكرة الأرض مثبتة في وسط كرة السماء، كالنقطة في الدائرة، يدل على ذلك أن جرم كل كوكب يرى في جميع نواحي السماء، على قدر واحد، فيدل ذلك على بعد ما بين السماء والأرض من جميع الجهات بقدر واحد، فاضطرار أن تكون الأرض وسط السماء".<sup>١</sup>

في تفسير 'التحرير والتنوير' يقول ابن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) رحمه الله "فإن حالة تكوير الله الليل على النهار غير مشاهدة وإنما المشاهد أثرها وتجدد الأثر يدل على تجدد التأثير والتكوير حقيقته: اللفّ والليّ، يقال: كوّر العمامة على رأسه إذا لواها ولفها، ومثلت به هنا هيئة غشيان الليل على النهار في جزء من سطح الأرض وعكس ذلك على التعاقب بهيئة كور العمامة إذ تغشى الليّة التي قبلها، وهو تمثيل بديع قابل للتجزئة بأن تشبه الأرض بالرأس، ويشبه تعاول الليل والنهار عليها بلف طيات العمامة، ومما يزيده إبداعا إثثار مادة التكوير الذي هو معجزة علمية من معجزات القرآن".<sup>٢</sup>

ثم يصف ابن عاشور عن شكل الأرض على أساس الرأي العلمي الحديث حيث يقول: "فإن مادة التكوير جائية من اسم الكرة، وهي الجسم المستدير من جميع جهاته على التساوي، والأرض كروية الشكل في الواقع وذلك كان يجهله العرب وجمهور البشر يومئذ فأوماً القرآن إليه بوصف العرضين اللذين يعتريان الأرض على التعاقب وهما النور والظلمة، أو الليل والنهار، إذ جعل تعاورهما تكويرا لأن

<sup>١</sup> المصدر نفسه، ص: ٥٥١ / ٩

<sup>٢</sup> التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ص: ٣٢٨ / ٢٣

عرض الكرة يكون كرويا تبعا لذاتها، فلما كان سياق هذه الآية للإستدلال على الإلهية الحق بإنشاء السماوات والأرض اختير للإستدلال على ما يتبع ذلك الإنشاء من خلق العرضين العظيمين للأرض مادة التكوير دون غيرها من نحو الغشيان الذي عبر به في قوله تعالى (يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ: الأعراف: ٥٤)<sup>١</sup>.

إن كروية الأرض قد إكتشفتها العلوم الحديثة وألقت إليها الأضواء، وقد إلتقطت الأقمار الصناعية صوراً مختلفة تشهد بكرويتها، وإليه يشير العالم المعاصر مروان وحيد شعبان في كتابه 'الإعجاز القرآني في ضوء الإكتشاف العلمي الحديث': "اعتقد الأقدمون بأن الأرض مسطحة، رغم أن كثيراً من الشعوب القديمة عرفت كرويتها، وحاولت إثباتها بأدلة علمية مثل شعوب بلاد ما بين النهرين، ثم اليونان وبعدهم العرب، لكن كروية الأرض لم تثبت بالشكل العلمي القاطع إلا بعد القرن الخامس عشر الميلادي... فقد أصبحت كرويتها أكيدة ولا مجال للشك فيها، إذ يكفي أن رواد الفضاء رأوها بأم أعينهم وزودونا بالصور والمعلومات الثابتة عن هذه الناحية"<sup>٢</sup>.

توصّل العلماء إلى اليقين الجازم بكرويتها في وسط القرن العشرين، ومنها ما قال صاحب كتاب 'الأجرام السماوية': "وفي يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٦٨، أظهرت شاشات الإذاعات المرئية صوراً تركت أثراً عميقة في نفوس المشاهدين، حيث كانت سفينة الفضاء (أبولو ٨) في طريقها نحو القمر، وآلات تصويرها موجهة نحو الأرض، لقد ظهر كوكبنا الأرضي على جميع شاشات الأجهزة العاملة، كما يبدو من بعيد تبعا لكبر حجمه، وكما شاهده الناس بمظهره الجديد، دائرة مضيئة مرتسمة في نهاية

<sup>١</sup> التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ص: ٣٢٨/٢٣

<sup>٢</sup> الإعجاز القرآني في ضوء الاكتشاف العلمي الحديث دراسة تاريخية وتطبيقات معاصرة، مروان وحيد شعبان، ص: ٢٥٣

الظلمة كان يبدو كالنجم، وقد وصلت فيما بعد الصور التي التقطت بواسطة الأجهزة والآلات، والتي عملت على إبراز الحقيقة المظهرية ذات الوضوح العظيم، وبذلك أمكن تحويل الدائرة الأرضية، وظروف هيكلها السماوي إلى حقيقة نابضة، بعد ما عاشت تغلفها التأكيدات العائدة لآلاف السنين"<sup>١</sup>.

والمفكرون الحديث يحاولون أن يفسروا هذه الآية في أبعاد جديدة يقول منصور حسب النبي في كتابه 'الكون والإعجاز العلمي في القرآن': "إن الآية الكريمة تشير إلى كروية الأرض بدليل كروية غلافها الجوي بنهاره وليله، وكذلك تشير إلى عملية التبادل بين النهار والليل نتيجة دوران الأرض حول نفسها، وأن النهار والليل موجودان في نفس الوقت حول الكرة الأرضية، فنصف الأرض المواجه للشمس يكون نهارا والنصف الآخر يكون ليلا، ولن يسبق أحدهما الآخر ، فعند ما تدور الأرض حول نفسها يصبح النهار ليلا ويصبح الليل نهاراً"<sup>٢</sup>.

### ملخص القول

وقد توضح من البحث أنه لم يصرح القرآن تصريحاً قاطعاً بكروية الأرض لأن مدارك الناس وقدراتهم العقلية لا يمكن أن تستوعب مسألة كهذه وقت نزول القرآن، لأنهم ينظرون ويرون الأرض أمامهم ممدودة مبسوطة ساكنة لا تتحرك، هذا من الحكمة الربانية ، ولكن الإعجاز البياني المتألق يشير إلى كروية الأرض إشارة، والنصوص القرآنية مضمونة بقضية تكوير الأرض من ناحية المعنى وليس صراحة وقطعاً، ولما تقدمت العلوم واتضح غوامض الكون في العصر الحديث وما بعدها، فتبين للناس كروية الأرض من خلال الأقمار الصناعية وغيرها، فواضح

<sup>١</sup> الأجرام السماوية، غيدو روجيري ، ترجمة عبد اللطيف أبو عرقوب، ص: ٨٠٧.

<sup>٢</sup> الكون والإعجاز العلمي في القرآن، منصور حسب النبي، ص: ١٥٠.

مما سبق من آراء المفسرين في العصور المختلفة كيف تطورت وارتفعت آراؤه عبر العصور حتى وصلت إلى ما وصلت في عصر ما بعد الحداثة.

معظم المفسرين الكبار شبهوا تكوير الليل والنهار بالتواء العمامة بعضها على بعض، قد دارت الأرض حول نفسها وهي مكورة، فالأرض كالرأس والظلام والضيء يتتابعان تتابع أكوام العمامة، ويلتفان متتابعان حولها، وفيه إشارة إلى كروية الأرض أولاً، وإلى دورانها حول نفسها ثانياً، توجد الإشارة إليهما في أقوال المفسرين مثل الإمام الشنقيطي رحمه الله 'ولهذا يقال للأفلاك كروية الشكل' وإن أصل الكرة كورة تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً. والمفسرون الحديث يحاولون أن يفسروا هذه الآية بمساعدة إستنتاجات الجديدة من العلم الحديث.

وبالجمله أن كلمة 'دحا' و'طحا' و'كور' كلها تتوافق آراء العلماء قديماً وحديثاً في بساطة الأرض وتوسعها و كرويتها، وكذلك قد وردت كلمات أخرى في الآيات التي تشير إلى هيئة الأرض مثل 'مد' و'سطح' ولكنها لاتنافي كروية الأرض، والأرض لعظم جرمها الظاهر يشاهد كل قطعة وقطر منها كأنه مسطح. وآراء المفسرين في كروية الأرض وبساطتها، ومعاني الكلمات التي وردت في المعاجم حول الكلمات القرآنية التي تشير إلى كروية الأرض وبساطتها تبدو إعجاز القرآن اللغوي في استخدام الإصطلاحات الموافقة للحق، وفي العصر الحديث هذه الكلمات أكثر موافقا لنظريات العلم الحديث واختراعاته، ولا تنافي ولا تضاد نظرياتها في كروية الأرض وبساطتها.

## ٢١. قرارا

الأرض هي الكوكب الوحيد التي توجد فيه الحياة، وهي من مجموعة من كواكب المجموعة الشمسية، والمجموعة الشمسية نفسها تتضمن مئات المليارات من النجوم، وفيها منطقة صالحة للسكن، وإليه يشير ما وردت في موقع ويكي بديا: "أن بُعد الأرض عن الشمس الذي يبلغ نحو ١٥٠ مليون كيلومتر، ومدار الأرض حول الشمس في فلك دائري يجعل عليها درجات حرارة مناسبة ليست بالمرتفعة كثيرا وليست باردة جدا بحيث تلائم نشأة حياة واستمرارها عليها، بالإضافة إلى ذلك حجم مناسب للأرض يجعلها تحتفظ بغلافها الجوي ووجود الماء عليها، ووجود غاز الأوزون في جو الأرض الذي يحمي الأحياء عليها من الأشعة فوق البنفسجية الضارة، علاوة على مجالها المغناطيسي الذي يحميها من الجسيمات الأولية السريعة التي تأتي مع الرياح الشمسية فتهدد سلامة الأحياء على الأرض".<sup>١</sup> وفي القرآن الكريم آيات وردت إشارة إلى جعل الأرض قرارا واستقرارا، يريد الباحث دراسة دلالية عن كلمة 'قرارا' التي استخدمت في هذه الآيات الواردة ومعانيها ودلالاتها في المعاجم وآراء المفسرين الكبار فيها.

## كلمة 'قرارا'

كلمة 'قرارا' وردت في القرآن الكريم في موضعين كالمفعول الثاني بعد 'الأرض' مع الألف في آخره، وهي في سورة النمل (٦١) وفي سورة الغافر (٦٤).

- (أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا)<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> <https://ar.wikipedia.org/wiki/الأرض>

<sup>٢</sup> سورة النمل، الآية: ٦١

• (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً)<sup>١</sup>.

## كلمة (قرار) في المعاجم اللغوية

والقرار أصله مصدر قرّ، إذا سكن، وهو هنا من صفات الأرض لأنه في حكم الخبر عن الأرض، كلمة: (قَرَارًا) معناها في اللغة 'الثبات والاستقرار'.

يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتاب العين: "والقرار: المستقر من الأرض، وأقرته في مقره ليقر، وفلان قار أي ساكن، وما يتقار في مكانه ويقر أي ما يستقر. والإقرار: الإعتراف بالشيء، والقرارة: القاع المستدير"<sup>٢</sup>.

يقول الإمام الزبيدي في تاج العروس من الجواهر القاموس: " (و) قر (بالمكان يقر بالكسر وبالفتح)، (ثبت وسكن)، فهو قار، (كاستقر، وتقار)، وهو مستقر.. القرار، والقرارة: (المطمئن من الأرض) والمستقر منها"<sup>٣</sup>.

يقول ابن منظور صاحب الكتاب 'لسان العرب': "قرارا، بطون الأرض قرارها، لأن الماء يستقر فيها، ويقال: القرار، مستقر الماء في الروضة وقراره ومستقره، تناهي وثبت"<sup>٤</sup>.

هذا مفهوم كلمة 'قرارا' من صفات الأرض، أي جعل الله الأرض قرارا، مكنها الله ليسكنوا عليها وجعلها مستقرا ومثبوتا، وتضم وتجمع أحياء وأمواتا.

<sup>١</sup> سورة غافر، الآية: ٦٤

<sup>٢</sup> كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي: ص: ج ٣/٣٧٤

<sup>٣</sup> تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، ص: ج ١٣/٣٩٢

<sup>٤</sup> لسان العرب، ابن منظور، ص: ٨٥ / ٥

## التفسير والتأويل للآيات عند المفسرين عبر الزمان

الإمام محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) رحمه الله يقول: "الله الذي له الألوهية خالصة أيها الناس، الذي جعل لكم الأرض التي أنتم على ظهرها سكان قرارا تستقرون عليها، وتسكنون فوقها، والسّماء بناء، بناها فرفعها فوقكم بغير عمد ترونها لمصالحكم، وقوام دنياكم إلى بلوغ آجالكم"<sup>١</sup>.

وفي 'التفسير الكبير' يقول الإمام فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ): "كونها قرارا وذلك لوجوه، الأول: أنه دحاها وسواها للاستقرار، الثاني: أنه تعالى جعلها متوسطة في الصلابة والرخاوة، فليست في الصلابة كالحجر الذي يتألم الإنسان بالاضطجاع عليه، وليست في الرخاوة كالماء الذي يغوص فيه، الثالث: أنه تعالى جعلها كثيفة غبراء ليستقر عليها النور، ولو كانت لطيفة لما استقر النور عليها، ولو لم يستقر النور عليها لصارت من شدة بردها بحيث تموت الحيوانات، الرابع: أنه سبحانه جعل الشمس بسبب ميل مدارها عن مدار منطقة الكل، بحيث تبعد تارة وتقرب أخرى من سمت الرأس، ولو لا ذلك لما اختلفت الفصول، ولما حصلت المنافع"<sup>٢</sup>.

يقول ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) رحمه الله في تفسيره: "يقول تعالى: (أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا) أي قارة ساكنة ثابتة لا تميد ولا تتحرك بأهلها ولا ترجف بهم، فإنها لو كانت كذلك لما طاب عليها العيش والحياة، بل جعلها من فضله ورحمته مهادا بساطا ثابتة لا تتزلزل ولا تتحرك"<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، ص: ٥٢/٢٤

<sup>٢</sup> التفسير الكبير، للفخر فخر الدين الرازي، ص: ٥٦٦/٢٤

<sup>٣</sup> تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، ص: ١٨٣/٦

وفي 'روح المعاني' للإمام الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ) رحمه الله وهو يقول: "أي جعلها بحيث يستقر عليها الإنسان والدواب، بإبداء بعضها من الماء ودحوها وتسويتها حسبما يدور عليه منافعهم، فقرارا بمعنى مستقرا لا بمعنى قارة غير مضطربة"<sup>١</sup>.

وابن عاشور رحمه الله (ت ١٣٩٣ هـ) يقول: "والقرار: مصدر قرّ، إذا ثبت وسكن. ووصف الأرض به للمغالبة، أي ذات قرار. والمعنى جعل الأرض ثابتة قارة غير مضطربة. وهذا تدبير عجيب ولا يدرك تمام هذا الصنع العجيب إلا عند العلم بأن هذه الأرض سايحة في الهواء متحركة في كل لحظة وهي مع ذلك قارة فيما يبدو لسكانها فهذا تدبير أعجب، وفيه مع ذل رحمة ونعمة، ولولا قرارها لكان الناس عليها متزلزلين مضطربين ولكانت أشغالهم معنّة لهم"<sup>٢</sup>.

يشير الله سبحانه تعالى في هذه الآيات إلى نعمه الواسعة، ومن نعمه جعل الأرض قرارا واستقرارا للسكنى، في العصر الحديث وقد حاول العلماء أن يكتشفوا من هذه الآية إشارات إلى نعمة الجاذبية، الجاذبية الأرضية التي من شأنها أن تقر الأشياء على الأرض، ويكون هذا الاستقرار سببا لتحقيق الحياة عليها.

وإليه يشير قول العالم المعاصر مروان وحيد شعبان: "فقانون الجاذبية قانون عام شامل يعمل في الكون كله، حيث إن الكائنات كلها تتجاذب وإن لم نر نحن القوة الرابطة بين المتجاذبين، إلا أننا نعرفنا عليها من نتيجة أثر الجسم الكبير في الصغير، ورأينا فيما مضى كيف أن الشمس تجذب منظومتها كلها، والأرض كذلك تجذب كل من عليها بما في ذلك القمر، والغلاف الجوي خاضع لقانون الجاذبية ولو لا الجاذبية لفرت وتلاشت الأحياء، وهكذا فإن هذا القانون عام وشامل،

<sup>١</sup> روح المعاني، الألوسي، ص: ١٦/٢٠

<sup>٢</sup> التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ص: ١٣/٢٠

وسيحدثنا عنه العلماء وعن هذه القضايا التي أومأنا إليها، غير أن هذا القانون الذي اكتشفه 'نيوتن' <sup>١</sup> وأماط اللثام عنه، قد قرره الحق تبارك وتعالى في كثير من آيات القرآن المجيد <sup>٢</sup>.

يقول منصور حسب النبي حول الجاذبية العامة في كتابه 'الكون والإعجاز العلمي في القرآن': "قانون كوني موجود في طبيعة الأشياء كلها، ويعمل في صمت في الأرض والسماء، ولقد كان 'لنيوتن' الفضل في اكتشاف قانون الجاذبية ولقد قال 'نيوتن' نفسه: إنه لأمر غير مفهوم أن نجد مادة لا حياة فيها ولا إحساس، وهي تشد، أي تجذب مادة أخرى دون أي رباط بينها وتعمل الجاذبية في كل الأشياء كبيرها وصغيرها، فالكل يتجاذب وإن لم يظهر إلا أثر الكبير في الصغير، فالشمس تجذب الأرض، والأرض تجذب القمر، بل تجذب كل شيء قريب منها بقوة نشعر بها جميعا وأنت نفسك سجين الجاذبية، لأنك لا تستطيع أن ترتفع عن الأرض لأنها تجذبك إليها وأنت أيضا تجذب الأرض لك، ولكن شتان ما بين كتلتك وكتلة الأرض، ورغم هذا الجذب فإنك تستطيع التحرك على الأرض نظرا لضئيلة قوة الجذب بينك وبين الأرض ... والطائر عند ما يموت يقع على الأرض، ورفع الحجر عن الأرض يتطلب مجهودا والصعود على الجبل أشق من النزول منه بسبب الجاذبية، ومن فضل الله

<sup>١</sup> إسحاق نيوتن ، ١٦٤٢ . ١٧٢٧ ، فلكي بريطاني ، اكتشف قانون الجاذبية ووضع لها ثلاثة قوانين ، كان لها أثر كبير في دراسة علم الفلك ، والتنبيه إلى اهتزاز حركة الكواكب وعدم انتظامها ، كما اكتشف طريقة الحصول على طبيعة الأجسام المضيئة عن طريق تحليل الضوء إلى طيف بواسطة الموشور الزجاجي . انظر: الأطلس الفلكي ، محمد عصام الميداني ، ص: ٨٧ ، وانظر: الأوائل ، علي جمعة الخويلد ، بيروت ، الدار العربية للعلوم ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ ، ص ١٣٨ .

<sup>٢</sup> الإعجاز القرآن في ضوء الاكتشاف العلمي الحديث دراسة تاريخية وتطبيقات معاصرة، مروان وحيد شعبان، ص: ٢٥٣

علينا أن الجاذبية الأرضية قد احتفظت لنا بغلاف جوي يحيط بأرضنا ولو لا هذه الجاذبية لهرب الهواء وانعدمت الحياة على كوكبنا<sup>١</sup>.

## ملخص القول

النظر إلى المفسرين السلف يكشف كيف تطورت دلالة معنى الكلمة 'قرار' إلى المعنى الذي يتضمن المعارف الجديدة التي تطرقت إليها العلم الحديث بإختراعها 'الجاذبية'، إن تطور دلالة الكلمة من دلالتها الأولى إلى الدلالة الحديثة التي لا تضاد اكتشافات العلم الحديث واضح في التفاسير المشهور، مثلا مفهوم من قول محمد بن جرير الطبري رحمه الله إن الله جعل الأرض موضع السكن، والسكان يستقرون عليها، وبني الله هذا كله لمصالح الناس، وفي رأي الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله كون الأرض قرارا، دحاها الله وسواها للاستقرار، وجعلها متوسطة في الصلابة والرخاوة، ليست كالحجر في الصلابة وليست كالماء في الرخاوة، وجعل فوق الأرض غبراء كثيفة لأن يجعل النور مستقرا عليها، ولو لم يستقر النور عليها لصارت الحيوانات تموت.

وقد توضح من قول ابن كثير رحمه الله أن الله جعل الأرض قارة ساكنة ثابتة لا تميد ولا تتحرك بأهلها ولا تتزلزل، لو كانت متزلزلة ومرتجفة بهم لما طاب عليها العيش. وفي رأي الإمام الآلوسي رحمه الله أن كلمة 'قرار' هي بمعنى مستقرا لا بمعنى قارة غير مضطربة. وتطور معنى كلمة 'قرار' واضح في تفسير ابن عاشور رحمه الله من القرن العشرين، في رأيه لا يدرك تمام الصنع العجيب في جعل الأرض ثابتة قارة غير مضطربة إلا عند العلم، أن الأرض سابحة في الهواء وهي متحركة في كل لحظة

<sup>١</sup> الكون والإعجاز العلمي في القرآن، منصور حسب النبي، ص ٦١

ومع ذلك قارة، ولو لا قرارها لكان الناس متزلزين. إن ابن عاشور رحمه الله يحاول أن يؤول هذه الآية مع الإشارة إلى كروية الأرض وتحركها في الهواء، مع هذه البيانات دلالة كلمة 'قرار' تصير أكثر واضحا وتأثيرا.

## الفصل السادس: الدلالات الواردة

### في ظواهر الطبيعة

#### ٢٢. الرياح اللواقح

الريح أو الرياح: "هي عبارة عن انتقال أو تحرك للكتل الهوائية من منطقة إلى أخرى بشكل أفقي في الجو، وذلك تبعاً لاختلاف قيم الضغط الجوي من منطقة إلى أخرى؛ بحيث تتحرك الرياح دائماً حركة تسارعية من المناطق ذات الضغط الجوي المرتفع إلى المناطق ذات الضغط الجوي المنخفض"<sup>١</sup>. الريح في الأصل، وقد ورد في كتاب 'أرشيف منتدى الفصيح: أصل الريح والرياح' في موقع المكتبة الشاملة الحديثة: "إنما سُميت الريح ريحاً لأنَّ الغالب عليها في هبوبها المجيء بالروح والراحة وانقطاع هبوبها يكسب الكَرْبَ والغَمَّ والأذى فهي مأخوذة من الرِّوْح. وأصلها رِوْحٌ فصارت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها كما فعلوا مثل ذلك في الميزان و الميعاد و العيد"<sup>٢</sup>.

كلمة 'لواقح' وردت مرة واحدة في القرآن الكريم، هي في سورة الحجر مقترنة بكلمة 'الرياح': "وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ"<sup>٣</sup>. أما كلمة 'ريح' وردت في القرآن الكريم في صيغة المفرد أربع عشرة مرة (١٤)، وكلمة 'ريحا' أربع مرات (٤)، وأما كلمة 'الرياح' في صيغة الجمع عشر مرات (١٠) و'ريحان' مرة واحدة و'ريحكم' أيضاً مرة واحدة. إن لفظ 'الرياح' جاء في القرآن

<sup>١</sup> [https://ar.wikipedia.org/wiki/ريح#cite\\_note-1](https://ar.wikipedia.org/wiki/ريح#cite_note-1)

<sup>٢</sup> أرشيف منتدى الفصيح - أصل الريح والرياح - المكتبة الشاملة الحديثة (al-) <https://maktaba.org/book/31862/20358#p4>

<sup>٣</sup> سورة الحجر، الآية: ٢٢

في موضع الرحمة، و جاء لفظ 'الريح' في موضع العذاب، وهذا ما يفهم من قول المفسرين إن ريح العذاب شديدة ملتئمة الأجزاء كأنها جسم واحد، وريح الرحمة لينة متقطعة.

يشير الإمام القرطبي (ت ٦٧١ هـ) رحمه الله إليه في تفسير الآية رقم ١٦٤ من سورة البقرة: "قوله تعالى: "وتصريف الرياح" قرأ حمزة والكسائي "الريح" على الأفراد، وكذا في الأعراف والكهف وإبراهيم والنمل والروم وفاطر والشورى والجاثية، لاختلاف بينهما في ذلك، ووافقهما ابن كثير في الأعراف والنمل والروم وفاطر والشورى. وأفرد حمزة "الرياح لواقع" (الحجر: ٢٢). وأفرد ابن كثير "وهو الذي أرسل الرياح" (الفرقان: ٤٨) في الفرقان وقرأ الباقون بالجمع في جميعها سوى الذي في إبراهيم والشورى فلم يقرأهما بالجمع سوى نافع، ولم يختلف السبعة فيما سوى هذه المواضع، والذي ذكرناه في الروم هو الثاني "الله الذي يرسل الرياح" (الروم: ٤٨). ولا خلاف بينهم في "الرياح مبشرات" (الروم: ٤٦). وكان أبو جعفر يزيد بن القعقاع يجمع الرياح إذا كان فيها ألف ولام في جميع القرآن، سوى "تهوي به الريح" (الحج: ٣١) و"الريح العقيم" (الذاريات: ٤١) فإن لم يكن فيه ألف ولام أفرد. فمن وحد مع الريح فلأنه اسم للجنس ويدل على القليل والكثير، ومن جمع فلاختلاف الجهات التي تهب منها الرياح، ومن جمع مع الرحمة ووحده مع العذاب فإنه فعل ذلك اعتبارا بالأغلب في القرآن نحو: الرياح مبشرات، والريح العقيم، فجاءت في القرآن مجموعة مع الرحمة، مفردة مع العذاب إلا في يونس (وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ: يونس/٢٢). وروي أن الرسول ﷺ كان يقول إذا هبت الريح : (اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا) وذلك لأن ريح العذاب شديدة ملتئمة الأجزاء كأنها جسم واحد، وريح الرحمة لينة متقطعة فلذلك هي رياح. فأفردت مع الفلك في "يونس"، لأن ريح إجراء السفن إنما هي ريح واحدة متصلة ثم وصفت بالطيب فزال

الاشتراك بينها وبين ريح العذاب"<sup>١</sup>. الريح التي تحمل العذاب، لا يشعر بها الناس حتى إذا ما وصلت إليهم بشدة قوتها، أما الرياح فهي النسيم العليل فيها الخير والبركة والراحة النفسية والطمأنينة القلبية، وللرياح جانبين جانب الرحمة والعذاب.

### كلمة اللواقح في المعاجم اللغوية

معنى لواقح في اللغة: يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي في 'كتاب العين': لقح: اللقاح: اسم ماء الفحل. واللقاح: مصدر لقحت.. واللواقح من الرياح: التي تحمل الندى ثم تمجه في السحاب، وفي كل شيء، فإذا اجتمع في السحاب صار مطرا"<sup>٢</sup>.

يقول ابن منظور في لسان العرب: "اللقح اسم ما أخذ من الفحل ليدس في الآخر، وجاءنا زمن اللقاح أي التلقيح، وقد لقحت النخيل، ويقال للنخلة الواحدة: لقحت بالتخفيف واستلقحت النخلة، أي أن لها أن تلقح، وألقحت الريح السحابة والشجرة ونحو ذلك في كل شيء يحمل، واللواقح من الرياح التي تحمل الندى ثم تمجه في السحاب فإذا اجتمع في السحاب صار مطرا، وقيل: إنما هي ملاقح، فأما قولهم: لواقح فعلى حذف الزائد، قال الله سبحانه: (وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ)"<sup>٣</sup>.

وفي تاج العروس يقول الزبيدي: "لواقح، فعلى حذف الزائد- قال الله تعالى: (وأرسلنا الرياح لواقح)، قال ابن جني: قياسه ملاقح، لأن الريح تلقح السحاب، وقد يجوز أن يكون على لقحت فهي لاقح.. وقال الأزهري: قرأها حمزة (لواقح) فهو بين، ولكن يقال إنما الريح ملقحة تلقح الشجر فكيف قيل لواقح؟ ففي ذلك معنيان: أحدهما

<sup>١</sup> تفسير محمد بن فرح القرطبي، محمد بن فرح القرطبي، ص: ١٩٨/٢

<sup>٢</sup> كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص: ٩٥/٤

<sup>٣</sup> لسان العرب، لابن منظور، ص: ٥٩٧/٢

أن تجعل الريح هي التي تلتح بمرورها على التراب والماء. فيكون فيها اللقاح، فيقال: ريح لاقح، كما يقال: ناقة لاقح، ويشهد على ذلك أنه وصف ريح العذاب بالعقيم، فجعلها عقيما إذ لم تلتح، والوجه الآخر: وصفها باللقح وإن كانت تلتح، قال الأزهري: ومعنى قوله (وأرسلنا الرياح لواقح) أي حوامل، جعل الريح لاقحا لأنها تحمل الماء والسحاب وتقلبه وتصرفه ثم تستدره، فالرياح لواقح أي حوامل على هذا المعنى"<sup>١</sup>.

في 'المنجد في اللغة والأعلام' يقول صاحبه لويس معلوف: "لقح: لقح- لقحا النخل: أبره أي وضع طلع الذكور في الإناث.. ريح لاقح: تلتح الشجر عنها، اللواقح: الإناث التي في بطونها أولادها، واللواقح من الرياح: التي تحمل الندى ثم تمجه في السحاب فإذا اجتمع في السحاب صار مطرا"<sup>٢</sup>.

هذا واضح مما سبق إن معنى الأصلي للفظ لواقح في المعاجم هو اسم ماء الفحل والريح اللواقح هي حاملة الندى ثم تمجه في السحاب، وهذه تسبب للمطر، والريح تلتح السحاب، وهي لواقح وحوامل، إذ لم تلتح فتكون الريح عقيما، وهي ريح عذاب.

### التفسير والتأويل للآية عند المفسرين عبر الزمان

هذه الآية الكريمة تشير إلى إنزال الماء من السماء وتبين أن تلقيح الرياح يؤدي إلى إنزال المطر من السماء، وكلمة 'تلقيح' خاضعة للتطور في دلالتها عبر العصور يقول المفسرون:

<sup>١</sup> تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، ص: ٩٦/٧-٩٧

<sup>٢</sup> المنجد في اللغة والأعلام، لويس معلوف، ص: ٢٢٨

يقدم الإمام محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) رحمه الله في تفسيره آراء مختلفة من العلماء وهو يقول: "اختلف أهل العربية في وجه وصف الرياح باللقح، وإنما هي ملقحة لا لاقحة وذلك أنها تلقح السحاب والشجر، وإنما توصف باللقح الملقوحة لا الملقح، كما يقال: ناقة لاقح، كان بعض نحويي البصرة يقول: قيل: الرياح لواقح، فجعلها على لاقح، كأن الرياح لقت، لأن فيها خيرا فقد لقت بخير، قال: وقال بعضهم: الرياح تلقح السحاب، فهذا يدل على ذلك المعنى لأنها إذا أنشأته وفيها خير وصل ذلك إليه، وكان بعض نحويي الكوفة يقول: في ذلك معنيان أحدهما أن يجعل الريح هي التي تلقح بمرورها على التراب والماء فيكون فيها اللقاح، فيقال: ربح لاقح، كما يقال: ناقة لاقح .. والصواب من القول في ذلك عندي: أن الرياح لواقح كما وصفها به جل ثناؤه من صفتها، وإن كانت قد تلقح السحاب والأشجار، فهي لاقحة ملقحة، ولقحها: حملها الماء، وإلقاحها السحاب والشجر عملها فيه"<sup>١</sup>. وقال الزمخشري (ت ٥٧٨ هـ) رحمه الله عن اللواقح: "فيه قولان: أحدهما أن الريح لاقح، إذا جاءت بخير من إنشاء سحاب ماطر كما قيل للتي لا تأتي بخير ربح عقيم، والثاني: أن اللواقح بمعنى الملاقح"<sup>٢</sup>.

يقول الإمام القرطبي (ت ٦٧١ هـ): "معنى لواقح، حوامل لأنها تحمل الماء والتراب والسحاب والخير والنفع ... وجعل الريح لاقحا لأنها تحمل السحاب، أي تقله وتصرفه ثم تمر به فتستدره أي تنزله"<sup>٣</sup>.

في قول ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) رحمه الله: "تلقح السحاب فتدر ماء وتلقح الشجر فتفتح عن أوراقها وأكمامها، وذكرها بصيغة الجمع ليكون منها الإنتاج بخلاف الريح

<sup>١</sup> جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، ص: ١٤/١٤

<sup>٢</sup> الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، جار الله الزمخشري، ص: ٣٨٩/٢

<sup>٣</sup> الجامع لأحكام القرآن، محمد بن فرح القرطبي، ص: ١٥/٥

العقيم فإنه أفردتها ووصفها بالعقيم وهو عدم الإنتاج<sup>١</sup>. أي إنه يرى أن المقصود باللواقح هو تلقيح الرياح للشجر، وهو يقارن تلقيح الشجر بتلقيح الرياح للسحب.

يبين ابن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) رحمه الله هذه الآية بالتفصيل في تفسيره: "انتقال من الاستدلال بظواهر السماء وظواهر الأرض إلى الاستدلال بظواهر كرة الهواء الواقعة بين السماء والأرض، وذلك للاستدلال بفعل الرياح والمنة بما فيها من الفوائد. والإرسال: مجاز في نقل الشيء من مكان إلى مكان، وهذا يدل على أن الرياح مستمرة الهبوب في الكرة الهوائية، وهي تظهر في مكان آتية إليه من مكان آخر وهكذا. . . ."

و(لواقح) حال من (الرياح)،.. و(لواقح) صالحٌ لأن يكون جمع لآقح وهي الناقة الحبلية، واستعمل هنا استعارة للريح المشتملة على الرطوبة التي تكون سبباً في نزول المطر، كما استعمل في ضدها العقيم ضد اللاقح في قوله تعالى (إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم: سورة الذاريات/٤١)

وصالح لأن يكون جمع مُلقح وهو الذي يجعل غيره لاقحاً، أي الفحل إذا ألقح الناقة. ومعنى الإلقاح أن الرياح تلقح السحاب بالماء بتوجيه عمل الحرارة والبرودة متعاقبين فينشأ عن ذلك البخار الذي يصير ماء في الجو ثم ينزل مطراً على الأرض؛ وأنها تلقح الشجر ذي الثمرة بأن تنقل إلى نوره غبرة دقيقة من نور الشجر الذكر فتصلح ثمرته أو تثبت، وبدون ذلك لا تثبت أو لا تصلح. وهذا هو الإبار، وبعضه لا يحصل إلا بتعليق الطلع الذكر على الشجرة المثمرة، وبعضه يكتفي منه بغرس شجرة ذكر في خلال شجر الثمر.

<sup>١</sup> تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، ص: ٣/٣٩٦

ومن بلاغة الآية إيراد هذا الوصف لإفادة كلا العاملين اللذين تعملهما الرياح، وقد فسرت الآية بهما، واقتصر جمهور المفسرين على أنها لواقح السحاب بالمطر. وروى أبو بكر بن العربي عن مالك أنه قال: قال الله تعالى (وأرسلنا الرياح لواقح) فلقاح القمح عندي أن يحبب ويسنبل ولا أريد ما يببس في أكمامه ولكن يحبب حتى يكون لو يبس حينئذ لم يكن فساداً لا خير فيه. ولقاح الشجر كلها أن تثمر ثم يسقط منها ما يسقط ويثبت ما يثبت".<sup>١</sup>

والإمام الشيخ طنطاوي جوهرى رحمه الله يقول: "ووصف - سبحانه - الرياح بكونها لواقح، لأنها حوامل تحمل ما يكون سببا في نزول الأمطار كما تحمل النوق الأجنة في بطونها،... ويصح أن يكون لفظ (لواقح) جمع ملقح - اسم فاعل - وهو الذي يلحق غيره، فتكون الرياح ملقحة لغيرها كما يلحق الذكر الأنثى".<sup>٢</sup>

يقول الصابوني (ت ١٤٤٢ هـ) رحمه الله: أي تلقح السحاب فيدر ماء، وتلقح الشجر فيتفتح عن أوراقه وأكمامه، فالريح كالفضل للسحاب والشجر".<sup>٣</sup>

## ملخص القول

وقد رأى الإمام محمد بن جرير الطبري رحمه الله أن الرياح تلقح السحاب يعني إذا أنشأت الرياح السحاب، أي فيها خير فوصل إليه، ويرى البعض الرياح لاقح أي إذا تلقح بمرورها على التراب والماء فيكون فيها اللقاح. وهو يقدم رأيه الخاصة أيضا بهذا حيث يقول الرياح لواقح كما وصفها الله، وهو من صفة الريح، إن كانت تلقح

<sup>١</sup> التحرير والتنوير لابن عاشور، ص: ٢٦٣ (<https://quran-tafsir.net/ashour/sura15-aya22.html#p1>)

<sup>٢</sup> التفسير الوسيط للقرآن الكريم، السيد الشيخ طنطاوي جوهرى (<https://quran-tafsir.net/ashour-tantawy/sura15-aya22.html#p6>)

<sup>٣</sup> صفوة التفاسير، الصابوني، ص: ١٠٨/٢

السحاب والأشجار فهي لاقحة ملقحة. والإمام الزمخشري رحمه الله أيضا يقدم قولين هما أنه إذا جاءت الرياح بالخير فالريح لاقح، وإذا لم تأت بخير فهو ريح عقيم.

في رأي الإمام القرطبي رحمه الله كلمة 'لواقح' معناه 'حوامل' لأن الرياح تحمل الماء والتراب والسحاب والخير، إنها تحمل السحاب، وتمر به وتنزله، وفي رأي ابن كثير رحمه الله كلمة الرياح استخدمها في صيغة الجمع ليكون منها الإنتاج بخلاف الرياح العقيم فهو مفرد وهو عدم الإنتاج. وقد طرحت أسئلة خلال مناقشة المفسرين مثل هل الرياح لاقح أم ملقحة؟ لأن الرياح توصف باللقح الملقوحة لا الملقح، إذ قال الرياح تلقح السحاب يعني في الرياح خير أنها إذا أنشأت السحاب، فوصل إليه، والرأي أكثر صوابا في هذه المناقشة هي في الرياح خير، ولها قوة وقدرة لللقح، إذا تلقح بالسحاب فالمطر ينزل، وإذا تلقح الشجر فتفتح أوراقها وأكمامها وثمارها.

إعتبر ابن عاشور رحمه الله من مفسري العصر الحديث لفظ 'لواقح' حالا من الرياح، في الأصل هي تدل على 'الناقة الحبلية'، واستعماله في هذه الآية كالإستعارة للريح المشتملة على الرطوبة المسببة لنزول المطر، والعقيم ضد اللاقح، وكلمة اللواقح جمع ملقح الذي يجعل غيره لاقحا، والرياح تلقح السحاب بالماء فينزل المطر، وإذا تلقح الشجرة تكون مثمرة، ففي رأي الإمام ابن عاشور أن هذا الوصف أي 'اللواقح' هو لإفادة كلا العاملين تعملها الرياح، وهو يقول إن الجمهور من المفسرين الكبار إقتصروا على أنها أي الرياح لواقح السحاب بالمطر فقط، ولكنها تلقح الشجر أيضا لأن يحبب ويسنبل ويثمر، ولها قدرة أن تلقح السحاب والأشجار معا، ونظرية العلم الحديث في الرياح أيضا كذلك.

حققت دراسات مستمرة وتجارب طويلة من جهة العلماء في العصر الحديث إن للرياح دور عظيم في عملية تشكل الغيوم، حسب الاكتشافات العلمية الرياح تحمل بخار الماء من سطح البحار والمحيطات إلى طبقات الجو العليا، وذرات الماء تحتاج إلى التكثيف والتجميع لتشكل الغيوم، والرياح تحمل ذرات الغبار والملح الناعمة دائماً، عندما تصعد هذه الذرات إلى الجو وترتفع إلى كلومترات حيث درجة الحرارة منخفضة، تتجمع حولها ذرات الماء لتشكل قطرات، نتيجة لهذه العملية تشكل الغيوم الثقيلة، والرياح هي لواقح للغيوم تسبب لنزول المطر من السماء.

وهذا مفهوم من هذه الآية القرآنية أن الله سبحانه وتعالى أرسل الرياح وسخرها لمنافع العباد، وصورة المنفعة في هذه الآية أنها تعمل على التلقيح 'لواقح'. والتلقيح يكون للأشجار والسحب معاً، إلا أن الآية هنا تتحدث عن تلقيح الرياح للسحب فقط. ومن علماء التفسير من أخذوا بجانب الإعجاز في هذه العبارة لأن المقصود باللواقح تلقيح الزرع والشجر، و قوله تعالى: (وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ) تحتوي كلا المعنيين.

### ٢٣. البحر المسجور

البحر يطلق على تجمع كبير للمياه المالحة يتصل بالمحيط كما على البحيرات المالحة غير المتصلة ببحار أو محيطات أخرى. "كان العرب قديماً يستخدمون مصطلح بحر على أي تجمع للماء الكثير مالحاً كان أو عذباً ولم يستخدموا كلمة محيط فقد كانوا يطلقون على المحيط الأطلسي مسمى بحر الظلمات"<sup>1</sup>. والبحر هو موطن للملايين من الكائنات منها الحيوانات والنباتات من مختلف الأشكال والألوان والأحجام،

<sup>1</sup> <https://ar.wikipedia.org/wiki/بحر>

والفرق بين البحر والمحيط يعتمد على عدة عوامل، وهي الحجم، وطبيعة السواحل، وعمق القاع، ودرجة ملوحة المياه، البحر هي أصغر من المحيط، وعمق البحر لا يزيد عن ٢٠٠٠ متر.

كلمة 'بحر' وردت في القرآن الكريم ثلاثة وثلاثون مرة (٣٣)، وكلمة 'البحران' مرة واحدة، و'البحرين' أربع مرات (٤)، والبحار مرتان (٢). وكلمة 'سجرت' وردت مع 'البحر' مرة واحدة في سورة التكوير، وكلمة 'مسجور' وردت مرة واحدة مع 'البحر' في سورة الطور: هما

• وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (الطور: ٦)

• وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (التكوير: ٦)

عبارة 'والبحر' قسم في سورة الطور، والمسجور وصف هذا البحر، وهذا تأكيد بأن البحر مسجور، وهو قسم الله عز وجل بوجود بحر مسجور في الأرض. ولكن الآية من سورة التكوير: (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ)<sup>١</sup> حديث معهود عن قيام الساعة ونهاية الحياة ودمار الكون وتسجير البحار، وهذه الآية تتحدث عن نهاية الكون وتسجير البحار في المستقبل، إبان خراب الكون ستسجر البحار وتتحول كلها إلى كتلة نارية.

### كلمة 'سجر' في المعاجم

في كتاب العين يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي: "سجر: سجرت التنور أسجره سجرا، والسجور اسم للحطب. والمسجرة: الخشبة التي يساط بها السجور في التنور،... والسجور: امتلاء البحر والعين، وكثرة مائه. والبحر المسجور: المفعم

<sup>١</sup> سورة التكوير، الآية: ٦

الملائن.... وقوله تعالى،: (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ: التكوير/٦)، أي غيضت، وبحر مسجور ومسجر، وبعضهم يفسر أنه لا يبقى فيه ماء"<sup>١</sup>.

في 'لسان العرب': "سجره ملأه، سجرت النهر ملأته، وقوله تعالى: (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) لا وجه له إلا أن تكون ملئت نارا، وقوله تعالى: (وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورِ) جاء في التفسير أن البحر يسجر فيكون نار جهنم، سجر يسجر وانسجر امتلأ، وكان علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: المسجور بالنار أي مملوء، قال المسجور في كلام العرب المملوء وقد سكرت الإناء وسجرتة إذا ملأته"<sup>٢</sup>.

في معجم تاج العروس يقول الزبيدي: "سجر: (سجر التنور) يسجره سجرا: أوقده و(أحماه) وقيل: أشبع وقوده.. وسجر(النهر) يسجره سجرا وسجورا: (ملأه)، كسجره تسجيرا.. (والمَسْجُورُ: الموقدُ).. (و) المسجور: (البَحْرُ الَّذِي مَأْوُهُ أَكْثَرُ مِنْهُ).. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ: التكوير/ ٦) فسره ثعلب فقال: ملئت، قال ابن سيده: ولا وجه له إلا أن تكون ملئت نارا، وجاء أن البحر يسجر فيكون نار جهنم، وكان علي رضي الله عنه يقول: مسجور بالنار، اي مملوء، قال: والمسجور في كلام العرب: المملوء، وقد سكرت الإناء وسجرتة، إذا ملأته، قال لبيد: سَجَّرَتْ (التكوير: ٦) أفضى بعضها إلى فصار بحرا واحدا، وقال الربيع: سَجَّرَتْ أي فاضت، وقال قتادة، ذهب ماؤها، وقال كعب: البحر جهنم يسجر، وقال الزجاج: جعلت مبانيتها نيرانها يحاط بها أهل النار، وقال أبو سعيد: بحر مسجور ومفجور، وقال الحسن البصري، أي أضرمت نارا، وقيل: غيضت مياهها، وإنما يكون ذلك لتسجير النار فيها، وهذا الأخير من البصائر وقيل: لايبعد الجميع، تخلط وتفيض وتصير نارا،

<sup>١</sup> كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص: ٢١٦-٢١٧

<sup>٢</sup> لسان العرب، لابن منظور، ص: ٣٤٥ / ٤

قاله الأبي وغيره، قال شيخنا: وهذا مبني على جواز استعمال المشترك في معانيه، ثم إن قول المصنف: البحر الذي ماؤها أكثر منه، لم أجده في أمهات الأصول اللغوية، وهو مذهب الجمهور، وهم صرحوا أن المسجور المملوء أو الموقد أو المفجور أو غير ذلك، وقد تقدم، ولعله أخذ من قول الفراء؛ فإنه قال: المسجور اللبن الذي ماؤها أكثر من لبنه، وهو يشير إلى معنى المخالطة، فتأمل " <sup>١</sup>.

في 'مفردات ألفاظ القرآن': "السجر، تهيج النار، يقال: سجرت التنور، ومنه (وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ)" <sup>٢</sup>.

هذا واضح من حكايات المعاجم إن لكلمة 'المسجور' عدة معان عندهم، وتفسروا 'البحر المسجور' أيضا في معاجمهم، هذا ممكن تلخيص المعاني المهمة منها: (الحطب، الموقد، تهيج النار) (إملاء البحر والعين بكثرة مائه) (المسجور بالنار: مملوء بالنار) (البحر يسجر: يكون نار جهنم) (البحر الذي ماؤه أكثر منه) (بحر مسجور هو بحر مفجور: فجر من خلالهما الحاجز فصار بحرا واحدا، أفضى بعضها إلى بعض فصار بحرا واحدا) (تخلط وتفيض وتصير نارا).

### التفسير والتأويل للآية عند المفسرين عبر العصور

يقول الإمام محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) في جامعته: "اختلف أهل التأويل في معنى البحر المسجور، فقال بعضهم: الموقد، وتأول ذلك والبحر الموقد المحمي، ذكر من قال ذلك عن سعيد بن المسيب، قال: قال علي رضي الله عنه لرجل من اليهود: أين جهنم؟

<sup>١</sup> تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، ص: ٥٠٣/١١ - ٥٠٥.

<sup>٢</sup> مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص: ٢٢٧.

فقال: البحر، فقال: ما أراه إلا صادقاً.. وعن مجاهد، (وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) قال: الموقد".<sup>١</sup>

ويقول الزمخشري (ت ٥٧٨ هـ) رحمه الله: "(وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) أي المملوء، وقيل الموقد".<sup>٢</sup>

وفي 'الجامع لأحكام القرآن' الإمام القرطبي (ت ٦٧١ هـ) رحمه الله يقول: "(وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) قال مجاهد: الموقد المحي بمنزلة التنور المسجور ... وقال عبد الله بن عمرو: لا يتوضأ بماء البحر لأنه طبق جهنم".<sup>٣</sup>

وفي 'إرشاد العقل السليم' لأبي السعود (ت ٩٨٢ هـ) إنه يقول: "(وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) أي المملوء وهو البحر المحيط أو الموقد".<sup>٤</sup>

يقول الإمام الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) رحمه الله في تفسيره 'فتح القدير': (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) قال: تسجر حتى تصير نارا، وأخرج الطبراني عنه (سُجِّرَتْ) قال: اختلط ماؤها بماء الأرض".<sup>٥</sup>

في تفسير روح المعاني يقول صاحبه الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ) رحمه الله: "(وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) أي: أحميت بأن تغيض مياهها وتظهر النار في مكانها؛ ولذا ورد على ما قيل: إن البحر غطاء جهنم، أو ملئت بتفجير بعضها إلى بعض حتى يكون مالحها وعذبتها بحرا واحدا من سجر التّنور إذا ملأه بالحطب ليحميه، وقيل: ملئت نيرانا تضطرم

<sup>١</sup> جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، ص: ٢٧ / ١٠

<sup>٢</sup> الكشاف، جار الله الزمخشري، ص: ٢٢ / ٤

<sup>٣</sup> الجامع لأحكام القرآن، محمد بن فرح القرطبي، ص: ٤٢ / ٩

<sup>٤</sup> إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ص: ١٤٦ / ٨

<sup>٥</sup> فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ص: ٤٠٧ / ١

لتعذيب أهل النار، وقيل: ملئت تراباً تسوية لها بأرض المحشر وليس له مستند أثر عن السلف<sup>١</sup>.

يقول المفسر صديق حسن خان القنوجي (ت ١٣٠٧هـ): "أي أوقدت فصارت ناراً تضطرم وقال الفراء: ملئت بأن صارت بحراً واحداً وكثير ماؤها وبه قال الربيع بن خيثم والكلبي ومقاتل والحسن والضحاك، وقيل أرسل عذبتها على مالحتها، ومالحتها على عذبتها حتى امتلأت. وقيل فجرت فصارت بحراً واحداً وروي عن قتادة وابن حبان أن معنى الآية يدست ولا يبقى فيها قطرة يقال سجرت الحوض أسجره سجرًا إذا ملأته، وقال القشيري هو من سجرت التنور أسجره سجرًا إذا أحميته. قال ابن زيد وعطية وسفيان ووهب وغيرهم أوقدت فصارت ناراً، وقيل معنى سجرت أنها صارت حمراء كالدم من قولهم عين سجراء أي حمراء..... وقال ابن عباس: تسجر حتى تصير ناراً، وقال أيضاً سجرت أي اختلط ماؤها بماء الأرض<sup>٢</sup>.

ويضيف صديق حسن خان القنوجي قائلاً حكاية قول أحد من أستاذ جامعي. "ونرى كذلك أن المعامل الطبيعية والكيميائية أثبتت أن رسول الله ﷺ صادق فيما بلغه من كتاب الله، ذلك أن قوله تعالى (وإذا البحار سجرت) معناه التهبّت وصارت ناراً. والبحوث العلمية أثبتت أن الماء مكون من عنصرين: أكسوجين وهيدروجين، وأن الهيدروجين يشتعل. والأكسوجين يساعد على الاشتعال. فإذا فصلت القدرة بين عنصرَي الماء تحولت البحار إلى نيران. وهذا دليل جديد على صدق القرآن<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> روح المعاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، ص: ٢٥٠/١٠

<sup>٢</sup> فتح البيان، صديق حسن خان القنوجي، ص: ٢٥٠/١٠

<sup>٣</sup> المصدر نفسه، ص: ٢٥٠/١٠

يقول الإمام القاسمي (ت ١٣٣٢ هـ) رحمه الله في تفسيره 'محاسن التأويل': " (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) أي: ملئت بتفجير بعضها إلى بعض، حتى تعود بحرا واحدا من: (سَجَرَ التَّنُّورِ)، إذا ملأه بالحطب، كقوله: (وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ: الانفطار/٣) وقيل: المعنى تأججت نارا، قال القفال: يحتمل أن تكون جهنم في قعور البحار، فهي الآن غير مسجورة لقوام الدنيا، فإذا انتهت مدة الدنيا، أوصل الله تأثير تلك النيران إلى البحار، فصارت بالكلية مسجورة بسبب ذلك، وأوضحه الإمام بقوله: وقد يكون تسجيرها إضرامها نارا، فإن ما في بطن الأرض من النار يظهر إذ ذاك بتشققها وتمزق طبقاتها العليا، أما الماء فيذهب عند ذلك بخارا ولا يبقى في البحار إلا النار، أما كون باطن الأرض يحتوي على نار فقد ورد به بعض الأخبار، ورد أن (الْبَحْرَ غِطَاءَ جَهَنَّمَ) وإن لم يعرف في صحيحها، ولكن البحث العلمي أثبت ذلك، ويشهد عليه غليان البراكين وهي جبال النار".<sup>١</sup>

يقول المراغي (ت ١٣٧١ هـ) رحمه الله في تفسيره: "(وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) أي والبحر المحبوس من أن يفيض فيغرق جميع ما على الأرض ولا يبقى ولا يذر من حيوان ونبات، فيفسد نظام العالم وتعدم الحكمة التي لأجلها خلق. وقد يكون المعنى- والبحر الموقد في باطن الأرض بمنزلة التنور المحمي...".<sup>٢</sup>

يقول ابن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) رحمه الله في تفسيره: "وتسجير البحار: فيضانها، قال تعالى: (والبحر المسجور)، والمراد تجاوز مياهها معدل سطوحها واختلاط بعضها ببعض وذلك من آثار اختلال قوة كرة الهواء التي كانت ضاغطة عليها، وقد

<sup>١</sup> محاسن التأويل، محمد جمال الدين محمد جمال الدين القاسمي، ص: ٤١٢/٩

<sup>٢</sup> تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ص: ٦٤/٣٠

وقع في آية سورة الإنفطار (وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ: الانفطار/٣) وإذا حدث ذلك اختلط ماؤها برملها فتغير لونه<sup>١</sup>.

يقول المفسر الحديث ابن عثيمين (ت ١٤٢١ هـ): "(وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ: التكوير/٦)، (الْبِحَار) جمع بحر، وَجُمِعَتْ لعظمتها وكثرتها، فإنها تمثل ثلاثة أرباع الأرض تقريبًا أو أكثر، هذه البحار العظيمة إذا كان يوم القيامة فإنها تُسَجَّر، أي: توقد نارا، تشتعل نارا عظيمة، وحينئذ تيبس الأرض ولا يبقى فيها ماء؛ لأن بحارها المياه العظيمة تسجر حتى تكون نارا"<sup>٢</sup>.

### ملخص القول

قد فسر العلماء القدامى تعبير 'المسجور وسجرت' بأرائهم المختلفة، ومنها ما قدم صاحب تفسير جامع البيان الإمام محمد بن جرير الطبري حيث أشار إلى إختلاف أهل التأويل في معنى هذه العبارات ودلالاتها، وقد بين الإمام محمد بن جرير الطبري هذه العبارة على لسان علي عليه السلام حيث قال إجابة لأحد من الأسئلة أين جهنم التي طرحت له بإجابته البحر، ويرى المفسرون في هذا القول إشارة إلى معنى الموقد، ورأي إمام القرطبي رحمه الله هو الموقد بمنزلة التنور، ورأي أبي السعود هو المملوء، والشوكاني يرى وهو البحر الذي يصير نارا، ولكن الإمام الطبراني رأى إختلاط ماء البحر بماء الأرض، وفي رأي الإمام الآلوسي رحمه الله ينقص ماؤها ويظهر النار، أو ملئ بتفجير بعض البحر إلى بعض حتى يكون بحرا واحدا، وله قول آخر هو ملئت البحار ترابا للتسوية بالأرض ولكن ليس لهذا القول سند يتصل بالسلف.

<sup>١</sup> التحرير والتنوير، محمد الطاهيرين عاشور، ص: ١٤٣/٣٠

<sup>٢</sup> تفسير العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ص: جزء عم/٧٠

حاول المفسرون الذين ظهروا بعد القرن التاسع عشر للميلادي أن يضيفوا بعض المعارف العلمية الجديدة بحكاية التفسير بالمأثور في تفاسيرهم، ومنهم المفسر صديق حسن خان القنوجي حيث أضاف نظرية العلوم الحديثة التي تبين عناصر المياه بأنه مكونة من هيدروجين وأوكسجين، وقدرتهما في توكيد النار، هذه أثبتت من بحث العلمية طبيعيا وكيميائيا. فإذا فصلت القدرة بين عنصري الماء تحولت البحار إلى نيران، هذه تشير إلى تطور دلالة كلمة 'المسجور' إلى معنى أكثر موافقا للرأي في العصر الحالي، والإمام القاسمي رحمه الله يقول ثابتا ما في بطن الأرض من النار، يظهر بتشقق وتمزق طبقات العليا من الأرض، فيذهب الماء عند ذلك بخارا، ولا يبقى في البحر إلا النار، ويشير أيضا إلى وجود البراكين في بطون الأرض. في رأي الإمام المراغي إن نظام العالم سيفسد بعد هذه الحادثة، أي توكيد البحار، ولا يبقى حيوان ونبات في الأرض، وفي رأي ابن عاشور رحمه الله هذه إشارة إلى إفساد قوة كرة الهواء التي كانت ضاغطة على البحار وهذه الحادثة ستؤدي إلى اختلاط الماء بالرمال فتغير لونه، وابن عثيمين يرى أن البحار توقد نارا، وتشتعل وتكون يابسة ولا يبقى فيها ماء، ويكون البحر نارا.

هذا واضح أن المقصود بالمسجور هو الموقد أو المهيج بالنار، فيه دلالة صريحة على وجود بحار مسجورة بالنيران، أن المقصود بالبحر المسجور هنا هو من بحار الدنيا وليس الآخرة، في بداية القرن العشرين تبين للعلماء البحار أن قاع البحار مسجورة ومضطربة بالنيران، ووصلوا إلى التأكيد الجازم من وجود براكين ملتهبة بالنار في القيعان. وكذلك دراسات أثبتت ازدياد الحرارة مع العمق، وكشفت في الدراسات لإنفجار البراكين في قيعان المحيطات والبحار أثر نشوء الأمواج العالية والسريعة. ودلالة المسجور قد توسعت من معناها الأصلي إلى المعنى الذي يضمن تطورات الحديثة في مجال البحث عن البحر والتغيرات التي تحدث في حالته.

## الفصل السابع: الدلالات الواردة في خلق الإنسان

لقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة متعلقة بخلق الإنسان، ومراحل تكوينه داخل بطن أمه، حتى يتبين كيف أحسن الله خلقه وإليه يشير قوله تعالى: "لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم"<sup>١</sup>، وأبدع بناءه، وهناك آيات في وصف الإنسان منذ أن كان جنينا إلى أصبح طفلة وإنسانا بالغاً. ولخلق الإنسان سبعة أطوار كما عرفها تبارك وتعالى في سورة المؤمنون: "ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين؛ ثم جعلناه نطفة في قرار مكين؛ ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما؛ ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين"<sup>٢</sup>. فهذه الأطوار السبعة هي: سلالة من طين، نطفة أمشاج، العلقة، المضغة، العظام، لحم، فقد مر الإنسان خلال هذه الأطوار السبعة حتى يصل إلى شكل إنسان في أحسن التقويم. الدلالات التي استخدمها القرآن الكريم ليعرف هذه الأطوار تقتضي بحثا جادا ليعرف مدى دلالات العبارات القرآنية والقيام بتأويل آيات القرآن الواردة بهذا الصدد، يريد الباحث أن يناقش هذه العبارات على ضوء المخترعات الحديثة في مجال علم الطب وغيرها، كما يريد أن يأتي بما أوردها المفسرون بيانا لهذه العبارات في العصور المختلفة حتى يلقي الضوء إلى مدى تطور مستويات تأويل العبارات القرآنية المتعلقة بهذا الموضوع.

<sup>١</sup> سورة التين، الآية: ٤

<sup>٢</sup> سورة المؤمنون: الآيات: ١٢-١٤

٢٤. دافق

٢٥. الصلب

٢٦. الترائب

كلمة 'دافق' قد وردت في القرآن الكريم مرة واحدة في سورة الطارق: (خلق من ماء دافق: ٦)، و'الماء الدافق' في العلم الحديث هو المني الذي يسبح فيه ملايين من العلق، وفقا لنظريته ولولاه ما كان حمل ولا جنين. عرف تبارك وتعالى بعدة دلالات خلال سرد حكاية خلق الإنسان، وإنما لاتزال خاضعة للدراسة والبحث عبر الزمان منذ نزولها، تطور العلم الحديث في مجال الطب يساعد اللغويين لأن يتعمق في دلالات هذه الكلمات والإصطلاحات. في هذين الآيتين ثلاث كلمات هي: 'دافق'، 'الصلب'، 'الترائب'، وقد وجّه العلماء عنايتهم إلى هذه الكلمات حتى رأوا علاقة عميقة بين هذه الكلمات الثلاثة. أما كلمة 'الصلب' قد وردت مرة واحدة فقط كما وردت كلمة 'الترائب' أيضا مرة واحدة، فهذه الكلمات الثلاثة جميعها قد وردت معا في هتين الآيتين من سورة الطارق.

### كلمة 'دافق'، 'الصلب'، 'الترائب' في المعاجم اللغوية

في كتاب العين يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي: "دقق: دقق الماء دفوقا ودفقا، إذا انصب بمرة، والماء الدافق. والنطفة تدقق، واندقق الكوز، انصب بمرة ودفق ماؤه".<sup>١</sup>

في لسان العرب يقول ابن منظور: "دقق: دقق الماء والدمع يدقق دفقا ودفوقا واندقق وتدقق واستدقق: انصب؛ وقيل انصب بمرة فهو دافق أي مدفوق. قال الله

<sup>١</sup> كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص: ٣٦/٢

تعالى؛ خلق من ماء دافق، قال الفراء: معنى دافق مدفوق.. وقال الزجاج: من ماء دافق، معناه من ماء ذي دفق..<sup>١</sup>

في تاج العروس للزبيدي وهو يقول: "دفعه يدفعه بالضم، ويدفقه بالكسر، صبه، وهو ماء دافق، أي: مدفوق كما قالوا: سر كاتم، أي: مكتوم لأنه من قولك: دفع الماء، على ما لم يسم فاعله، دفع الماء لأنّ دفع متعدد عند الجمهور من أئمة اللغة، قال الخليل وسيبويه والرجاج: ماء دافق، أي ذو دفق، وسر كاتم، أي: ذو كتمان"<sup>٢</sup>.

وفي معجم الوسيط: "(دفع) الماء ونحوه- دفقا: صبه فهو مدفوق، ودافق: أي مدفوق على المجاز، أو ذو دفق على النسب"<sup>٣</sup>.

في 'معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن' لحسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل: "دفع الماء يدفع ويدفق وفقا ودفوقا: انصب مرة واحدة بدفع، فهو دافق. ودفق الماء: صبه والماء مدفوق ويقال على هذا الوجه ماء دافق: أي ذو دفق، وإذا وقع عليه هذا الفعل، كما يقال سر كاتم. وبكلا الوجهين فسر قوله تعالى: دافق: (خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ) "٦/الطارق" أي منصب أو ذي انصباب"<sup>٤</sup>.

يقول ابن منظور في لسان العرب: "الترائب: موضع القلادة من الصدر، وقيل: أربع أضلاع من يمنا الصدر وأربع من يسرته. وقوله عز وجل: خلق من ماء دافق، يخرج من بين الصلب والترائب. قيل الترائب: ما تقدم. وقال الفراء: يعني صلب الرجل

<sup>١</sup> لسان العرب، ابن منظور، ص: ٩٩/١٠

<sup>٢</sup> تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، ص: ٢٩١/٢٥

<sup>٣</sup> معجم الوسيط، ص: ٢٨٩

<sup>٤</sup> معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، حسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل، ص: ١١١

وترائب المرأة، وقيل الترائب اليدان والرجلان والعينان، قال واحدها: تريبة. وقال أهل اللغة أجمعون: الترائب موضع القلادة من الصدر، وأنشدوا:

مهفهفة بيضاء، غير مفاضة      ترائبها مصقولة كالسجنجل<sup>١</sup>

في تاج العروس يقول الزبيدي: "والترائب: عام في الذكور والإناث، وجزم أكثر أهل الغريب أنها خاص بالنساء."<sup>٢</sup>

يقول الخليل بن أحمد في كتاب العين: "صلب: الصلب لغة في الصلب، وقد يقرأ: (من بين الصلب والترائب)، والصلب: الظهر، وهو عظم الفقار المتصل في وسط الظهر"<sup>٣</sup>.

وفي لسان العرب يقول ابن منظور: "صلب: الصلب والصلب: عظم من لدن الكاهل إلى العجب"<sup>٤</sup>.

في تاج العروس يقول الزبيدي: "وفي حديث سعيد بن جبير: (في الصّلب الدّية). ويسمى الجماع صلباً لأنّ المنيّ يخرج منه (كالصّالب)"<sup>٥</sup>.

في المعجم الوسيط: "(مج) فقار الظهر، وفي التنزيل العزيز (يخرج من بين الصلب والترائب)، يقال وهو من صلب فلان؛ من ذريته. وفي التنزيل العزيز (وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم) (ج) أصلب وأصلاب"<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> لسان العرب، ابن منظور: ص: ٢٣٠/١

<sup>٢</sup> تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، ص: ٦٧/٢

<sup>٣</sup> كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص: ٤٠٥/٢

<sup>٤</sup> لسان العرب، ابن منظور، ص: ٥٢٦/١

<sup>٥</sup> تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، ص: ٢٠١/٣

## تفسير وتأويل الآية عند المفسرين عبر الزمان

يقول الإمام محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) في تفسيره: " (مم خلق ) يقول : من أي شيء خلقه ربه، ثم أخبر جل ثناؤه عما خلقه منه، فقال: ( خلق من ماء دافق ) يعني: من ماء مدفوق، وهو مما أخرجته العرب بلفظ فاعل، وهو بمعنى المفعول... وقوله: ( يخرج من بين الصلب والترائب ) يقول : يخرج من بين ذلك، ومعنى الكلام: منهما... بمعنى: يخرج منهما"<sup>١</sup>.

ويضيف قائلا: "اختلف أهل التأويل في معنى الترائب وموضعها، فقال بعضهم: الترائب: موضع القلادة من صدر المرأة... عن ابن عباس (الصلب والترائب) قال: الترائب: موضع القلادة ... عن ابن عباس، قوله: (يخرج من بين الصلب والترائب) يقول: من بين ثدي المرأة.... قال ابن زيد، في قوله: (يخرج من بين الصلب والترائب) قال: الترائب: الصدر وهذا الصلب وأشار إلى ظهره. وقال آخرون: الترائب: ما بين المنكبين والصدر... عن سفيان، قال: الصلب للرجل، والترائب للمرأة، والترائب فوق الثديين. وقال آخرون: هو اليدان والرجلان والعينان.. عن ابن عباس، قوله: (يخرج من بين الصلب والترائب) قال: فالترائب أطراف الرجل واليدان والرجلان والعينان، فتلك الترائب ... عن سفيان، قال: قال غيره: الترائب: ماء المرأة وصلب الرجل، وقال آخرون: معنى ذلك، أنه يخرج من بين صلب الرجل ونحره... وقال آخرون: هي الأضلاع التي أسفل الصلب.. وقال آخرون: هي عصابة القلب.. قال: ثني الليث، أن

<sup>١</sup> المعجم الوسيط، ص: ٥١٩

<sup>٢</sup> جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، ص: ٢٤/٢٩٢-٢٩٦

معمر بن أبي حبيبة المديني حدثه، أنه بلغه في قول الله: ( يخرج من بين الصلب والترائب ) قال: هو عصارة القلب، ومنه يكون الولد<sup>١</sup>.

بعد حكاية ما روى عن آراء العلماء السلف الصالحين في معنى كلمة 'الصلب، والترائب' يعبر محمد بن جرير الطبري رحمه الله خلاصته وهو يقول: "والصواب من القول في ذلك عندنا، قول من قال: هو موضع القلادة من المرأة، حيث تقع عليه من صدرها؛ لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب"<sup>٢</sup>.

في قول الإمام فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) رحمه الله: "في هذه الآية قولان: أحدهما: أن الولد مخلوق من الماء الذي يخرج من صلب الرجل وترائب المرأة، وقال آخرون: إنه مخلوق من الماء الذي يخرج من صلب الرجل وترائبه، واحتج صاحب القول الثاني على مذهبه بوجهين: الأول: أن ماء الرجل خارج من الصلب فقط، وماء المرأة خارج من الترائب فقط، وعلى هذا التقدير لا يحصل هناك ماء خارج من بين الصلب والترائب، وذلك على خلاف الآية والثاني: أنه تعالى بيّن أن الإنسان مخلوق: (من ماءٍ دافِقٍ) والذي يوصف بذلك هو ماء الرجل، ثم عطف عليه بأن وصفه بأنه يخرج، يعني هذا الدافق من بين الصلب والترائب، وذلك يدل على أن الولد مخلوق من ماء الرجل فقط، أجاب القائلون بالقول الأول عن الحجة الأولى: أنه يجوز أن يقال للشيين المتباينين: أنه يخرج من بين هذين خير كثير، ولأن الرجل والمرأة عند اجتماعهما يصيران كالشيء الواحد، فحسن هذا اللفظ هناك، وأجابوا عن الحجة الثانية: بأن هذا من باب إطلاق اسم البعض على الكل، فلمّا كان أحد قسيمي المني دافقا أطلق هذا الاسم على المجموع، ثم قالوا: والذي يدلّ على أن الولد

<sup>١</sup> جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، ص: ٢٩٢/٢٤-٢٩٦

<sup>٢</sup> المصدر نفسه: ٢٩٦/٢٤

مخلوق من مجموع المائين أن مئى الرجل وحده صغير فلا يكفي، ولأنه روي أنه عليه السلام قال: "إذا غلب ماء الرجل يكون الولد ذكرا، ويعود الشّبّه إليه وإلى أقاربه، وإذا غلب ماء المرأة فإليها وإلى أقاربها يعود الشّبّه" وذلك يقتضي صحّة القول الأوّل<sup>١</sup>.

يقول الإمام القرطبي (٦٧١ هـ) رحمه الله في تفسيره: "وفي التفسير: يخلق من ماء الرجل الذي يخرج من صلبه العظم والعصب، ومن ماء المرأة الذي يخرج من ترائبها اللحم والدم، وقاله الأعمش... وقيل: إن ماء الرجل ينزل من الدماغ، ثم يجتمع في الأثنين، وهذا لا يعارض قوله: من بين الصلب، لأنه إن نزل من الدماغ، فإنما يمر بين الصلب والترائب. وقال قتادة: المعنى ويخرج من صلب الرجل وترائب المرأة، وحكى الفراء أن مثل هذا يأتي عن العرب، وعليه فيكون معنى من بين الصلب: من الصلب، وقال الحسن: المعنى: يخرج من صلب الرجل وترائب الرجل، ومن صلب المرأة وترائب المرأة، ثم إنا نعلم أن النطفة من جميع أجزاء البدن، ولذلك يشبه الرجل والديه كثيرا، وهذه الحكمة في غسل جميع الجسد من خروج المني، وأيضا المكثّر من الجماع يجد وجعا في ظهره وصلبه، وليس ذلك إلا لخلوّ صلبه عما كان محتسبا من الماء"<sup>٢</sup>.

يقول نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت ٨٥٠ هـ) في تفسيره 'غرائب القرآن ورغائب الفرقان': "والدفق صب فيه دفع، ولا شك أن الصب فعل الشخص فهو من الإسناد المجازي أو على النسبة أي ماء ذي دفق.... ومعنى خروجه من بين الصلب والترائب أن أكثره ينفصل من هذين الموضعين

<sup>١</sup> تفسير الكبير، فخر الدين فخر الدين الرازي، ص: ١٢٠/٣١

<sup>٢</sup> تفسير الجامع لأحكام القرآن، محمد بن فرح القرطبي، ص: ٧/٢٠

لإحاطتهما بسور البدن، والذي ينفصل من اليدين ومن الدماغ يمر عليهما أيضا. وطالما أعطى للأكثر حكم الكل وهذا المعنى يشمل ماء الرجل وماء المرأة، ويحتمل أن يقال: أريد به ماء الرجل فقط إما بناء على حكم التغليب وإما بناء على مذهب من لا يرى للمرأة ماء ولا سيما دافقا. وذهب جم غفير إلى أن الذي يخرج من بين الصلب ومادته من النخاع الآتي من الدماغ هو ماء الرجل، والذي يخرج من الترائب وهي عظام الصدر الواحدة تربية هو ماء المرأة. وإنما لم يقل من ماءين لاختلاطهما في الرحم واتحادهما عند ابتداء خلق الجنين. وقد يقال: العظم والعصب من ماء الرجل، واللحم والدم من ماء المرأة، وقد ورد في الخبر أن أيّ الماءين علا وغلب فإن الشبه يكون منه"<sup>١</sup>.

المفسر الحديث أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١ هـ) رحمه الله أحد من بين هذه الأمور بيانا مفصلا، وهو يقول: "وأنه خلق من الماء الدافق الذي لا تصوير فيه، ولا تقدير للآلات التي يظهر فيها عمل الحياة كالأعضاء وغيرها.. (خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ) أي خلق من ماء مدفوق يخرج من الظهر والترائب لكل من الرجل والمرأة، فهو إنما يكون مادة لخلق الإنسان إذا خرج من بين الرجل والمرأة ووقع في رحم المرأة. والخلاصة- إن الولد يتكوّن من مني مدفوق من الرجل، فيه جرثومة حية دقيقة لا ترى إلا بالآلة المعظمة (الميكروسكوب)، ولا تزال تجرى حتى تصل إلى جرثومة نظيرتها من جراثيم المرأة وهي البويضة (ovum)، ومتى التقت الجرثومتان اتحدتا وكوّنتا جرثومة الجنين"<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، ص: ٦/٤٨٠

<sup>٢</sup> تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ص: ٣٠/١١١-١١٢

وهو أكثر واضح في تفصيل هذه الآيات، ويشرح الأمر بالتفصيل بمساعدة الإختراعات العلمية الحديثة في علم الأجنة البشرية، ساعده صديقه عبد الحميد العرابي بك لهذا الأمر، إنه فسره نظرية الحمل وكيفية تكوين الجنين وكيفية حصول الحمل ونمو الجنين في الرحم.

ويحاول المراغي أن يبين هذا الأمر في هذين الآيتين: "إذ فيهما معرفة حقائق علمية تأخر العلم بها والكشف عن معرفتها وإثباتها ثلاثة عشر قرناً. بيان هذا: أن صلب الإنسان هو عموده الفقري (سلسلة ظهره) وتراثيه هي عظام صدره، ويكاد معناها يقتصر على حافة الجدار الصدري السفلى. وإذا رجعنا إلى علم الأجنة وجدنا في منشأ خصية الرجل ومبيض المرأة ما يفسر لنا هذه الآيات التي حيرت الألباب، وذهب فيها المفسرون مذاهب شتى على قدر ما أوتي كل منهم من علم، وإن كان بعيداً عن الفهم الصحيح والرأي السديد.

ذاك أنه في الأسبوع السادس والسابع من حياة الجنين في الرحم ينشأ فيه ما يسمى (جسم وولف وقناته) على كل جانب من جانبي العمود الفقري (Backbones)، ومن جزء من هذا تنشأ الكلي وبعض الجهاز البولي، ومن جزء آخر تنشأ الخصية (Testicle) في الرجل والمبيض (ovary) في المرأة. فكل من الخصية والمبيض في بدء تكوينهما يجاور الكلي ويقع بين الصلب والترائب، أي ما بين منتصف العمود الفقري تقريبا ومقابل أسفل الضلوع.

ومما يفسر لنا صحة هذه النظرية أن الخصية والمبيض يعتمدان في نموها على الشريان الذي يمدهما بالدم، وهو يتفرع من الشريان الأورطي (Aorta) في مكان يقابل مستوى الكلي الذي يقع بين الصلب والترائب، ويعتمدان على الأعصاب التي تمد كلا منهما وتتصل بالضفيرة الأورطية (aortic plexus) ثم بالعصب الصدري

العاشر، وهو يخرج من النخاع من بين الضلع العاشر والحادي عشر، وكل هذه الأشياء تأخذ موضعها في الجسم فيما بين الصلب والترائب".<sup>١</sup>

وهو يقول بعد: "ومن هذا يتبين بوضوح أن الإنسان خلق ونشأ من الماء الدافق (ماء الرجل وأهم ما فيه الحيوان المنوي وماء المرأة وأهم ما فيه البويضة) الذي ينصب مندفعاً من عضوين هما الخصية والمبيض، ومنشؤهما وغذاؤهما وأعصابهما كلها بين الصلب والترائب. وقد ثبت في علم الأجنة أن البويضة ذات الخلية الواحدة تصير علقة ذات خلايا عدّة، ثم تصير العلقة مضغّة ذات خلايا أكثر عدداً، ثم تصير المضغّة جنيناً صغيراً وزعت خلاياه إلى طبقات ثلاث يخرج من كل طبقة منها مجموعة من الأنسجة المتشابهة في أول الأمر، فإذا تمّ نموها كونت جسم الإنسان".<sup>٢</sup>

إن صاحب التفسير في ظلال القرآن سيد القطب (ت ١٣٨٥ هـ) رحمه الله يرى خلال تفصيل هذه الآية: "ولقد كان هذا سرا مكنونا في علم الله لا يعلمه البشر، حتى كان نصف القرن الأخير، حيث اطلع العلم الحديث على هذه الحقيقة بطريقته، وعرف أنه في عظام الظهر الفقارية، يتكون ماء الرجل. وفي عظام الصدر العلوية يتكون ماء المرأة، حيث يلتقيان في قرار مكين. فينشأ منهما الإنسان".<sup>٣</sup>

يقول ابن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) رحمه الله في تفسيره 'التحرير والتنوير': "فجعل الإنسان مخلوقاً من ماء الرجل لأنه لا يتكون جسم الإنسان في رحم المرأة إلا بعد أن يخالطها ماء الرجل، فإذا اختلط ماء الرجل بما يسمى ماء المرأة وهو شئ رطب كالماء يحتوي على بويضات دقيقة يثبت منها ما يتكون منه الجنين وي طرح ما عداه،

<sup>١</sup> تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ص: ١١٢/٣٠

<sup>٢</sup> المصدر نفسه، ص: ١١٥/٣٠

<sup>٣</sup> في ظلال القرآن، سيد قطب، ص: ٣٨٧٨/٦

وهذا مخاطبة للناس بما يعرفون يومئذ بكلام مجمل، مع التنبيه على أن خلق الإنسان من ماء الرجل وماء المرأة بذكر الترائب؛ لأن الأشهر أنها لا تطلق إلا على ما بين ثدي المرأة، ولا شك أن النسل يتكون من الرجل والمرأة، فيتكون من ماء الرجل وهو سائل فيه أجسام صغيرة تسمى في الطب الحيوانات المنوية، وهي خيوط مستطيلة مؤلفة من طرف مسطح بيضوي الشكل وذنب دقيق كخيوط، وهذه الخيوط يكون منها تلقيح النسل في رحم المرأة ومقرها الأنثيان وهما الخصيتان فيندفع إلى رحم المرأة، ومن ماء هو للمرأة كالمني للرجل ويسمى ماء المرأة، وهو بويضات دقيقة كروية الشكل تكون في سائل مقره حويصلة (vesicle) من حويصلات يشتمل عليها مبيضان للمرأة وهما بمنزلة الأنثيين للرجل فهما غدتان تكونان في جانبي رحم المرأة<sup>١</sup>.

وبعد ما فسر الآية تفسيراً بيناً يقول ابن عاشور رحمه الله: "هذا من الإعجاز العلمي في القرآن الذي لم يكن علم به للذين نزل بينهم، وهو إشارة مجملة وقد بينها حديث مسلم عن أم سلمة وعائشة: "أن رسول الله ﷺ سئل عن احتلام المرأة فقال: تغتسل إذا أبصرت الماء، فقيل له: أترى المرأة ذلك؟ فقال: وهل يكون الشبه إلا من قبل ذلك، إذا علا ماء المرأة ماء الرجل أشبه الولد أخواله، وإذا علا ماء الرجل ماءها أشبه أعمامه"<sup>٢</sup>.

أما الشيخ طنطاوي جوهرى (ت ١٤٢٠ هـ) رحمه الله من المفسرين المعاصرين يفصل هذه الآية: "و"دافق" اسم فاعل من الدفق، وهو الصب للشيء بقوة وسرعة، يقال:

<sup>١</sup> تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ص: ٢٦٣/٣٠

<sup>٢</sup> المصدر نفسه، ص: ٢٦٣/٣٠

تدفع الماء إذا سال باندفاع وسرعة، والمراد به هنا: الماء الذي تخرج من الرجل ويصب في رحم المرأة .

والصلب: يطلق على فقار الظهر بالنسبة للرجل، والترائب: جمع تريبة، وهي العظام التي تكون في أعلى صدر المرأة، ويعبرون عنها بقولهم موضع القلادة من المرأة.... لقد خلقه الله تعالى بقدرته، من ماء متدفق، يخرج بقوة وسرعة من الرجل، ليصب في رحم الأنثى. وهذا الماء الدافق من صفاته أنه يخرج من بين صلب الرجل، ومن بين ترائب المرأة، حيث يختلط الماءان، ويتكون منهما الإنسان في مراحل المختلفة بقدره الله تعالى<sup>١</sup> .

ثم يقول: "ولم يقل ماءين لامتزاجهما في الرحم، واتحادهما حين ابتدئ في خلقه، وقال بعض العلماء: قوله: (خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ) أي: من ماء ذي دفع.. وكل من مني الرجل. ومني المرأة، اللذين يتخلق منهما الجنين، ذو وفق في الرحم. (يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصَّلبِ وَالتَّرابِيبِ) أي: يخرج هذا الماء الدافق، من بين صلب كل واحد منهما، وترائب كل منهما أي: أن أعضاء وقوى كل منهما، تتعاون في تكوين ما هو مبدأ لتوالد الإنسان: ماء الرجل وهو المنى، ومادة المرأة وهي البويضة المصحوبة بالسائل، المنصبان بدفع وسيلان سريع إلى الرحم عند الاتصال الجنسي، ويسمى الفقهاء هذه المادة منيا وماء"<sup>٢</sup> .

<sup>١</sup> التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الشيخ طنطاوي جوهرى، ص: ٣٥٤/١٥

<sup>٢</sup> المصدر نفسه، ص: ٣٥٥/١٥

## ملخص القول

المناقشة حول آيتين من سورة الطارق تضيئ إلى قدرة اللغة العربية لتتضمن دلالات جديدة حسب الاكتشافات والاختراعات الحديثة، كلمة 'دافق' و'صلب' و'ترائب' خضعت لمناقشات طويلة عند جميع المفسرين من القدماء إلى الحديث خصوصا عند من اتخذ واتبع التأويل منهجا في تفاسيرهم منهم الأئمة مثل محمد بن جرير الطبري، وفخر الدين الرازي، والقرطبي، والآلوسي، وابن عاشور، والمرآغي، وسيد قطب، والطنطاوي.

ومعنى المعجمي لكلمة 'دافق' إذا انصب الماء بمرة بدفع فهو دافق، واتفقوا على أن كلمة دافق في المعنى ماء مدفوق إن كانت في صيغة الفاعل، وركز معظم العلماء والمفسرون عنايتهم على تفسير وتأويل كلمتين من الآية التالية هما 'صلب' و'ترائب'، والسبب لذلك إن في قول الله سبحانه وتعالى يخرج الماء الدافق من بين الصلب والترائب، وفكروا في هتين الكلمتين لاكتشاف والتبيين مكان إصدار الماء ومنبعه، فيه اختلافات كثيرة، وفقا للمعاجم المشهورة 'الترائب' هي موضع القلادة من الصدر للمرأة، و'الصلب' للرجل، وبينهم من رأى 'الترائب' عام في الذكور والإناث، والصلب في رأيهم وهو عظم الفقار المتصل في وسط الظهر، ورأى الزبيدي الجماع سمي بالصلب لأن المني يخرج منه، وفي آية أخرى يراد بأصلاب الذرية.

في رأي الإمام محمد بن جرير الطبري رحمه الله الذي توفي في أوائل القرن الرابع للهجري ماء دافق في معنى ماء مدفوق، أخرجه كذلك أهل العرب بلفظ الفاعل، وهو كلام العرب. وهو يضع اختلاف العلماء في آرائهم في كلمتين 'الصلب' و'الترائب'، ومنهم من رأى الترائب من بين ثدي المرأة، موضع القلادة، وقالوا الصلب للرجل، والترائب للمرأة، ومنهم من رأى الترائب ماء المرأة، وصلب الرجل، وبينهم من قال هي عصارة

القلب ومنه يكون الولد. وقول فخر الدين الرازي يشير إلى دور المرأة والرجل في المولد الصبي، أن الولد مخلوق من الماء الذي يخرج من صلب الرجل وترائب المرأة، إنه تقدم قولين مشهورين هما إن ماء الرجل خارج الصلب والمرأة خارج من الترائب فقط. والثاني من القول أن الولد مخلوق من ماء دافق من الرجل فقط. ولهذين القولين حجة عندهم. رواية عن النبي ﷺ تشير إلى حاجة مجموع المائين، ولا يكفي مني الرجل فقط، يوجد في التفاسير مثل القرطبي رأي وذلك أن بعض أعضاء جسم الإنسان يخلق من ماء الرجل والباقي من ماء النساء مثل العظم والعصب من الرجل، واللحم والدم من المرأة.

وهناك رأي آخر وذلك أن ماء الرجل ينزل من دماغه، ثم يجمع في الأنثيين، وهذا القول غير معارضة لقول من بين الصلب لأنه يمر بين الصلب والترائب. والإمام القرطبي رأى أن النطفة من جميع أجزاء البدن بذلك يشبه الولد والديه كثيرا، وكذلك الحكمة في غسل جميع الجسد من خروج المني. وفي رأي النيسابوري في الدفق دفع، والصب فعل الشخص وأكثر الماء ينفصل من موضع الصلب والترائب بأنه يحيطان سور البدن، واستخدم الماء بدلا لمائين، لاختلاطهما في الرحم واتحادهما عند ابتداء خلق الجنين.

والمفسرون من العصر الحديث كانوا أكثر واضحا في تفصيل هذه الأمور بارتقاء العلوم والمعرفة حولهم، وبمساعدة الإكتشافات الجديدة والإختراعات يمكنون أن يفسروا مثل هذه الآية في وجهة أخرى، أحمد بن مصطفى المراغي واحد من المحدثين الذي فسر هذه الظاهرة جيدا، وفي قوله تفصيل عن دفق المني من الرجل فيه جرثومة حية دقيقة وهي تجرى متصلا حتى تصل إلى جرثومة نظيرتها من جراثيم المرأة (البويضة)، وهذه الجرثومتان تلتقيان وتتحدان ثم تكونت منهما الجنين، وفي تفصيله الماء الدافق منه ماء الرجل أهم ما فيه الحيوان المنوي وماء المرأة أهم ما

فيه البويضة، وهو يشارك آراء العلم الحديث أيضا في تفسير الآية وابن عاشور رحمه الله يعطي تأويلا جيدا لتكوين الجنين وشكل الجسيمات المنوي وهي خيوط مستطيلة لها ذنب دقيق الخيط، يكون منها تلقيح النسل في رحم المرأة، وللبيضة كروية الشكل. والشيخ طنطاوي جوهرى رحمه الله أيضا يفسر الآية تفسيراً واضحاً بمعونة الإعلّامات الحديثة، وفي رأي صاحب الظلال سيد قطب هذا أمر مكنون عند الله لا يعلمه البشر، واطلاع العلم الحديث بعد منتصف القرن التاسع عشر بطريقته ماء الرجل يتكون من عظام الرجل الظهرية الفقارية، وماء المرأة من عظام لصدره العلوية، وهما يلتقيان في قرار مكين وهو الرحم.

هذا واضح، في هذه الآيات إشارات إلى المفاهيم المتعلقة بمكان إفراز المنى والبويضات في الإنسان، وهي أن منى الرجل إنما يتكون من صلبه، أي ظهره، وإن بويضات النساء تتكون من عظام صدرها، أي ترائبها، ويقرر الآية مكان إفراز النطفة. وقدرة اللغة لإستقبال التغيرات والتطورات التي تقع حولها في المعارف والمعلومات ساعدت لتفصيل هذه الدلالات بدون سقوط أهميتها قط. وقد استطاعت لهذه الدلالات الخاصة المتعلقة بخلق الإنسان أن تتضمن الإكتشافات الحديثة والإختراعات الجديدة في مجال الطب والعلم الحديث.

## ٢٧. نطفة أمشاج

يقول تبارك وتعالى: "إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً"<sup>١</sup>. كلمة 'نطفة' وردت في القرآن الكريم إثنتا عشرة مرة (١٢)، منها مرة واحدة في سورة الإنسان، و استخدمت كلمة 'أمشاج' صفة للنطفة في هذه الآية. يرى

<sup>١</sup> سورة الإنسان: الآية ٢

العلماء والمفسرون الحديث في استخدام 'نطفة أمشاج' إعجازا علميا لأن هذه الدلالة يقرر أن خلق الإنسان لا يتم من نطفة واحدة بل من أمشاج أي أخلاط، هي نطفة الرجل وهو الحيوان المنوي، ونطفة المرأة، وهي البويضة، وقد قررت الآية (خلق من ماء دافق الطارق/٦) مكان إفرازها. وينتظر الباحث التفتيش في آراء المفسرين القديم والحديث سيضيئ إلى مدى تطور الدلالة في هذه الكلمات.

### كلمة 'نطفة' و'أمشاج' في معاجم اللغة

في كتاب العين يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي: "والنطف: اللؤلؤ، الواحدة: نطفة، وهي الصافية الماء، وقيل: الواحدة: نطفة، والجميع: النطف، تشبها بقطرة الماء، والنطفة: الماء الصافي، قل أو كثر، والجميع: النطف والنطاف. وليلة نطوف: قاطرة تمطر حتى الصباح. والنطف: الصب، والقطر. والناطف: القاطر، وأنف نطوف: كثير القطران.. والنطفة: التي يكون منها الولد"<sup>١</sup>.

وفي لسان العرب: "والنطفة والنطافة: القليل من الماء، وقيل: الماء القليل يبقى في القرية، وقيل: هي كالجرعة، ولا فعل للنطفة. والنطفة: الماء القليل يبقى في الدلو؛ عن الحياني أيضا، وقيل: هي الماء الصافي، قل أو كثر، والجمع نطف ونطاف، وقد فرق الجوهري بين هذين اللفظين في الجمع، فقال: النطفة الماء الصافي، والجمع النطاف، والنطفة ماء الرجل.. أراد بها ههنا الماء القليل، وبه سمي المني نطفة لقلته، وفي التنزيل العزيز: ألم يك نطفة من مني يمى"<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص: ٢٣٦/٤

<sup>٢</sup> لسان العرب، ابن منظور: ص: ٣٣٥/٩

في تاج العروس يقول الزبيدي: "النطفة، بالضم: الماء الصافي قلّ أو أكثر فمن القليل نطفة الإنسان.. النطفة: الماء الصافي، والجمع النِّطَاف، والنطفة: ماء الرجل الذي يتكون منه الولد"<sup>١</sup>.

في المنجد في اللغة والأعلام: "إنها نطفة واحدة من مجموعة من ملايين الحيوانات المنوية (ملعقة صغيرة من السائل المنوي بها ملايين من الحيوانات المنوية فيه). والكلمة 'أمشاج' يراد بها ما كان مختلطاً ويقال مشج بينهما أي خلط بينهما<sup>٢</sup>.

في معجم المعاني الجامع: "كلمة 'نطفة' (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سمياً بصيراً<sup>٣</sup>) جمعه 'نطف'، النطفة هي كيان مفرد، وهو جزء من مجموعة أكبر من نوعها، ومعنى أخرى لها: ماء صافي / خلية جنسية ذكرية موجودة في المنى"<sup>٤</sup>.

ومعنى 'مشج' في كتاب العين، يقول صاحبه الخليل بن أحمد الفراهيدي: "المشج: اختلاط حمرة بياض، والمشج منه، وكل لون من ذلك مشج، والجميع أمشاج،.... والمشيج: كل لون مستنكر خلطه غيره"<sup>٥</sup>.

ومعنى 'أمشاج' في لسان العرب: "مشج: المشج، والمشيج، والمشج، والمشيج: كل لونين اختلطاً.. والجمع: أمشاج مثل يتيم أيتام.. ابن سيده: والمشيج اختلاط ماء الرجل والمرأة.. قال: والصحيح أن يقال: المشيج ماء الرجل يختلط بماء المرأة. وفي التنزيل

<sup>١</sup> تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، ص: ١١٩/٢٤

<sup>٢</sup> المنجد في اللغة والأعلام، ص. ٨٦٢

<sup>٣</sup> سورة الإنسان: الآية ٢

<sup>٤</sup> معجم المعاني الجامع (<https://www.almaany.com/ar/dict>)

<sup>٥</sup> كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص: ١٤٢/٤

العزیز: إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه؛ قال الفراء: الأمشاج هي الأخلاط: ماء الرجل وماء المرأة والدم والعلقة، ويقال للشيء من هذا: خلط مشيج كقولك خليط وممشوج، كقولك مخلوط مشجت بدم، وذلك الدم دم الحيض، وقال ابن السكت: الأمشاج الأخلاط: يريد الأخلاط النطفة لأنها ممتزجة من أنواع، ولذلك يولد الإنسان ذا طبائع مختلفة.... وفي حديث علي عليه السلام؛ ومحط الأمشاج من مآرب الأصلاب؛ يريد المني الذي يتولد منه الجنين<sup>١</sup>.

في تاج العروس من جواهر القاموس، يقول الزبيدي: قال الفراء: الأمشاج: هي الأخلاط: ماء الرجل وماء المرأة، والدم والعلقة. وقال ابن السكيت: الأمشاج: الأخلاط، يريد النطفة لأنها ممتزجة من أنواع، ولذلك يولد الإنسان ذا طبائع مختلفة. وقال أبو إسحاق: أمشاج: أخلاط من مني ودم، ثم ينقل من حال إلى حال. ويقال: نطفة أمشاج، أي (مختلطة بماء المرأة ودمها). وفي الحديث في صفة المولود: (ثم يكون مشيجا أربعين ليلة)<sup>٢</sup>.

وفي معجم الوسيط: "(في علم الأحياء): تطلق الأمشاج على الخلايا الذكرية كالحیوان المنوي، والخلايا الأنثوية كالبيضة قبل ان تندمجا لتكوين اللاقحة"<sup>٣</sup>.

وفي معجم وتفسير لغوى لكلمات القرآن لحسن عزالدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل يقول: "(م ش ج) مشج الشيء يمشجه مشجا: خلطه بغيره ويقال الشيء المخلوط: مشج ومشج ومشج وتجمع هذه الثلاثة على أمشاج كسبب وأسباب وكتف وأكتاف ويتيم وأيتام. ويقال: عليه أمشاج من غزول أي برد منسوج

<sup>١</sup> لسان العرب، ابن منظور: ص: ٣٦٧/٢-٣٦٨

<sup>٢</sup> تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، ص: ٢١٥/٦

<sup>٣</sup> المعجم الوسيط، ص: ٨٧٠

من ضروب وألوان من الغزل. ومن هذا أطلق الأمشاج على الألوان والأنواع، وأطلق أيضا على أطوار الشيء، إذا كان كل طور نوعا من أحوال الشيء.

ولما كانت النطفة التي يكون منها الحيوان يختلط فيها مني الذكر وبويضة الأنثى وصفت بأنها أمشاج، إذا كان فيها نطفتان، مختلطتان، ووقع وصف المفرد بالجمع كما يقال: برمة أعشار<sup>١</sup>. وقيل: نطفة أمشاج، أي أنواع مختلفة إذ كانت ذات طبائع مختلفة، وقيل: أمشاج أي ذات أطوار مختلفة، فهي تتحول علقة ثم مضغة إلي غير ذلك حتي يتم خلقها<sup>٢</sup>. "يقول رضي الدين الأسترابادي في كتابه ' شرح الرضي على الكافية': 'برمة أعشار وأكسار، وثوب أسمال، ونطفة أمشاج، فلأن البرمة مجتمعة من الأكسار والأعشار، وهي قطعها، والثوب مؤلف من قطع، كل واحد منها سمل أي خلق، والنطفة مركبة من أشياء كل منها مشيج، فلما كان مجموع تلك الأجزاء: ذلك الشيء المركب منها"<sup>٣</sup>.

### التفسير والتأويل للآية عند المفسرين عبر الزمان

الإمام محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) رحمه الله قد حكى آراء كثيرا من الرواة في تفسيره وهو يقول: "وأشبه هذه الأقوال بالصواب قول من قال: معنى ذلك: (من نطفة أمشاج)، نطفة الرجل ونطفة المرأة؛ لأن الله عز وجل وصف النطفة بأنها أمشاج، وهي إذا انتقلت فصارت علقة، فقد استحالت عن معنى النطفة، فكيف تكون نطفة أمشاجا وهي علقة؟ وأما الذين قالوا: إن نطفة الرجل بيضاء وحمراء، فإن المعروف من نطفة الرجل أنها سحراء على ألوان، وهي لون واحد، وهي بيضاء

<sup>١</sup> البرمة: قدر من حجارة، ويقال: برمة أعشار وقدر أعشار وقدر أعشار، ذا كانت عظيمة لا يحملها إلا عشرة،

وقيل: إذا كانت مكسرة على عشر قطع (الموسوعة الشاملة www.islamport.com)

<sup>٢</sup> معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، المكتبة الشاملة الحديثة، ص: ٢٤٧-٢٤٨

<sup>٣</sup> شرح الرضي على الكافية، رضي الدين الأسترابادي، ص: ٢/ ٣٠٦

تضرب إلى الحمرة، وإذا كانت لونا واحدا لم تكن ألوانا مختلطة، وأحسب أن الذين قالوا: هي العروق التي في النطفة، قصدوا هذا المعنى"<sup>١</sup>.

وأما الإمام فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) رحمه الله هو يقول في تفسيره الكبير: "وبالجملة فهو عبارة عن انتقال ذلك الجسم من صفة إلى صفة، ومن حال إلى حال، وقال قوم إن الله تعالى جعل في النطفة أخلاطا من الطبائع التي تكون في الإنسان من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، والتقدير من نطفة ذات أمشاج فحذف المضاف وتم الكلام، قال بعض العلماء الأولى هو أن المراد اختلاط نطفة الرجل والمرأة لأن الله تعالى وصف النطفة بأنها أمشاج، وهي إذا صارت علقة فلم يبق فيها وصف أنها نطفة، ولكن هذا الدليل لا يقدر في أن المراد كونها أمشاجا من الأرض والماء والهواء والحرار"<sup>٢</sup>.

والإمام البغوي (ت ٥١٠ هـ) رحمه الله قد ذهب إلى حد ما في شرح هذه القضية في تفسيره، وهو يحكي رواية السلف من الصحابة والتابعين: "(إنا خلقنا الإنسان) يعني ولد آدم (من نطفة) يعني مني الرجل ومني المرأة (أمشاج) أخلاط؛ واحدها مشج ومشيج مثل خدن وخدين. قال ابن عباس والحسن ومجاهد والربيع: يعني ماء الرجل (ماء المرأة) يختلطان في الرحم فيكون منهما الولد، فماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق، فأيهما علا صاحبه كان الشبه له، وما كان من عصب وعظم فهو من نطفة الرجل، وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة.

وقال الضحاك: أراد بالأمشاج اختلاط ألوان النطفة، فنطفة الرجل بيضاء وحمراء وصفراء، ونطفة المرأة خضراء وحمراء (وصفراء)، وهي رواية الوالب عن ابن عباس،

<sup>١</sup> تفسير محمد بن جرير الطبري: ص: ٢٣/٥٣٥-٥٣٦

<sup>٢</sup> تفسير الكبير، فخر الدين الرازي، ص: ٣٠/٢٣٦-٢٣٧

وكذلك قال الكلبي: قال: الأمشاج البياض في الحمرة والصفرة، فقال يمان: كل لونين اختلطا فهو أمشاج، وقال ابن مسعود: هي العروق التي تكون في النطفة. وقال الحسن: نطفة مشجت بدم، وهو دم الحيضية فإذا حبلت ارتفع الحيض. وقال قتادة: هي أطوار الخلق نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم (عظما) ثم يكسوه لحما ثم ينشئه خلقا آخر<sup>١</sup>.

في تفسير 'روح المعاني' (ت ١٢٧٠ هـ) يقول صاحبه الألوسي رحمه الله: "وأخرج ابن المنذر عن مجاهد أنه قال: أمشاج أي ألوان أي ذات ألوان فإن ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اختلطا ومكثا في قعر الرحم اخضرًا كما يخضر الماء بالمكث، وروي عن الكلبي وأخرج عن زيد بن أسلم أنه قال: الأمشاج العروق التي في النطفة، وروي ذلك عن ابن مسعود أي ذات عروق، وروي عن عكرمة وكذا ابن عباس أنه قال 'أمشاج' أطوار أي ذات أطوار فإنَّ النطفة تصير علقة ثم مضغة وهكذا إلى تمام الخلقة ونفخ الروح"<sup>٢</sup>.

يقول المفسر صديق حسن خان القنوجي (ت ١٣٠٧ هـ) في تفسيره: "إنا خلقنا الإنسان من نطفة) فإن المراد بالإنسان هنا بنو آدم، قال القرطبي من غير خلاف، والنطفة الماء الذي يقطر، وهو المني وكل ماء قليل في وعاء فهو نطفة وجمعها نطف وأي خلقناه من مادة هي شئ يسير جداً من الرجل والمرأة، والنطفة ماء الرجل والمرأة وأيضاً الماء الصافي قل أو كثير، ولا فعل للنطفة أي لا يستعمل لها فعل من لفظها.

(أمشاج) صفة لنطفة وهي جمع مشج.. وهي الأخلاط، ووقع الجمع صفة لمفرد لأنه في معنى الجمع أو جعل كل جزء من النطفة نطفة فاعتبر ذلك فوصف بالجمع

<sup>١</sup> تفسير البغوي، مسعود بن محمد الفراء البغوي، ص: ٢٩١-٢٩٢

<sup>٢</sup> روح المعاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، ص: ١٦٨-١٦٩

والمراد نطفة الرجل ونطفة المرأة واختلاطهما يقال مشج هذا بهذا فهو ممشوج أي خلط هذا بهذا فهو مخلوط.. قال ابن السكيت: الأمشاج الأخلاط لأنها ممتزجة من أنواع يخلق الإنسان منها وطباع مختلفة.. قال ابن مسعود: أمشاجها عروقها، وعن ابن عباس: قال ماء الرجل وماء المرأة حين يختلطان، وعنه قال: نطفة الرجل بيضاء وحمراء ونطفة المرأة خضراء وحمراء، وعنه قال: الأمشاج الذي يخرج على أثر البول كقطع الأوتار، ومنه يكون الولد".<sup>١</sup>

يقول ابن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) رحمه الله: "فإذا كان (أمشاج) في هذه الآية مفردا كان على صورة الجمع كما في الكشاف، فوصف نطفة به غير محتاج إلى تأويل، وإذا كان جمعا كما جرى عليه كلام الفراء وابن السكيت والمبرد، كان وصف النطفة به باعتبار ما تشتمل عليه النطفة من أجزاء مختلفة الخواص - فلذلك يصير كل جزء من النطفة عضوا - فوصف النطفة بجمع الاسم للمبالغة أي شديدة الاختلاط، وهذه الأمشاج منها ما هو أجزاء كيميائية نباتية أو ترابية ومنها ما هو عناصر قوى الحياة".<sup>٢</sup>

والمفسر المشهور الإمام الصابوني (ت ١٤٤٢ هـ) من العصر الحديث يقول: "(إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج) أي نحن بقدرتنا خلقنا هذا الإنسان من ماء مهين - وهو المتني - الذي ينطف من صلب الرجل، ويختلط بماء المرأة "البويضة الأنثوية" فيتكون منهما هذا المخلوق العجيب".<sup>٣</sup>

<sup>١</sup> تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان القنوجي، ص: ٤٥٦/١٤-٤٥٧

<sup>٢</sup> تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ص: ٣٧٤/٢٩

<sup>٣</sup> فوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ص: ٤٩١/٣

والدراسات في علم الأحياء قد اكتشفت أن النطفة تعني الخلية الجنسية، ولها أجزاء ثلاثة كما يقال في أحد مقالة نشرت على موقع ويب، هي:

- النطفة المذكورة، هي الخلايا الجنسية أو الحيوانات المنوية التي تفرز من الخصية عند الرجل
- النطفة المؤنثة، وهي الخلية الجنسية الأنثوية، وهي عبارة عن البويضة التي يفرزها المبيض عند الأنثى
- النطفة المختلطة، أو النطفة الأمشاج، وهي عبارة عن خليط من نطفة الرجل أو نطفة المرأة، وتكون هذه النطفة المختلطة ما بين الحيوان المنوي مع البويضة<sup>1</sup>.

### ملخص القول

النطفة لغة هي الماء الصافي، وقد استخدمها القرآن للإشارة إلى ما يكون منها الولد، ومعجمياً لها معنى يراد به 'الماء القليل الذي يبقى في الدلو'، ومنها جاءت تسمية المني نطفة لقلته، والمعاجم اللغوية الحديثة مثل 'المنجد' يفصل هذه الكلمة علمياً بأنها نطفة واحدة من مجموعة ملايين الحيوانات المنوية، هكذا التغير في تفاسير دلالتها بين العلماء على مر العصور.

والدلالة لعبارة 'أمشاج' في اللغة تشير إلى الاختلاط بين اللونين، وقد بين المعجميون مثل صاحب لسان العرب ابن منظور استخدام القرآن 'نطفة أمشاج' أنها اختلاط ماء الرجل بماء المرأة والدم والعلقة، ويريد النطفة، أنها ممتزجة بأنواع هذه الصفة

<sup>1</sup> ما معنى نطفة، مقالة منشورة في موقع <https://www.almrsl.com/post/746434>

تكون سببا لأن يكون الإنسان مولودا بطبائع مختلفة، والمني من الرجل والبويضة من المرأة تختلط ثم تستقر في الأرحام إلى قدر معلوم، بعد اختلاط النطفة بالبويضة تكون جنينا. والمعجم الحديث مثل معجم الوسيط بيّن أن الأمشاج تطلق على الخلايا الذكرية كالحيوان المنوي والخلايا الأنثوية كالبيضة قبل اندماجهما لتكوين اللاقحة. وقد نالت هذه الدلالة مرتبة الاصطلاح في المعاجم لتبين التطور للجنين قبل أن يكون ولدا.

فتوضح من آراء المفسرين الكبار أن الاختلاط تحدث في حالة النطفة فقط، في رأي علماء التفسير أن عبارة 'أمشاج' هي وصف النطفة، وإذا انتقلت هذه المرتبة تكون علقة، في رأي الإمام محمد بن جرير الطبري هذا رأي أشبه بالصواب، ويقول البعض وإن نطفة الرجل لونها بيضاء تضرب إلى الحمرة، وفي رأي العلماء إذا كانت النطفة لونا واحدا لم تكن ألوانا مختلطة، ويظن محمد بن جرير الطبري إن الذين قالوا هذا بالعروق التي توجد في النطفة. ويرى الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله الذي عاش في القرن السادس الهجري، عبارة أمشاج هي تشير إلى انتقال ذلك الجسم (الماء) من صفة إلى صفة ومن حال إلى حال، وقال البعض جعل الله في النطفة أخلاطا من الطبائع كالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة. وقال البعض هو اختلاط نطفة الرجل والمرأة، ولا يراد الإختلاط في العلقة لأنه لم يبق فيها صفة النطفة.

ويشارك البغوي رحمه الله قول الضحاك في هذا الأمر، وهي اختلاط ألوان النطفة أي نطفة الرجل وهي بيضاء وحمراء وصفراء بنطفة المرأة وهي خضراء وحمراء، وبعض من أصحاب الرسول والتابعين رأوا مشجت نطفة بدم، وهو دم الحيضة، إذا حبلت ارتفع الحيض. وفي رأي الإمام الآلوسي من القرن الثالث للهجري اختلاط ألوان، والأمشاج ذات ألوان، إن ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر وإذا اختلطا ومكثا في قعر الرحم تكون مخضرا كما يخضر الماء بالملكث.

وفي رأي المفسر صديق حسن خان من القرن الرابع عشر للهجري اختلاط نطفة الرجل والمرأة يقال أمشاج، وفي رأي المفسر الحديث ابن عاشور كان وصف النطفة بالأمشاج باعتبار ما تشتمل عليه النطفة من أجزاء عناصر مختلفة من كيميائية ونباتية وغيرها من قوى الحياة. وفي رأي المفسر المعاصر الصابوني رحمه الله أنه خلق الله الإنسان من ماء مهين الذي ينطف من صلب الرجل ويختلط بماء المرأة أي 'البيوضة الأنثوية' ويتكون منها الإنسان خلقا عجيبا، واستخدام 'البيوضة الأنثوية' لنطفة المرأة يتميز من معاصريه. وبالجملة أن المناقشة حول 'نطفة أمشاج' تشير إلى تطور الدلالة عبر الزمان، والدلالة لهذا الاستخدام خاضعة للتطور والتغير حسب ارتقاء المعرفة والإكتشافات الجديدة التي وقعت في مجال الطب والعلوم الحديث.

## ٢٨. علق

النطفة هي بداية مرحلة تكوين الإنسان، وخاصة لو كانت نطفة ملقحة وهي التي تسمى 'أمشاج'، وبعد ذلك تكون النطفة في جدار الرحم في مرحلة الثانية وهي مرحلة العلق كما قال الله تعالى عزّ وجلّ "خلق الإنسان من علق" (٩٦:٢) في سورة العلق، وهذه الآية نزلت إلى رسول الله ﷺ في بداية نبوته في غار حراء. وردت كلمة 'علق' مرة واحدة، و'علق' في خمسة مواضع.

## كلمة علق في المعاجم اللغوية

في كتاب العين يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي: "علق: العلق: الدم الجامد قبل أن يبس، والقطعة علقة، والعلقة: دويبة حمراء تكون في الماء"<sup>١</sup>.

في لسان العرب يقول ابن منظور: "علق: علق بالشيء علقا وعلقه: نشب فيه... والعلق: الدم، ما كان، وقيل: هو الدم الجامد الغليظ، وقيل: الجامد قبل أن يبس، وقيل: هو ما اشتدت حمرة، والقطعة منه علقة، وفي التنزيل: ثم خلقنا النطفة علقة، ومنه قيل لهذه الدابة التي تكون في الماء علقة لأنها حمراء كالدم، وكل دم غليظ علق، والعلق: دود أسود في الماء معروف، الواحدة علقة. والعلقة دودة في الماء تمصّ الدم والجمع علق. العلق: دويبة حمراء تكون في الماء تعلق بالبدن وتمصّ الدم"<sup>٢</sup>.

في تاج العروس من جواهر القاموس يقول صاحبه الزبيدي: "العلق، مُحَرَّكَةً: الدّمّ عامة ما كان أو هو الشّدِيد الحمرة، أو الغليظ، أو الجامد قبل أن يبس، قال الله تعالى: (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ).. وفي التنزيل: (ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً) وفي حديث ابن أبي أوفى: أنه بزق علقة، ثم مضى في صلواته أي قطعة دم منعقد. والعلق: كل ما علق. وأيضا: الطّين الذي يعلق باليد"<sup>٣</sup>.

وفي معجم الوسيط: "الدم الغليظ أو الجامد؛ وفي التنزيل: (خلق الإنسان من علق)، والقطعة منه: علقة، والعلقة: طور من أطوار الجنين، وهي قطعة الدم، الدم التي

<sup>١</sup> كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص: ٢١٦/٣

<sup>٢</sup> ابن منظور، لسان العرب: ص: ٢٦١/١٠-٢٦٧

<sup>٣</sup> تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، ص: ١٨١/٢٦

يتكون منها. وفي التنزيل العزيز: (هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة)<sup>١</sup>.

في معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن: "ع ل ق، نقول من المادة كثير، فمنه العلق: الدود، والعلق: الذي تعلق به البكرة<sup>٢</sup> التي يستقي بها،.. علقه: (ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ) (٥ / الحج) أي: جنين يعلق بجدار الرحم كأنه دودة. العلقه: (فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً) (١٤/المؤمنون) أي: جنينا يعلق بجدار الرحم كأنه دودة. علق: (خلق الإنسان من علق) (٢/العلق) أي: حيوان يعلق بجدار الرحم كأنه دودة"<sup>٣</sup>.

### التفسير والتأويل للآية عند المفسرين عبر الزمان

يبين الإمام محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ) رحمه الله في تفسيره جامع البيان: "ثم بين الذي خلق فقال: (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ) يعني: من الدم، وقال: من علق؛ والمراد به من علقه، لأنه ذهب إلى الجمع، كما يقال: شجرة وشجر، وقصبة وقصب، وكذلك علقه وعلق. وإنما قال: من علق والإنسان في لفظ واحد، لأنه في معنى جمع، وإن كان في لفظ واحد، فلذلك قيل: من عَلَقٌ"<sup>٤</sup>.

يقول الإمام القرطبي (ت: ٦٧١ هـ): "قوله تعالى: خلق الإنسان يعني ابن آدم، (مِنْ عَلَقٍ) أي من دم، جمع علقه، والعلقه الدم الجامد، وإذا جرى فهو المسفوح، وقال: من علق فدره بلفظ الجمع، لأنه أراد بالإنسان الجمع، وكلهم خلقوا من علق بعد

<sup>١</sup> المعجم الوسيط: ص: ٦٢٢

<sup>٢</sup> تُعَدُّ 'البكرات' آلات بسيطة، يمكنها أن تسهل مهمة رفع الأجسام.

<sup>٣</sup> معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، حسن عز الدين الجمل، ص: ١٥٢/٣

<sup>٤</sup> تفسير جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، ص: ٥١٩/٢٤

النطفة. والعلقة: قطعة من دم رطب، سميت بذلك لأنها تعلق لرتوبها بما تمر عليه، فإذا جفت لم تكن علقَةً<sup>١</sup>.

في تفسير الشيخ طنطاوي جوهرى (ت ١٤٢٠ هـ) رحمه الله إنه يفسر: "و'العلق' الدم الجامد، وهو الطور الثاني من أطوار خلق الإنسان. وقيل: العلق: مجموعة من الخلايا التي نشأت بطريقة الإنقسام عن البويضة الملقحة، وسمي 'علقا' لتعلقه بجدار الرحم. والمقصود من هذه الجملة الكريمة بيان مظهر من مظاهر قدرته تعالى فكأنه سبحانه يقول: إن من كان قادرا على أن يخلق من الدم الجامد إنسانا يسمع ويرى ويعقل.. قادر- أيضا- على أن يجعل منك- أيها الرسول الكريم- قارئاً، وإن لم تسبق لك القراءة"<sup>٢</sup>.

يقول عبد الملك بن قاسم العاصمي (ت ١٣٩٢ هـ): "(مِنْ عَلَقٍ) اسم جمع علقه، كشجر اسم جمع شجرة، والعلق: عبارة عن دم جامد معلق في رحم المرأة، وهذا هو المنشأ الذي به الحياة يبدأ نطفة ثم يحول بقدرة الله إلى علقه"<sup>٣</sup>.

في التفسير البياني للقرآن الكريم تناقش الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ (ت ١٤١٩ هـ) عن موقف المتوسط في هذه القضية: "كل هذا مما يمكن أن يقال. وليس هو، على أي حال، بأبعد مما ابتدعه محدثون اتجهوا بهذه الآية إلى مجال البحث في علم الأجنة، والتمسوا المراجع الأجنبية لعلماء الفسيولوجيا والبيولوجيا، لفهم آية نزلت على النبي الأمي في قوم أميين لم يسمعوا قط، ولا سمع

<sup>١</sup> تفسير جامع لأحكام القرآن، محمد بن فرح القرطبي، ص: ٨٥/١٠

<sup>٢</sup> التفسير الوسيط، الشيخ طنطاوي جوهرى، ص: ٤٥٤/١٥

<sup>٣</sup> تفسير القرآن العظيم، عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن بن قاسم العاصمي، ص: جزء عم/١٣٢

عصرهم، بعلم الأجنة. وغير متصور أن يكون القرآن الكريم قدم لهم من آيات ربوبية الخالق وقدرته، ما لا سبيل لأحد منهم إلى تصوره، فضلاً عن فهمه وإدراكه.

وإنما فهموا من العلق ما تعرفه لغتهم وبيئتهم وعصرهم، والعربية قد استعملت العلق مادياً في كل ما يعلق وينشب: كالدوم، والمحور الذي تعلق عليه البكرة، وعلقت المرأة حملت، ومعنوياً في العلاقة تنشب بين اثنين حباً أو بغضاً، وفي الصلة تربط بينهما. ولم يكونوا في حاجة إلى درس في علم الأجنة أو مراجعة كتاب في المكتبة الأمريكية التي ظهرت بعدهم بقرون، ليفهموا آية خلق هذا الإنسان من علق في أرحام الأمهات، وهم الذين ألفوا استعمال: علقت المرأة، بمعنى حملت. واستعمال العلق هنا، جمع علقة، إيدان بما ذهبت إليه من إطلاق في عموم لفظ الإنسان.

ولا يشير السياق إلى أن القصد من (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ) توجيه المصطفى ومن يؤمنون برسالته إلى النظر في علم الأجنة، وإنما هي آية الله في هذا الإنسان، خلقه من علق، وخصه بالعلم، واحتمل أمانة التكليف، فازدهاه الغرور وأطغاه الشعور بوهم الاستغناء عن خالقه، فنسي أن إليه، سبحانه، الرجعى والمصير..... وهذه هي قصة الإنسان، من المبدأ إلى المنتهى، تلفت إليه سورة الوحي الأولى، بإيجاز، توطئة لما سوف يتتابع من آيات الوحي التي تزيد كل هذه الملامح المجملة تفصيلاً وبياناً.

وما من آية فيها، يؤذن سياقها بتوجيه إلى النظر في علم الأجنة وعلم الأحياء والتشريح، وإنما تأتي جميعاً في الإستدلال لقدرة الذي خلق الإنسان من علق، أو من نطفة أو من تراب، على النشأة الأخرى التي هي مدار الثواب والعقاب، ومناطق ما يوجه إليه كتاب الإسلام من تكليف وبشرى ووعيد".<sup>1</sup>

<sup>1</sup> التفسير البياني للقرآن الكريم، الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، ص: ١٨/٢ - ٢٠.

يقول ابن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) رحمه الله في تفسيره: "والعلق: اسم جمع علقه وهي قطعة قدر الأنملة من الدم الغليظ الجامد الباقي رطباً لم يجف، سمي بذلك تشبيهاً لها بدودة صغيرة تسمى علقه، وهي حمراء داكنة تكون في المياه الحلوة، تمتص الدم من الحيوان إذا علق خرطومها بجلده،.. ومعنى (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ) أن نطفة الذكر ونطفة المرأة بعد الاختلاط ومضى مدة كافية تصيران علقه، فإذا صارت علقه فقد أخذت في أطوار التكوّن، فجعلت العلقه مبدأ الخلق ولم تجعل النطفة مبدأ الخلق؛ لأن النطفة اشتهرت في ماء الرجل، فلو لم تخالطه نطفة المرأة لم تصر العلقه فلا يتخلق الجنين، وفيه إشارة إلى خلق الإنسان من علق ثم مصيره إلى كمال أشده هو خلق ينطوي على قوى كامنة وقابليات عظيمة أقصاها قابلية العلم والكتابة.

ومن إعجاز القرآن العلمي ذكر العلقه؛ لأن الثابت في العلم الآن أن الإنسان يتخلق من بويضة دقيقة جداً لا ترى إلا بالمرآة المكبرة اضعافاً تكون في مبدا ظهورها كروية الشكل سابحة في دم حيض المرأة فلا تقبل التخلق حتى تخالطها نطفة الرجل فتمتزج معها فتأخذ في التخلق إذا لم يعقها عائق كما قال تعالى: (مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ: الحج: ٥) فإذا أخذت في التخلق والنمو امتدّ تكورها قليلاً فشابهت العلقه التي في الماء مشابهة تامة في دقة الجسم وتلونها بلون الدم الذي هي سابحة فيه وفي كونها سابحة في سائل كما تسبح العلقه".<sup>١</sup>

والإمام الصابوني (ت ١٤٤٢ هـ) في صفوة التفاسير يعطي صورة بينة عن العلق إنه يقول: "ثم فسّر الخلق تفخيماً لشأن الإنسان فقال (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ) أي خلق هذا الإنسان البديع الشكل، الذي هو أشرف المخلوقات من العلقه هي الدودة

<sup>١</sup> التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ص: ٤٣٥/٣١

الصغيرة وقد أثبت الطبُّ الحديث أن المنيّ الذي خلق منه الإنسان محتوٍ على حيواناتٍ وديدانٍ صغيرة لا تُرى بالعين، وإنما ترى بالمجهر الدقيق الميكروسكوب وأن لها رأساً وذنباً، فتبارك الله أحسن الخالقين قال القرطبي: خصَّ الإنسان بالذكر تشریفاً له، والعلقةُ قطعة من دمٍ رطب، سميت بذلك لأنها تعلق لرتوبتها بما تمر عليه".<sup>١</sup>

والشيخ مصطفى العدوي يقول: "قال تعالى: (العلق): جمع علقة، وهي قطعة الدم المتماسك، وأطلق عليها علقة كما قال فريق من المفسرين: لأنها تعلق بأي شيء تمر به، ففي قطعة دم إذا رميت مثلاً على التراب فإنها تلتقط التراب، وتلصق بالشيء الذي تمر به، وتعلق بها الأشياء".<sup>٢</sup>

وإذا نظرنا إلى الكلمة: علمياً وحرفياً أن لها ثلاثة معانٍ مهمة كما قال كيث مور وأصحابه يقولون:

١. "دوية سوداء تمتصّ الدم (Leech)

٢. شيء مع وقف التنفيذ (Suspended thing)

٣. جلطة دموية (Blood Clot)

<sup>١</sup> صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ص: ٥٥٤/٣

<sup>٢</sup> سلسلة التفسير، مصطفى العدوي، ص: ٣/٩٧ (تفسير قوله تعالى اقرأ باسم ربك، المكتبة الشاملة الحديثة

(<https://al-maktaba.org/book/7695/2141>)

عند مقارنة علقه (Leech) بجنين في مرحلة العلقه نجد التشابه بين الإثنين<sup>١</sup>. في هذه المرحلة يحصل الجنين على التغذية من دم الأم مثلما تتغذى العلقه من دماء الآخرين. وفي المعنى الثاني (Suspended thing) تعليق الجنين في مرحلة العلقه في رحم الأم. المعنى الثالث للكلمة 'جلطة دموية': نجد أن المظهر الخارجي للجنين وحوصلاته أثناء مرحلة العلقه يشبه ظهور جلطة دموية. ويرجع ذلك إلى وجود كميات كبيرة نسبيا من الدم الموجودة في الجنين خلال هذه المرحلة<sup>٢</sup>. أيضا خلال هذه المرحلة، الدم في الجنين لا ينتشر حتى نهاية الأسبوع الثالث، وبالتالي فإن الجنين في هذه المرحلة يشبه تجلط الدم"<sup>٣</sup>.

لذلك نستطيع ان نفهم أن المعاني الثلاثة تتوافق مع الكلمة 'العلقه' بدقة مع أوصاف الجنين في مرحلة العلقه. وقد جرت بحوث علمية عميقة تبعها اختراعات واكتشافات جديدة وحديثة في مجال الطب خاصة علم الأجنة البشرية<sup>٤</sup>.

قد أكد العلم في الآونة الأخيرة أن واحدا فقط من ثلاث مائة ٣٠٠ مليون حيوان منوي مطلوب لتخصيب البويضة، هذا يعني أن كمية الحيوانات المنوية التي ينبعث منها ٣٠٠/١ جزء مليون فقط، أو ٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ من الحيوانات المنبعتة مطلوبة. البحوث والاختراعات في هذا المجال اشتدت ونالت السرعة بعد القرن السابع عشرة

1 Moore Keith, K.L., Persaud, T.V.N. & Torchia, M.G, The Developing Human: Clinically Oriented Embryology, Philadelphia: Saunders (2011) (9th Edition, Page:8). The Quran on Human Embryonic Development (www.islamreligion.com)

2 Moore Keith, K.L and Others, Human Development as described in the Quran and Sunnah, Page 37-38 (www.islamreligion.com)

3 Moore Keith, K.L., Persaud, T.V.N. & Torchia, M.G. 'The Developing Human: Clinically Oriented Embryology, Philadelphia: Saunders, 2011 (9th Edition, Page: 65). The Quran on Human Embryonic Development (www.islamreligion.com)

4 Human Embryology

ميلادي خاصة بعد محاولة العالم المشهور الملقب 'بأبي العلم الأجنة البشرية الحديثة' مارسيلو مالبيغي (١٦٢٨-١٦٩٤)<sup>١</sup>.

وقد يراد بالعلقة معنى آخر، وهو ما وقع من تحول وتغير بعد التلقيح واندماج واحدة من العلق في البويضة فأصبحت علقة عالقة بجدار الرحم تمتص غذاءها وتنمو وتتخلق خلقا من بعد خلق حتى صارت إنسانا كاملا سويا. وقال الكاتب الفرنسي موريس بوكاي: "إن وصف مراحل تطور الجنين كما هو في القرآن يتجاوب مع كل ما نعرفه اليوم عن ذلك، وهو لا يحتوي أية عبارة ينقدها العلم الحديث"<sup>٢</sup>.

### ملخص القول

في اللغة كلمة 'علق' الدم الجامد الغليظ قبل أن يبس، ومعنى آخر هي دودة حمراء تكون في الماء، وهي تمص الدم، والعلق كل ما علق، وفي المعجم المعاصر هي تكون أكثر اصطلاحيا كما وردت في معجم الوسيط، فيه 'العلقة' طور من أطوار الجنين، وهي قطعة الدم، الدم الذي يتكون منها، وهي جنين يعلق بجدار الرحم 'كأنه دودة'، وقد توضح من هذا أن حالة الماء الدافق بعد حالته النطفة في الرحم تتغير إلى حالة العلق، ثم تتغير النطفة علقة وتعلق على جدار الرحم وتمتص الدم، أي دم الحيض، إن استخدام هذه الكلمة أدق في جميع معناها إشارة إلى حالة الجنين في طورها الإبتدائية.

إن الإمام محمد بن جرير الطبري رحمه الله لم يدخل إلى مناقشة عريضة حول هذه العبارة، وهو يقول الذي خلق من قطعة الدم فقط. في قول القرطبي رحمه الله بيان

<sup>١</sup> Marcelo Malpighi, an Italian Scientist known as the Father of Modern Embryology

<sup>٢</sup> التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، ص: ١٧٧

لحالة العلقة، وهي دم جامد رطب أنها تعلق لرطوبتها بما مر عليه، وإذا جفت لم تكن علقة. والمفسر الحديث الشيخ طنطاوي جوهرى رحمه الله يبين: هي الدم الجامد، وهو الطور الثاني من أطوار خلق الإنسان، وهي مجموعة من الخلايا التي نشأت بطريقة الإنقسام عن البويضة الملقحة. وبيان القاسم رحمه الله في هذه القضية هو 'العلق' عبارة عن دم جامد معلق في رحم المرأة، قد حولها الله إليها بعد حالتها النطفة.

ورأي ابن عاشور رحمه الله هي قطعة قدر الأنملة من الدم الجامد الغليظ الباقي رطبا لم يجف، وشبهت ذلك بالدودة أنها تبقى في المياه وتمتص الدم، إذا لم تخالط نطفة المرأة بنطفة الرجل لم تصر العلقة، فلا يتخلق منها الجنين، وفيه يقول ابن عاشور إن في ذكر 'العلق' إعجاز علمي، لأن العلم الحديث يقول الإنسان يتخلق من بويضة دقيقة جدا. تكون في مبدئها كروية الشكل سابحة في دم حيض المرأة، وإذا تخالطت بنطفة الرجل وامتزجت معها فتأخذ التخلق، ثم تمتد تكورها وتكون مشابهة تامة في دقة الجسم وتلونها بلون الدم وهي سابحة فيه كما تسبح العلقة. ويعطي الصابوني رحمه الله صورة بينة عن خلق الإنسان، وهو يصف عن احتواء الحيوانات والديدان الصغيرة لا ترى بالعين ولها رأس وذنب.

في هذه القضية للمفسرة المعاصرة المرحومة عائشة بنت عبد الرحمن رأي آخر، تشير إلى عدم الأهمية للاتجاه الحديث الذي يعتمد على علم الأجنة لفهم العبارات القرآنية، وإنما تدعي أن القرآن يفسر بعضه بعضا، فلا حاجة إلى الإعتماد على المخترعات الحديثة لبيان كلام الله تعالى.

وقد توضح مما سبق أن المفسرين الكبار الذين عاشوا في العصر القديم والحديث قد نجحوا في الإتيان بالبيان المطمئن لأصحاب عصورهم حول العبارات العلمية

ولكن تفسيرهم وتأويلهم لم يتجاوز الحد حيث فسروا وأولوا الكلمة من معناها المعجمي إلى معناها الاصطلاحي الحديث، والعبارات القرآنية بنفسها قد مكنت ان تتضمن التغيرات والتطورات التي تحدث حولها حتى في العصر التقدمي العلمي.

وبالجمله إن لإستخدام كلمة 'علق' بدلا من إستخدام 'النطفة' أو 'مضغ' أهمية، لأن النطفة قد تكون خالية من العلق فلا يسبب حملا، وأن المضغة لا تنشأ ولا تتكون إلا من العلق إذا ما اندمجت علقه منه في البويضة، ولذلك خص الله العلق بأصل خلق الإنسان. و'الماء الدافق' وهو المني الذي يسبح فيه ملايين من العلق، ولولاه ما كان حمل ولا جنين. إن الله سبحانه خلق الإنسان من حيوان يشبه بالعلقة، وهو دودة تسبح في الماء من خواصها أنها تمتص دم إنسان أو الحيوان حينما تعلق بأحدهما، وأوجه الشبه أن العلقه تسبح في الماء وهو سائل، وكذلك الحيوان المنوي الذي يسبح في السائل المنوي، وتمتص العلقه دم الإنسان أو الحيوان الذي تعلق به، وكذلك الحيوان المنوي إذا اتحد مع البويضة امتص غذاء.

## ٢٩. قرار مكين

وصف القرآن الكريم النطفة بأدق وصف، ووصف المكان الذي تستقر فيه النطفة بوصفين جامعين معبرين: قال سبحانه وتعالى في سورة المؤمنون: (ثم جعلناه نطفة في قرار مكين) وفي سورة المرسلات (وجعلناه في قرار مكين)، وردت كلمة 'قرار' سبع مرات، منها مرتان وردت إشارة إلى خلق الإنسان، ووردت كلمة 'مكين' مع كلمة قرار أربع مرات، منها مرتان في صيغة الصفة لكلمة 'قرار'، والآيتان هما:

١. (ألم نخلقكم من ماء مهين؛ فجعلناه في قرار مكين)<sup>١</sup>

٢. (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين؛ ثم جعلناه نطفة في قرار مكين)<sup>٢</sup>

عبارة 'قرار مكين' قد استخدمها الله سبحانه وتعالى في الآيتين من سورة 'المؤمنون' وسورة 'المرسلات' ليبيّن بهما حالة النطفة فهي عبارة تحتوي خصائصا كثيرة، كما توحى إلى ما جاء به علم الأجنة والدراسات الحديثة.

الأوصاف المفصلة الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية هي أوصاف دقيقة مثلا الأمور المتعلقة بصغر حجم الخلية الجرثومية وعمر الحمل. وهذا مستحيل كشف التطورات وعمليات التغير التي تحدث خلال مرحلة النطفة من غير استخدام المجاهر الضخمة، نظرا لصغر حجم النطفة. ولقد حدد القرآن الكريم أول مراحل النطفة بالماء الدافق، وحدد آخرها بحرث النطفة أي غرسها في القرار المكين.

### كلمة 'قرار' و'مكين' في المعاجم اللغوية

يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتاب العين: "والقرار: المستقر من الأرض، وأقرته في مقره ليقر، وفلان قار أي ساكن، وما يتقار في مكانه ويقر أي ما يستقر. والإقرار: الإعراف بالشيء، والقرارة: القاع المستدير"<sup>٣</sup>.

في لسان العرب: "القرارة والقرار: ما قرّ فيه الماء، قال أبو حنيفة: القرارة كل مطمئن اندفع إليه الماء فاستقر فيه. قال ابن شميل: بطون الأرض قرارها لأن الماء يستقر

<sup>١</sup> سورة المرسلات، الآيات: ٢٠-٢١

<sup>٢</sup> سورة المؤمنون، الآيات: ١٣١-١٣٢

<sup>٣</sup> كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي: ص: ٣٧٤/٣

فيها. ويقال: القرار مستقر الماء في الروضة. وقوله عز وجل: ذات قرار ومعين؛ هو المكان المطمئن الذي يستقر فيه الماء<sup>١</sup>.

في معجم الوسيط: "القرار: المكان المنخفض يجتمع فيه الماء"<sup>٢</sup>. هو الحصن الذي يتركز فيه الجنين، أمنا فيه من اعتداء خارجي.

في معجم اللغة المعاصرة: كلمة مكين (مفرد): ج مكناء: ١ - صفة مشبهة تدل على الثبوت من مكن: ذو منزلة ورفعة شأن (إنك اليوم لدينا مكين أمين): عظيم القدر والمكانة. ٢ - وطيد، قوي، متين، ثابت لا يتزحج عن موضعه حائط مكين - (ألم نخلقكم من ماء مهين. فجعلناه في قرار مكين). ٣ - حصين محمي (ثم جعلناه نطفة في قرار مكين)<sup>٣</sup> يقول صاحب 'معجم لغوي لكلمات القرآن': "أي ثابت لا يتزحج عن موضعه وهو الرحم أو مكين ما فيه"<sup>٤</sup>. واستخدم كلمة 'مكين' في القرآن الكريم في موضعين المذكورة أعلاه لمعنى 'الرحم المصون'.

### تفسير وتأويل الآية عند المفسرين عبر الزمان

يقول الإمام محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) رحمه الله في تفسيره: "وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية؛ لدلالة قوله: (ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ) على أن ذلك كذلك؛ لأنه معلوم أنه لم يصر في قرار مكين إلا بعد خلقه في صلب الفحل، ومن بعد تحوُّله من صلبه صار في قرار مكين؛ والعرب تسمي ولد الرجل ونطفته: سليله وسلالته. لأنهما مسلولان منه، ومن السُّلالة قول بعضهم: يعني تعالى ذكره بقوله:

<sup>١</sup> ابن منظور، لسان العرب، ص: ٨٥/٥-٨٦

<sup>٢</sup> معجم الوسيط، ص: ٧٢٥

<sup>٣</sup> مكين/ <https://www.maajim.com/dictionary/> معجم اللغة العربية المعاصرة

<sup>٤</sup> معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، حسن عز الدين جمال، ص: ٢٦٢/٤

(ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ) ثم جعلنا الإنسان الذي جعلناه من سلالة من طين نطفة في قرار مكين، وهو حيث استقرت فيه نطفة الرجل من رحم المرأة، ووصفه بأنه مكين؛ لأنه مكن لذلك، وهياً له ليستقر فيه إلى بلوغ أمره الذي جعله له قراراً<sup>١</sup>.

وأما فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) رحمه الله يقول في تفسيره الكبير: "المرتبة الثانية: قوله تعالى: ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ومعنى جعل الإنسان نطفة أنه خلق جوهر الإنسان أولاً طيناً، ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة في أصلاب الآباء فذفه الصلب بالجماع إلى رحم المرأة فصار الرحم قراراً مكيناً لهذه النطفة والمراد بالقرار موضع القرار وهو المستقر فسماه بالمصدر ثم وصف الرحم بالمكانة التي هي صفة المستقر فيها كقولك طريق سائر أو لمكانتها في نفسها لأنها تمكنت من حيث هي وأحرزت"<sup>٢</sup>.

وفي تفسير روح المعاني الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ) رحمه الله يقول: "أي ثم خلقنا الإنسان من نطفة كائنة (في قرار) أي مستقر وهو في الأصل من قريقر قراراً بمعنى ثبت ثبوتاً وأطلق على ذلك مبالغة، والمراد به الرحم ووصفه بقوله تعالى: (مَكِينٍ) أي متمكن مع أن التمكن وصف ذي المكان وهو النطفة هنا على سبيل المجاز كما يقال طريق سائر، وجوّز أن يقال: إن الرحم نفسها متمكنة ومعنى تمكّنها أنها لا تنفصل لثقل حملها أولاً تمج ما فيها فهو كناية عن جعل النطفة محرزة وهو وجه وجيه"<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، ص: ١٩/١٥-١٦

<sup>٢</sup> تفسير الكبير، فخر الدين الرازي، ص: ٢٣/٢٥

<sup>٣</sup> روح المعاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، ص: ٧/٢١٦

ويعطي صديق حسن خان القنوجي (ت ١٣٠٧ هـ) في 'فتح البيان' معنى لهذه الدلالة: "(فجعلناه في قرار مكين) أي مكان حريز وهو الرحم يحفظ فيه المني من الآفات المفسدة له كالهواء"<sup>١</sup>.

في تفسير هذه الآية يشارك المفسر الحديث الشيخ أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١ هـ) خلاصة آراء جماعة من المفسرين إنه يقول: "ويرى جماعة من المفسرين: أن المراد بالإنسان هنا ولد آدم وهم يقولون: إن النطف تتوالد من الدم الحادث من الأغذية وهي إما حيوانية وإما نباتية، والحيوانية تنتهي إلى نباتية، والنبات يتوالد من صفو الأرض والماء، فالإنسان على الحقيقة متوالد من سلالة من طين، ثم تواردت على تلك السلالات أطوار الخلقة إلى أن صارت نطفاً (ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ) أي ثم جعلنا نسله نطفاً في أصلاب الآباء، ثم قذفت إلى الأرحام، فصارت في حرز حصين من وقت الحمل إلى حين الولادة"<sup>٢</sup>.

يقول ابن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) رحمه الله: "وقوله: (ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ) طور آخر للخلق وهو طور اختلاط السلالتين في الرحم، سميت سلالة الذكر نطفة لأنها تنطف، أي: تقطر في الرحم في قناة معروفة وهو: القرار المكين.. المعنى: جعلنا السلالة في قرار مكين، أي وضعنا فيه حفظاً لها،.. والقرار في الأصل: مصدر قر إذا ثبت في مكانه، وقد سمي به هنا المكان نفسه، والمكين: الثابت في المكان بحيث لا يقلع من مكانه، فمقتضى الظاهر أن يوصف بالمكين الشيء الحال في المكان الثابت فيه، وقد وقع هنا وصفا لنفس المكان الذي استقرت فيه النطفة"<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان القنوجي، ص: ١٠/١٩٠

<sup>٢</sup> تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ص: ٦/٢١٢

<sup>٣</sup> التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص: ١٨/٢٣

والمفسر الحديث وصاحب تفسير 'حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن' الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي (ت ١٤٤١ هـ) يقول: " (ثم جعلناه)؛ أي: ثم جعلنا نسله (نطفة)؛ أي: نطفًا في أصلاب الآباء، ثم قذفت إلى الأرحام، فصارت محفوظة (في قرار مكين)؛ أي: في حرز حصين من وقت العمل إلى حين الولادة؛ أي: ثم جعلنا السلالة منيا أربعين يوما، في مكان حريز، فإن الله تعالى خلق جوهر الإنسان أولا طينا، ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة، في صلب الأب، فقذفه الصلب بالجماع إلى رحم الأم، فصار الرحم مستقرًا حصينًا لهذه النطفة"<sup>١</sup>.

وفي العصر الراهن هناك محاولات من جهة العلماء الذين يركزون انتباههم على تبين هذه الإشارة القرآنية على ضوء الإكتشافات العلمية الحديثة، وتطوراتها في علم الأجنة. وفي المقالة التي نشرت على موقع الإعجاز العلمي في القرآن الكريم يقول صاحبها: "فكلمة قرار في الآية تشير إلى العلاقة بين الجنين والرحم فالرحم . مكان لإستقرار الجنين، أما مكين فهي تشير إلى العلاقة بين الرحم وجسم الأم. يقول الزبيدي: قرّ معناه (استقر واستراح). وكذلك القرار هو مكان يستقر فيه الماء ويتجمع وقد وصف القرآن الكريم المكان الذي تستقر فيه النطفة في الرحم بأنه قرار. وقد كشف العلم الكثير من التفاصيل لهذا الوصف الجامع المعبر، فالرحم للنطفة ولمراحل الجنين اللاحقة سكن لمدة تسعة أشهر وبالرغم من أن طبيعة الجسم أن يطرد أي جسم خارجي، فإن الرحم يأوي الجنين ويغديه، وللرحم عضلات وأوعية رابطة تحمي الجنين داخله. ويستجيب الرحم لنمو الجنين ويتمدد بدرجة كبيرة ليتلائم مع نموه فهو قرار له ويحاط الجنين بعدة طبقات بعد السائل

<sup>١</sup> تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي، ص: ٢٤/١٩- ٢٥

الأمينوسي وهي الغشاء الأمينوسي المندمج بالمشيمة، وطبقة العضلات السميكة للرحم ثم جدار البطن، وكل هذا يمد الجنين بمكان مناسب للإستقرار وللنمو الجيد وهكذا فإن كلمة قرار قد استعملت في القرآن الكريم كل هذه المعاني وغيرها، متضمنة وظائف الرحم باعتباره مكانًا مناسبًا لإستقرار الجنين وتمكينه من مواصلة نموه<sup>1</sup>.

### ملخص القول

القرار في اللغة مكان الإستقرار، والقرارة القاع المستدير، وللقرار معنى آخر في المعاجم مثل: ما قر فيه الماء، كما أشار إليه الإمام أبو حنيفة كل مطمئن اندفع إليه الماء فاستقر فيه، سمي بطون الأرض قرارا لأن الماء يستقر فيها، والقرار هو الحصن الذي يتركز فيه الجنين أمانا من اعتداء خارجي، هذا معنى في المعجم الوسيط، وهذا المعنى أكثر اصطلاحيا للإشارة إلى حالة الرحم بعد دخول النطفة إليها، ومكين صفة مشبهة تدل على الثبوت، وهو حائط مكين وحصين محي.

يرى الإمام محمد بن جرير الطبري أنه قد جعل الله النطفة في قرار مكين حيث استقرت فيه نطفة الرجل من رحم المرأة ووصفه بأنه مكين، اي صنع الله الرحم كالقرار وجعله مكينا، وهياها للنطفة مكان استقرار، وفخر الدين الرازي رحمه الله اعتبر كلمة 'قرار' وصف الرحم، وهي صفة المستقر، وهو موضع القرار، والإمام الألويسي يرى هذا جائز أن يقال 'إن الرحم نفسها متمكنة ومعنى تمكينا أنها لا تنفصل لثقل حملها أو لا تمج ما فيها' هذه إشارة إلى عجائب الرحم وكونه، وصديق

<sup>1</sup> وصف التخلق البشري.. مرحلة النطفة، مقالة منشورة على موقع

<https://www.eajaz.org/index.php/component/content/article/59-The-first-issue/219->

([Description-human-embryogenesis](#))

حسن خان القنوجي رحمه الله يرى وهو الرحم يحفظ فيه المني من الآفات المفسدة له كالهواء، والمرأغي رحمه الله من العصر الحديث يرى أنه قذفت النطفة إلى الأرحام فصارت في حرز حصين من وقت الحمل إلى حين الولادة. وفي رأي ابن عاشور أن آخر طور من خلق الإنسان وهو طور اختلاط السلالتين في الرحم، وهو القرار المكين، والقرار مصدر قر إذا ثبتت في مكانه، والمكين الثابت في المكان الثابت فيه.

هذا واضح مما سبق القرار المكين الذي ذكرته، هو الحصن الذي يتركز فيه الجنين، أماناً فيه من اعتداء خارجي. بالحقيقة النطفة ضعيفة لا ترى إلا بعد تكبيرها مئات المرات، جعلها الله في هذا القرار أي في الرحم وهو يحيط بجدار عظمي قوي جداً، فيه تكاثرت وتخلقت وتدرجت النطفة من طور إلى طور آخر من حالة النطفة إلى حالة العلقة، والمضغة، والعظام، واللحم حتى أنشأها خلقاً آخر، وخلال هذه المرحلة في هذا المسكن الأمين، كانت تنعم بكل ما تتطلبه من الغذاء والماء والأكسجين، وهو منيع يحمي كل مشددة من الداخلي أو الخارجي، بذلك أن هذا الرحم في جميع معناه، لقرار مكين.

### ٣٠. ظلمات ثلاث

خلق الله الإنسان من نفس واحدة، يقول الله تعالى في سورة الزمر: "(خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ..)"<sup>١</sup>، أنه خلقهم من نفس واحدة أي من آدم عليه السلام، وجعل من آدم وزوجه حواء، وجعل للإنسان من الأنعام ثمانية أزواج لمصالحهم ومنافعهم. بعده ينبه الله الإنسان؛ (يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له

<sup>١</sup> سورة زمر، الآية: ٦

الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون: سورة الزمر: ٦) أي أنه يخلق الإنسان في بطون أمهاتهم خلقا بعد خلق، أي طورا بعد طور كما وردت في آيات مختلفة من القرآن الكريم، فيها إشارة إلى أنه قد بدأ الخلق من سلالة من طين، ثم من ماء دافق، ثم من نطفة أمشاج، ثم جعل النطفة علقة، وجعل العلقة مضغة، وجعل المضغة عظاما، وكسى العظام لحما، خلال هذه الأطوار يجاوز الجنين في داخل بطن المرأة ظلمات ثلاث. وإن في استخدام 'ظلمات ثلاث' أهمية في مراحل خلق الإنسان، يريد الباحث أن يفتش آراء المفسرين الكبار خلال تفسير هذه الآية في تفاسيرهم عبر الزمان .

### عبارة 'الظلمات الثلاث' في معاجم اللغة

في تاج العروس من جواهر القاموس يقول الزبيدي: "(والظلمة، بالضمّ وبضمّتين)، لغتان ذكرهما الجوهري - (و) كذلك (الظلماء) بمعنى: الظلمة - نقله الجوهري أيضا، قال وربما وصف به كما سيأتي - (والظلام) اسم يجمع ذلك كالسواد ولا يجمع، يجري مجرى المصدر، كما لا تجمع نظائره نحو السواد، والبياض، والظلمة: (ذهاب النور)"<sup>١</sup>. في مفردات ألفاظ القرآن يقول صاحبه الراغب الأصفهاني: "(في ظلمات ثلاث: الزمر/٦): أي البطن، والرحم، والمشيمة (placenta)"<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، ص: ٣٣/٣٧

<sup>٢</sup> مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص: ٥٣٧

## تفسير الآية عند المفسرين عبر الزمان

يقول الإمام محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) رحمه الله: "وقوله: (فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) يعني: في ظلمة البطن، وظلمة الرِّحْم، وظلمة المشيِّمة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل"<sup>١</sup>.

والإمام القرطبي (ت ٦٧١ هـ) رحمه الله يقول: "في ظلمات ثلاث: ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيِّمة، قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة والضحاك، وقال ابن جبير: ظلمة المشيِّمة وظلمة الرحم وظلمة الليل، والقول الأول أصح، وقيل: ظلمة صلب الرجل وظلمة بطن المرأة وظلمة الرحم، وهذا مذهب أبي عبيدة أي لا تمنعه الظلمة كما تمنع المخلوقين"<sup>٢</sup>.

واتبع الإمام الزمخشري (ت ٥٧٨ هـ) رحمه الله آراء السلف وقال: "والظلمات الثلاث: البطن والرحم والمشيِّمة، وقيل: الصلب والرحم والبطن ذلكم الذي هذه أفعاله هو الله ربكم"<sup>٣</sup>.

ويقول الإمام الآلوسي (ت ١٢٧٠ هـ) رحمه الله في تفسيره 'روح المعاني': "(فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) ظلمة البطن والرحم والمشيِّمة، وقيل: ظلمة الصلب والبطن والرحم"<sup>٤</sup>.

وفي تفسير فتح البيان يقول الإمام صديق حسن خان القنوجي (ت ١٣٠٧ هـ): "(فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) هي ظلمة البطن وظلمة الرحم؛ وظلمة المشيِّمة؛ قاله مجاهد وقتادة والضحاك، وقال سعيد بن جبير ظلمة المشيِّمة، وظلمة الرحم وظلمة الليل وقال

<sup>١</sup> جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، ص: ٢٥٨/٢١

<sup>٢</sup> تفسير جامع لأحكام القرآن، محمد بن فرح القرطبي، ص: ٢٣٦/١٥

<sup>٣</sup> الكشاف، جار الله الزمخشري، ص: ٢٩٠/٥

<sup>٤</sup> روح المعاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، ص: ٢٣١/٨

أبو عبيدة ظلمة صلب الرجل، وظلمة بطن المرأة؛ وظلمة الرحم، والرحم داخل البدن والمشيمة داخل الرحم قال ابن الأعرابي يقال لما يكون فيه الولد، المشيمة والكيس والغلاف؛ والجمع مشيم بحذف الهاء، ومشايم<sup>١</sup>.

والإمام المراغي (ت ١٣٧١ هـ) رحمه الله يحكي رأي عالم في مجال الطب: "(في ظُلُمَاتٍ ثلاثٍ) أي في ظلمات أغشية ثلاثة جعلها المولى سبحانه وقاية للولد وحفظاً له من التعفن، قال الدكتور عبد العزيز باشا إسماعيل في كتابه (الإسلام والطب الحديث): يعلمنا القرآن أن الجنين له ثلاثة أغشية سماها ظلمات: هي الغشاء المنباري، والخربون، والغشاء اللفانفي، وهي لا تظهر إلا بالتشريح الدقيق، وتظهر كأنها غشاء واحد بالعين المجردة"<sup>٢</sup>.

وصاحب ظلال القرآن سيد قطب (ت: ١٣٨٥ هـ) يصف الظلمات الثلاث هي 'ظلمة الكيس'، و'ظلمة الرحم' و'ظلمة البطن': "ظلمة الكيس الذي يغلف الجنين، وظلمة الرحم الذي يستقر فيه هذا الكيس، وظلمة البطن الذي تستقر فيه الرحم، ويد الله تخلق هذه الخلية الصغيرة خلقاً من بعد خلق، وعين الله ترعى هذه الخليقة وتودعها القدرة على النمو، والقدرة على التطور، والقدرة على الارتقاء، والقدرة على السير في تمثيل خطوات النفس البشرية كما قدر لها بارئها"<sup>٣</sup>.

يمكن العثور على البيانات الإضافية في التفاسير في العصر الحديث مثلاً يقول ابن عاشور رحمه الله (١٣٩٣ هـ) في تفسيره: "والظُّلُمَاتُ الثَّلَاثُ": ظلمة بطن الأم، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، وهي غشاء من جلد يخلق مع الجنين محيطاً به

<sup>١</sup> فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان القنوجي، ص: ٥٣/٦

<sup>٢</sup> تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ص: ١٤٧/٨

<sup>٣</sup> في ظلال القرآن، سيد قطب، ص: ٣٠٣٩/٥

ليقيه وليكون به استقلاله مما ينجرّ إليه من الأغذية في دورته الدموية الخاصة به دون أمه، وفي ذكر هذه الظلمات تنبيه على إحاطة علم الله تعالى بالأشياء ونفوذ قدرته إليها في أشد ما تكون فيه من الخفاء".<sup>١</sup>

الشيخ طنطاوي جوهرى (ت ١٤٢٠ هـ) رحمه الله يقول هكذا: "وقوله - تعالى - (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) بيان لكيفية خلق ما خلقه الله من الأناسي والأنعام بتلك الطريقة العجيبة. أى أنه - تعالى - يخلقكم - أيها الناس - بقدرته في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق، بأن يحولكم من نطفة إلى علقة إلى مضغة، إلى عظام مكسوة باللحم، ثم يحولكم بعد ذلك إلى خلق آخر، وهذه المراحل كلها تتم وأنتم في ظلمات بطون أمهاتكم، وظلمات الأرحام التي بداخل البطون وظلمات الغشاء الذي بداخل الأرحام والبطون، وذلك كله من أقوى الأدلة على قدرة الله - تعالى - ورعايته لخلقه".<sup>٢</sup>

والمفسر المعاصر ابن عثيمين (١٤٢١ هـ) يحاول أن يبين هذه الآية أكثر واضحا في تفسيره: "ثم قال عز وجل: (خُلِقَ مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ)، (ظُلُمَاتٍ) لا يصل إليها الضوء (ثَلَاثٍ).فسرها المؤلف بقوله: (هي ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة) هذه ثلاث ظلمات جعلها الله عز وجل وقاية لهذا الجنين؛ لأن أشعة الضوء لو وصلت إليه لأفسدته، ولكن الله عز وجل جعله في هذه الظلمات الثلاث، ثم إنه سبحانه وتعالى جعل ظهره إلى بطن أمه، ووجهه إلى ظهر الأم، وهذا من أجل ألا يتضرر وجهه بالصدمات التي تكون على بطن الأم؛ ليكون الظهر وقاية للوجه، وخلف الجنين الذي يلي البطن قوي؛ لأن فيه الظهر والأضلاع، فهو قوي يعني

<sup>١</sup> التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ص: ٢٣/٣٣٤

<sup>٢</sup> التفسير الوسيط للقرآن الكريم، السيد طنطاوي، ص: ١٢/١٩٨

متحملاً للصدّات، فإذا أراد الله عز وجل إخراجه انقلب هذا الجنين، تحرك واضطرب بإذن الله عز وجل، ثم انقلب حتى يكون رأسه هو الأسفل ويخرج الرأس أولاً؛ من أجل أن يكون خروجه سهلاً؛ إذ لو خرج من عند قدميه لكان في ذلك ضرر وخطر أيضاً، قد تعلق مثلاً إحدى اليدين في أحد الجوانب، فيحصل في هذا ضرر، وربما يحصل تلف على الجنين، والله سبحانه وتعالى في خلقه شئون المهم أن الله سبحانه وتعالى اعتنى بنا عناية تامة ونحن في بطون أمهاتنا وعند الخروج منها، ولهذا قال: (فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ)<sup>١</sup>.

والسيد إسماعيل شهاب الدين (ت ١٤٣١ هـ) رحمه الله يقول: "هي:

(أ)- ظلمة تجويف 'أنبوب' الرحم إذ تلتقي 'سلالة' الرجل مع 'سلالتها' في الثلث الخارجي من 'الأنبوب' ثم تنصهر بها، وهذه الظلمة: مرحلة 'التلقيح'.

(ب)- ظلمة تجويف 'الرحم' وهي: طور 'العلاقة' عندما تتعلق 'البويضة' الملقحة التي بدأت بالتكاثر والانقسام بـ 'الغشا' الداخلي للرحم، ثم تختفي ورائه بعد اليوم السابع من الحمل.

(ج)- ظلمة 'الأغشية' والسائل 'الأمينوسي' (amniotique) التي تحويه حيث يسبح الجنين إلى حين الولادة. أو: أن للجنين في رحم أمه ثلاث أغشية صما"<sup>٢</sup>.

وفي 'أيسر التفاسير'، صاحبه أبو بكر الجزائري (ت ١٤٣٩ هـ) يقول: "وبرهان رابع في قوله (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ) أي نطفة ثم علقة ثم مضغة

<sup>١</sup> تفسير العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ص: ٣٩/١٢

<sup>٢</sup> على هامش التفاسير، السيد إسماعيل شهاب الدين، ص: ٧١/١

ثم عظاماً ثم نكسو العظام لحماً فإذا هو إنسان كامل وقوله (في ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) هي ظلمة بطن الأم، ثم ظلمة الرحم، ثم ظلمة المشيمة، وهي غشاء يكون للولد<sup>١</sup>.

والصابوني (ت ١٤٤٢ هـ) رحمه الله يقول في صفوة التفاسير: "(في ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) هي البطن، والرحم، والمشيمة، وهو الكيس الذي يغلف الجنين"<sup>٢</sup>.

يقول مصطفى محمود صاحب كتاب 'القرآن: محاولة لفهم عصري': "يكشف لنا الخلق داخل الرحم، فيصفه بأنه يتم على أطوار، خلق من بعد خلق، وأنه يجري داخل ظلمات ثلاث، و الظلمات الثلاث هي: ظلمة البطن و ظلمة الرحم و ظلمة (الغلاف في الأمنيوسي)، كل غرفة منها داخل الأخرى، و الجنين في قلبها، و هي حقائق تشريحية، أو هي ظلمات الأغشية الثلاثة التي يتألف منها الجنين ذاته و هي حقيقة أخرى"<sup>٣</sup>.

قد وصف الله القرار المكين أي الرحم وحالة وجود الجنين فيه بثلاث ظلمات، يقول الدكتور محمد علي البار: "قال بعض المفسرين رحمهم الله إن الظلمات الثلاث هي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة، والمعنى صحيح في ذاته فلجدار البطن ظلمة ثم تليها ظلمة جدار الرحم، ثم تليها ظلمة الأغشية المحيطة بالجنين، ومع هذا فالآية قد حددت أن الظلمات الثلاث هي في مكان الخلق من بطون الأمهات، وذلك لا يكون إلا في الرحم ذاته، وإذا دققنا النظر في الأغشية المحيطة بالجنين وجدناها ثلاثة هي: غشاء السلي أو الأمنيون، ويحيط بالجنين مباشرة من كل جوانبه وفي مائه يتحرك الجنين، ثم يليه غشاء الكوريون (الغشاء المشيمي)، ثم يليه الغشاء

<sup>١</sup> أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، ص: ٣٨٥/٤

<sup>٢</sup> صفوة التفاسير، محمد علي محمد علي الصابوني، ص: ٦٥/٣

<sup>٣</sup> مصطفى محمود، القرآن: محاولة لفهم عصري، ص: ٣٣

الساقط، وهو غشاء الرحم الذي يسقط بعد الولادة أو الإجهاض، وسمي بالساقط لأن الرحم يسقطه مع الأغشية"<sup>١</sup>.

يقول الدكتور عبد الحميد دياب: "وبالنظر إلى الآية السابقة: (يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث)، واستناداً إلى المعطيات العلمية التي ذكرناها حول الأغشية الثلاثة، نجد أنفسنا مرة أخرى أمام إعجاز قرآني جديد، إذ أشارت الآية الكريمة لأغشية الجنين الثلاثة بتصوير واقعي لجو الظلمة المحيطة بالجنين، فما أسميناه بالغشاء أسماه القرآن بالظلمة: ظلمة الغشاء الأمنيوسي، وظلمة الغشاء الكوريوني، وظلمة العشاء الساقط، وشئ آخر في الآية الكريمة هو تبيانها أن عملية الخلق تتم على أطوار متلاحقة داخل هذه الظلمات الثلاث"<sup>٢</sup>.

إن الله سبحانه وتعالى يقول في سورة نوح (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا)، ولقد ثبت العلماء الحديث علمياً أن تطور الجنين يمر عملياً في بطن الأم عبر ظلمات ثلاث، أي تطور الأجنة خلقاً بعد خلقٍ أطواراً. الدكتورة رحمة بنت حمد بن سلطان الهدابي، استشاري أمراض نساء وولادة، تقول في مقالة التي نشرت على أحد من المواقع: "فالظلمة الأولى هي ظلمة جدار البطن، والظلمة الثانية هي ظلمة جدار الرحم، أما الظلمة الثالثة فهي ظلمة المشيمة بأغشيتها الكوريون والأمنيون، وهذا ما ذكره الله جل وعلا في الآية الكريمة.. ولم يتوصل العلم إلى الكشف عن هذه الظلمات إلا مؤخراً بعد قيام الثورة التكنولوجية في القرن العشرين، فتم الكشف عنها ورؤيتها بواسطة آلات التنظير الجوفي.(endoscopies)

<sup>١</sup> د. محمد على البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص: ٢٠١-٢٠٣

<sup>٢</sup> مع الطب في القرآن، الدكتور عبد الحميد دياب: ص: ٨٧

إذ أن جدار البطن يحتوي الرحم، وجدار الرحم يحتوي المشيمة، والتي بدورها تحيط الجنين بأغشيتها. هذه الظلمات التي تحيط بالجنين ترافقه خلال نموه (خلقا من بعد خلق) وتتأقلم مع حاجاته ريثما يخرج إلى النور، إذ يزداد حجم البطن والرحم وكذلك المشيمة مع ازدياد حجم الجنين، فهي تحيط به وتحفظه من الصدمات، كما تقوم بنقل الغذاء والأكسجين له من الأم، ونقل ثاني أكسيد الكربون والفضلات منه إلى الأم<sup>1</sup>.

### ملخص القول

الظلمة اسم، هي حالة زهاب النور، والراغب الأصفهاني وضّح مراد الآية في ظلمات ثلاث هي البطن، والرحم، والمشيمة. اختلف المفسرون بينهم في تعيين هذه الظلمات الثلاث؛ في رأي الإمام محمد بن جرير الطبري رحمه الله هي: ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، ويروي الإمام القرطبي قول ابن عباس رضي الله عنه وغيره، ولابن جبير قول آخر وهو: ظلمة الليل، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، وقيل هذا: ظلمة صلب الرجل، وظلمة بطن المرأة، وظلمة الرحم، اتبع الزمخشري والآلوسي رحمهما الله رأي القرطبي في هذه القضية.

في رأي المفسر الحديث صديق حسن خان القنوجي ظلمة الرحم أي الرحم داخل البدن، والمشيمة داخل الرحم، يكون فيه الولد، والمشيمة الكيس والغلاف، وأما المراغي رحمه الله يستخدم معرفة عالم في مجال الطب لتشكيل رأيه؛ حسب رأيه وجعل الله ظلمات ثلاثة وقاية للولد وحفظا وهو يحكي حكاية ويفصل هذه الأغشية الثلاثة هي الغشاء المنباري (Allantois) والخربون (chorion) والغشاء اللفانفي

<sup>1</sup> في ظلمات ثلاث، في ظلمات ثلاث، مقالة منشورة على موقع <https://anwaar.squ.edu.om/blogs>

(Amnion)، في رأي سيد قطب هي ظلمة الكيس الذي يغلف الجنين، وظلمة الرحم وظلمة البطن، وكذلك في تفسير ابن عاشور رحمه الله بيانا عن ظلمة المشيمة، وهي: غشاء من جلد يخلق مع الجنين محيطا به ليقيه وليكون به استقلاله، وابن عثيمين رحمه الله أكثر وضحا إنه يقول إن أشعة الضوء لو وصلت إليه لأفسدته، جعله الله في ظلمات ثلاث، وفي رأي الشيخ طنطاوي جوهرى رحمه الله الظلمات الثلاث هي بطون الأمهات، وظلمات الأرحام، وظلمات الغشاء بداخل الأرحام. والصابوني أيضا يعد هذه الظلمات الثلاث في تفسيره.

وبالجملة، إن معظم المفسرين القدماء يرون أن المراد بالظلمات الثلاث هي: ظلمة بطن الأم، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، ويتضح مما سبق إن استخدام القرآن في ظلمات ثلاث صار سببا للبحث عند العلماء لإكتشاف الدلالة المعينة، ولهذا الإستخدام قوة ليتضمن التغيرات والتطورات في مجال العلم والطب.

## خاتمة البحث

علم التفسير هو نوع من أنواع العلوم المتدفقة من القرآن الكريم، وهو علم يتعلق ببيان آيات القرآنية ومراد مضامينها، القرآن قد نزل خلال ثلاث وعشرين سنة في مناسبات مختلفة، فعلم التفسير يبين أسباب نزول الآيات القرآنية كما يبين المراد والهدف من تعابيره ومصطلحاته وكلماته. وقد اهتم كثير من العلماء بعلم التفسير وشروحه في العصور المختلفة.

وقد اختلف العلماء في تعيين مصطلح 'التفسير' و'التأويل'، حيث فهم من يرون فهما الترادف والإختلاف في المعنى، وكلمة التفسير متعلقة ببيان الألفاظ ومواقفه على حين أن كلمة التأويل متعلقة بمعاني الجمل وإدراك مفهومها. فالتفسير أكثر اعتماداً على النقل، والتأويل أكثر اعتماداً على العقل. ولحسن فهم القرآن ومعانيه لابد أن يكون هذين المرحلتين أي تفسير القرآن وتأويل القرآن.

قد مر علم التفسير عبر مراحل أربعة وهي: عصر النبي ﷺ، وعصر الصحابة، وعصر التابعين، وعصر أتباع التابعين إلى العصر الحديث المعروف بعصر التدوين. كانت الدراسات القرآنية في عصر الرسول ﷺ تعتمد على إرشادات الرسول وتعاليمه ﷺ، لأنه كان يعيش معهم، وهو المفسر الأول والمعلم البارع، راجع إليه الناس في عهده لإزالة الشكوك والإلتباس. و الرسول ﷺ أذن لبعض أصحابه مثل ابن عباس ؓ أن يسجل ما قال في القرآن الكريم عند نزوله ولكن لم يشجع كتابة كلها، ونهاهم أن يكتبوا عنه شيئاً غير القرآن، وهناك تفاوت في فهم القرآن بين الصحابة حسب قدرتهم وملكتهم العقلية في التفكير. واعتمدوا على معرفتهم اللغوية بما فيها حفظ الآيات والقصائد والعادة اللغوية كما كانوا

يعتمدون على ما سمعوا من مجالس رسول الله ﷺ، كانوا لا يهدفون إلى تفسير القرآن بعصره وكانوا لا يختلفون في مضامينه ودراسته.

و عصر التابعين شاهد لإنشاء مدارس ثلاثة في فن التفسير: مدرسة التفسير بمكة وهم أتباع عبد الله بن عباس ؓ، ومن أشهر تلاميذه: أبو عبد الله سعيد بن جبير ؓ، أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي ؓ، وعكرمة مولى ابن عباس ؓ. ومدرسة التفسير بالمدينة بأيدي أبي بن كعب ؓ، ومن أشهر تلاميذه: أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي ؓ، وأبو حمزة محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظي المدني رضي الله عنه، وزيد بن أسلم ؓ. ومدرسة التفسير بالعراق الذي تطور على يدي عبد الله بن مسعود ؓ، ومن أشهر تلاميذه: علقمة بن قيس ؓ، وأبو عائشة مسروق بن الأجزع ؓ، والحسن بن أبي الحسن يسار البصري ؓ. ولهذه المدارس الثلاثة خصائصها وسماتها. وقد طرقت مدرسة العراق إلى منهج جديد أي منهج التفسير بالرأي في فن التفسير، فهي تعتبر بداية لفن التأويل في علم التفسير.

تنوع فن التفسير وتفرّع في عصر التدوين أي العصر الذي يمتد من عصر أتباع التابعين إلى العصر الحديث، وهذا العصر يمتاز بداية لتدوين علوم التفسير والتأويل، تنقسم هذه المرحلة إلى أطوار ثلاثة، في الطور الأول دوّن التفسير في كتب الحديث، والطور الثاني يمتاز بإنفصال التفسير من كتب الحديث حتى أصبح فنا مستقلا قائما على أصوله ونظامه، ولهذا الفن إتجاهان هما 'التفسير بالمأثور' و'التفسير اللغوي البياني'، و في الطور الثالث اتجه علماء التفسير باتجاهات مختلفة، فتنوع فن التفسير إلى أنواع منها الجمع بين التفسير الأثري والتفسير اللغوي، صاحبه الإمام الطبري رحمه الله، وظهور منهج آخر عرف بالمنهج الغالب، أدّى التفسير إلى طور التفرع والتنوع. وهذان المنهجان قد أدى علم التفسير إلى أبعاد جديدة حيث تدخلت فيه العلوم العقلية والفلسفية والتصوفية

والمذهبية والسياسية وغيرها إلى موضوع التفسير، فتنوع فن التفسير وتفرع إلى فروع جديدة بما فيها التفسير المأثور، والتفسير البياني اللغوي، والتفسير العقلي أو التفسير بالرأي، والتفسير الفقهي أو المذهبي، والتفسير الصوفي، والتفسير الفلاسفة.

تقدّم الزمان وتنوعت إحتياجات الإنسان ومشكلات حياته حتى اجتهد في تأويل الآيات القرآنية. قسّم العلماء التفسير إلى قسمين هما: 'التفسير الممدوح المقبول' و'التفسير المذموم المرفوض'، ووضعوا معايير ومقاييس للتمييز بينهما. إعتبروا التفسير ممدوحا مقبولا إذا إستوفى المعايير والمقاييس، وإلا فاعتبروه مذموما مخذولا.

والتفسير بالرأي يقوم على اجتهاد المفسر، وعمله بعقله، ونظره العميقة، وتقديمه خلاصة تفسير القرآن، وبيانه معاني القرآن ودلالاته وأحكامه. بين العلماء من يقوم بجانب التفسير بالرأي كما بينهم من لا يجيز بذلك، ولكلا الفريقين أدلة وبراهين لتعزير آرائهما، ويحتاج إلى من يتبع هذا المنهج أن يعرف كلام العرب، وألفاظ العربية ووجوه دلالاتها، وأسباب نزول القرآن والناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وأن يراعي قبول تفسير القرآن بالقرآن وما صح منه عن رسول الله ﷺ، وأن يوافق الكتاب والسنة والمراعاة عند اختيار المصادر والمراجع. وأن يجتنب تفسير المصطلحات المتعلقة بالغيب كما عليه أن يجتنب التفسير بهوى نفسه. ومن أشهر التفاسير في منهج التأويل مفاتيح الغيب للإمام الرازي، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي، وتفسير الجلالين للسيوطي والمحلي وغيرها.

التفسير العلمي هو نوع من أنواع التفسير بالرأي والعقل. وهو محاولة المفسر لإكتشاف الإعجاز العلمي في الإشارات العلمية والحقائق الكونية الواردة في القرآن

الكريم على ضوء الإكتشافات العلمية الحديثة، و اختلف العلماء في صحة هذا المنهج من التفسير، بينهم من أجازوه ومن لم يجزه، ولكل من يسانده ومن لا يسانده دلائل وحججهم لتشديد آرائهم. التنوع والتفرع في تفسير الآيات وتأويلها يقتضي دراسة دلالية لإكتشاف مدى التطور والتغير لمعاني المصطلحات وشروحها عبر العصور.

علم الدلالة هو فرع من فروع علم اللغة، وهو عبارة عن دراسة معنى الكلمات والجمل. وإنه يتناول معاني الألفاظ والمصطلحات وشروحها ومفهوماتها، هذا العلم معروف باصطلاح سيمانتيق ('semantic) في العصر الحديث، وأول من إستخدمه هو ميشال برايبيل (Michel Breal) في عام ١٨٩٧م، وكان عالما لغويا فرنسيا، قد شكل خطة واضحة لعلم الدلالة الحديثة، وفي نظريته إن علم الدلالة يهدف إلى بنية عملية التغيرات في معاني الكلمات وأسبابها كما يهدف التوسع والتقلص في المعاني، ونقل المعاني، والإرتفاع وتدهور قيمتها.

ولعلم الدلالة أهمية كبرى في اللغة العربية، لأنه منذ العصر القديم يعتبر جزء ضروريا للتبحر وللتعمق في علوم الدين والشرع خصوصا لفهم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. وفي رأي علماء اللغة العربية مثل فارابي والجاحظ وابن جني إن علم الدلالة هو دراسة التغيرات في المعنى مع مراعات التحول في الإستخدام عبر العصور. ينقسم علم الدلالة إلى أقسام هي: الدلالة الصوتية، والدلالة الصرفية، والدلالة النحوية، والدلالة المعجمية، والدلالة الطبيعية، والدلالة الوضعية، والدلالة العقلية، والدلالة السياقية والدلالة الإشارة، ودلالة التراكيب.

وللغة العربية طرق وقوايب لتوليد المصطلحات ومعانيها الجديدة منها 'الإشتقاق'، حيث يساعد لتحديث المصطلحات الجديدة وتكوينها لتسمية الإكتشافات

والإختراعات الحديثة. ينقسم الإشتقاق إلى ثلاثة أقسام هي: الإشتقاق الصغير والإشتقاق الكبير والإشتقاق الأكبر. التغير الدلالي هو طريق آخر لتوليد المصطلحات وذلك يكون إما بتوسع المعنى أو بتقلص المعنى أو تضيقه وتخصبه أو إعلاء قيمة المعنى، أو انحطاط قيمته.

للقرآن الكريم وعلوم التفسير دور بارز في تطور علوم اللغة العربية، لأن القرآن الكريم يعالج موضوعات مختلفة بما فيها المعرفة الإنسانية، والحقائق الكونية وأسرارها والإشارات العلمية. وقد قام أصحاب علماء التفسير بتأويل المصطلحات العلمية وتفسيرها عبر الزمان، وإنهم كثيرا ما كانوا يعتمدون على العلوم العصرية في تفسير المصطلحات العلمية الواردة في القرآن الكريم، والعلوم العصرية لم تزل ولاتزال في سبيل التطور والنماء، وإنها قد تغيرت ولاتزال تتغير عبر الزمان، هذه هي التي سببت في تغير الدلالات القرآنية وبيان معانيها ومفهوماتها عبر الزمان.

علماء التفسير قد اتخذوا موقفا لغويا في بيان تعابير والكلمات والمصطلحات القرآنية، وتأثروا كثيرا بمخترعات العلم الحديث واكتشافاته حتى ظهر بعض التغيرات في شروحه عبر الزمان، فمثلا: كلمة 'الرتق' و'الفتق'، في العصر القديم شرح المفسرون بأنه كانتا ملتصقتين، ثم رفع الله السماء ووضع الأرض، ولكن المفسرين في العصور المتأخرة بيّنوا هتين الكلمتين ونسبوهما إلى ظاهرة 'الإنفجار العظيم' حتى قدّموا آراء مختلفة حولها على ضوء مخترعات العلوم الحديثة.

و من الأمثلة في هذا القبيل كلمة 'موسعون' التي وردت في الآية: (والسما بنيناها بأيد وإنا لموسعون: الذاريات، ٤٧)، وقد عالج المفسرون تفسير هذه الكلمة في وجهة مختلفة حيث أن المفسرين في العصور القديمة بينوها بدلالاتها الأصلية المعجمية مثل: 'القوي على الإنفاق'، 'موسعون الرزق بالمطر'. والإختراع العلمي والإكتشافات

الحديثة قد أثرت على العلماء في العصور المتأخرة حيث أشاروا إلى إمكانية أبعاد جديدة لدلالة هذه الكلمة، في أن استعمال اسم الفاعل في اللغة العربية يفيد - في بعض الحالات - الإستمرار، ومن ثم فإن الآية هنا تشير إلى سعة الكون من ناحية، كما تشير إلى موضوع إمتداد الكون وتوسعه المطرد.

وقد أورد الباحث سلسلة من الأمثلة في الفصول السبعة للباب الرابع، وذلك لإثبات الحقيقة أن المعجمية العلمية في القرآن الكريم تتطور دلالاتها عبر الزمان. وقد قام الباحث بتحليل ثلاثين من العبارات والمصطلحات والكلمات العلمية التي وردت في القرآن الكريم وبيّن تطور دلالاتها في ترتيب زمني على ضوء التفاسير المختلفة وأقوال العلماء ونظريات العلم الحديث. فمن تلك الكلمات والمصطلحات ما يتعلق بخلق الكون، وجريان الشمس والقمر وضياءهما، وظواهر النجوم والكواكب، وبناء السماء وحفظها، وبساطة الأرض وكرويتها، وظواهر الطبيعة، وخلق الإنسان.

فخلاصة القول أن اللغة العربية وألفاظها نضجت نضجا لغويا عبر العصور حيث تمتص الدلالات الجديدة التي يحتاج إليها الإنسان على مر العصور، التطور والتقدم الذي يحدث في الحياة اليومية يؤثر اللغة أيضا تأثيرا بالغا، فنتيجة لهذا التقدم والتطور تخضع الكلمات والمصطلحات أيضا للتغير في دلالاتها ومعانيها واستخداماتها عبر العصور.

قد ركز الباحث دراسته وتحليله حول العبارات والمصطلحات والكلمات العلمية فقط في هذه الدراسة، وهناك سلسلة من المصطلحات المتعلقة بمجالات أخرى تستحق الدراسة ومن هذا السبيل تعابير مثل: 'نضجت جلودهم' (النساء: ٥٦)، 'قرطاس' (الأنعام: ٧)، أمم (الأنعام: ٣٨)، 'فالق الحب' (الأنعام: ٩٥)، 'حسيانا' (الأنعام: ٩٦)، 'يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء' (الأنعام: ١٢٥)،

'قد أنزلنا عليكم لباساً' (الأعراف: ٢٦)، 'زوجين اثنين' (الرعد: ٣)، 'كلّ شيءٍ عنده بمقدار' (الرعد: ٨)، 'بروج' (الحجر: ١٦)، 'من كل شيءٍ موزون' (الحجر: ١٩)، 'رواسي أن تميد بكم' (النحل: ١٥)، 'يُخرج من بطونها شراب مختلف ألوانها' (النحل: ٦٩)، 'ماؤها غورا' (الكهف: ٤١)، 'نطوي السماء كطي السجل للكتب' (الأنبياء: ١٠٤)، 'سلالة من طين' و'المضغة' (المؤمنون: ١٢، ١٤)، 'سبع طرائق' (المؤمنون: ١٧)، 'وجعل بينهما برزخا وحجرا' (الفرقان: ٥٣)، 'يُخرج الخبي' (النمل: ٢٥)، 'تمر مر السحاب' (النمل: ٨٨)، 'يمسك السماوات' (فاطر: ٤١)، 'والسماوات مطويات' (الزمر: ٦٧)، 'هذا كتابنا.... نستنسخ' (الجاثية: ٢٩)، 'وما لها من فروج' (ق: ٦)، 'وضع الميزان' (الرحمن: ٧)، 'وردة كالدهان' (الرحمن: ٣٧)، 'نسوي بنانة' (القيامة: ٤)، 'كتاب مرقوم' (المطففين: ٩).

فهذه القائمة الطويلة تفتح أبوابا إلى دراسات متنوعة في مجال الدلالات القرآنية فالرجاء من الذين يتقدمون إلى البحث في مجال دراسات القرآنية أن يلفتوا إنتباههم إلى الدراسات الدلالية القرآنية أيضا، لأنه ستؤدي إلى إدراك أحسن وأفهم لمضامين القرآن، والله أعلم وهو الموفق، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

## أهم نتائج البحث

وصل الباحث بعد البحث عن موضوع "تطور المعجمية العلمية في القرآن الكريم: دراسة الدلالات التفسيرية عبر العصور" إلى النتائج التالية:-

١. التفسير والتأويل هو جزء مهم لبيان القرآن ودراسته
٢. التفسير أكثر اعتماداً على النقل والتأويل أكثر اعتماداً على العقل
٣. كان تطور علم التفسير تدريجياً إلى أن يصل إلى فن مستقل من عصر النبي إلى العصر الحديث المعاصر
٤. كان علم التفسير ينحصر على ما كان غامضاً من الآيات القرآنية في عهد الصحابة
٥. مدارس التفسير في مكة، والمدينة، والعراق قد مهدت الطريق إلى تنوع علوم التفسير
٦. منهج الرأي في التفسير عند العراقيين قد أدى إلى الإبتكارات في علم التفسير
٧. انفصال التفسير عن كتب الأحاديث قد جعله فناً مستقلاً
٨. التعدد في المناهج وكثرة المفسرين اضطرت العلماء لتقسيم التفسير إلى الممدوح والمذموم على أساس مقاييس ومعايير اتبعتها
٩. الإتجاه العلمي قد ألقى أضواءً إلى جوانب علمية للقرآن
١٠. فتح 'المنهج الجامع' و'المنهج الغالب' أبواباً جديدة للمفسرين، لأنهما قد أدى إلى تفسير القرآن وفق مجال العلم الذي اختص فيه المفسر
١١. المصادر والمراجع أمر مهم في تعيين الممدوح المقبول في التفسير
١٢. تقدم الزمان والتغيرات في حاجات الإنسان والمشكلات الجديدة التي برزت في مسيرة الحياة الإجتماعية صارت سبباً لتأويل الآيات

١٣. التفسير العقلي يقوم على إستخدام العقل والتفكير في شرح مضامين القرآن كما يقوم على إجتهاد المفسر وعمله بعقله، ونظره العميق
١٤. لعلم الدلالة دور هام في دراسة تطور المعنى وتغيره
١٥. لعلم الدلالة أهمية في دراسة ألفاظ القرآن أيضا حتى يجعل الدراسة القرآنية أكثر دقيقة ومنظومة
١٦. قد ساعد علم الدلالة في تحليل الألفاظ والعبارات القرآنية لغويا ومعجميا وصوتيا ونحويا
١٧. تحليل المعنى يشتمل على تحليل الأفكار أيضا كما يشتمل على فهم دلالة الكلمة أو المصطلحات
١٨. الإعجاز العلمي هو الحقائق الكونية المثبتة والإشارات إلى أسرارها التي وردت في آيات القرآن
١٩. التفسير العلمي هو محاولة لفهم هذه الآيات مع مساعدة العلوم الحديثة
٢٠. وقد استطاعت اللغة العربية أن تواجه تحديات العصر المعاصر بما فيها إنفجار العلوم واشتقاق المقابلات لتسمية المخترعات العلم الحديث.
٢١. الإتجاهات مثل 'الإشتقاق' و'النحت' و'الإقتراض' وغيرها هي التي سهلت الطريق إلى توليد المصطلحات والكلمات
٢٢. تطور علم الدلالة قد مهد الطريق إلى تطور علم التفسير والتأويل أيضا، حيث استطاعوا أن يفسروا ويؤولوا المصطلحات العلمية في صورة أدق وأوضح.
٢٣. حاول المفسرون لأن يعطوا معنى معاصرا للكلمات والعبارات العلمية في القرآن
٢٤. كان المفسرون يتخذون موقفا لغويا في بيان الكلمات العلمية في العصر القديم ولكن المفسرين في العصور المتأخرة قد إعتبروا الأمر الواقع في

مجتمعهم المعاصر عندما يفسرون القرآن ويؤولونه لإستنباط الأحكام  
والفتاوى

٢٥. تأثر علماء التفسير في العصر الحديث والمعاصر باكتشافات العلوم  
الحديثة حيث اعتمدوا على المخترعات والإكتشافات الحديثة في تأويل  
الكلمات والعبارات القرآنية خاصة في ما يتعلق بالعلوم وحقائق الكون.

يرجو الباحث أن يكون هذا البحث مفيدا للباحثين والدارسين في مجال الأدب  
العربي والدراسات القرآنية. ولا يدعي الباحث أن هذه الدراسة كاملة وشاملة بل  
أرجو أن تكون مفيدة للراغبين في الدراسات القرآنية ولمن سوف يبحثون في مجال  
علم الدلالة ومناهج التفاسير والدراسات القرآنية. والله المستعان وولي التوفيق،  
والحمد لله رب العالمين.

## الإقتراحات والتوصيات

الباحث قد بذل جهده الممكن في هذا البحث المهم عن "تطور المعجمية العلمية في القرآن الكريم: دراسة الدلالات التفسيرية عبر العصور". قام الباحث بدراسة الدلالات المعجميات العلمية الواردة في القرآن الكريم. ويريد الباحث أن يقدم بعضا من التوصيات حتى تلقى الضوء للذين يتطرقون هذا المجال وتزودهم عناوين البحث التي تقتضي مزيدا من الدراسة والبحث:-

- موضوع التفسير بالرأي والتفسير العلمي للقرآن الكريم يفيد لمن يرغب فيه دراسات إبتكارية حول القرآن الكريم وعلم التفسير.
- علم الدلالة العربية الحديثة يلقي أضواء إلى الدلالات القرآنية فهذا خير مجال لمن يرغب في دراسة علم الدلالة القرآنية
- العلوم الحديثة لاتزال تتطور فلعل المفسرون في الجيل الناشئ يلقون الأضواء إلى جوانب جديدة للكلمات والعبارات القرآنية فعلى الباحثين من الجيل الناشئ أن يرقبوا التطورات التي تحدث في عصر ما بعد الحداثة حتى يفهم الجيل القادم مضامين القرآن الكريم في صورة أوضح.

وصل هذا البحث بعون الله وتوفيقه إلى نهاية المطاف فيعترف الباحث الزلل والأخطاء التي قد تحدث في سبيل الدراسة والتحليل، ومع ذلك قد بذل الباحث ما استطاع من الجهد، راجيا من الله التوفيق وسائلا من الله القبول. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## المصادر والمراجع

### المعاجم

١. الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م/١٤٢٤ هـ.
٢. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٩٩م/١٤١٩ هـ.
٣. أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠١٣.
٤. أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ١٩٧٩م/١٣٩٩ هـ.
٥. حسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل، معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، الطبعة الأولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.
٦. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مطبعة حكومة الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٤م.
٧. محمد فواد عبد الباقي، معجم غريب القرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط: ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
٨. معجم الوسيط، أصدرت تحت إشراف مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، مكتبة الشروق الدولية، مصر، الطبعة الرابعة، ١٤٢٥ هـ/٢٠٠٤ م.
٩. المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط-٣٩: ٢٠٠٢م.
١٠. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط-١٠: ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

## التفاسير

١. أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المشهور بتفسير أبي السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان
٢. أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب المشهور بالتفسير الكبير، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط-١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م
٣. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط-١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م
٤. أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط-٣، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م
٥. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط-٢، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م
٦. أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط-٣، ١٤٠٧هـ
٧. أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي، بحر العلوم (تفسير السمرقندي)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط-١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م
٨. أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل (تفسير البغوي)، دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م
٩. أبو محمد عبد الرحمن بن حاتم الرازي، تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط-١، ١٤٣٩هـ
١٠. أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة، مصر، ط-١، ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م
١١. أمير عبد العزيز، التفسير الشامل، دار السلام، القاهرة، ط-١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م
١٢. جلال الدين محمد بن أحمد المحلي؛ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تفسير الجلالين، مكتبة الإيمان، المنصورة، القاهرة، مصر
١٣. جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط-٥، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م
١٤. حسن علون؛ محمود محمد حمزة؛ محمد أحمد برائق غاية البيان في تفسير القرآن، دار المعارف، مصر، ١٩٥٣

## تطور المعجمية العلمية في القرآن الكريم: دراسة الدلالات التفسيرية عبر العصور

١٥. إسماعيل شهاب الدين، على هامش التفاسير تعليقات على تفسير الجلالين، جمعية الطلبة نبراس العلماء، جامعة الزهراء، بانور، كيرلا، الهند، ط-١٤١٩هـ/١٩٩٨م
١٦. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط-٣٢، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م
١٧. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ (الدكتورة)، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٠م
١٨. عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، دار السلام للنشر والطباعة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط-٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م
١٩. عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن بن قاسم العاصمي، تفسير القرآن العظيم، دار القاسم للنشر، المملكة العربية السعودية، ط-١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م
٢٠. القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الكتب العربية الكبرى، مصر
٢١. محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط-١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م
٢٢. محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م
٢٣. شهاب الدين الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان
٢٤. محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، تفسير القرآن بالقرآن من أضواء البيان، دار الفضيلة، الرياض، ط-١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م
٢٥. محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم، دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة السعودية، ٢٠٠٤م
٢٦. محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط-٣، ١٩٨٧م
٢٧. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، ط-٤: ١٩٨١م/١٤٠٢هـ
٢٨. محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، ط-١: ١٤٢١هـ/٢٠٠١م
٢٩. نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط-١: ١٤١٦هـ
٣٠. نواب صديق حسن خان القنوجي، تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م

٣١. عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط-١: ١٤١٨هـ/١٩٩٧م

## الكتب والمقالات

١. أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريبي الكفوي، الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان
٢. أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، دار القلم، بيروت، لبنان
٣. أبو العباس تقي الدين أحمد بن الحلیم ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان ط-٢: ١٤٩٠هـ/١٩٨٠م
٤. أبو الفتح عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط-١: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م
٥. أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، المكتبة العلمية، المدينة، ١٩٩٠م أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، مكتبة الصفاء، دار الأرقم، بيروت، لبنان
٦. أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط-١: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م
٧. أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ١٩٩٨
٨. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، كتاب جواهر القرآن، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، ط-١: ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م
٩. اجنس جولد تسمهر، المذهب الإسلامية في تفسير القرآن، المركز الأكاديمي للأبحاث، بغداد، العراق، ٢٠١٣م
١٠. أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٧٩م
١١. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، علم الكتب القاهرة، مصر، ط-٥: ١٩٩٥م
١٢. أمين الخولي، التفسير: معالم حياته- منهجه اليوم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٣م
١٣. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط-٣: ١٩٧٦م
١٤. إبراهيم محمد الجرمي، معجم علوم القرآن، دار القلم، دمشق، سوريا، ط-١: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م

## تطور المعجمية العلمية في القرآن الكريم: دراسة الدلالات التفسيرية عبر العصور

١٥. بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار الحديث، القاهرة، مصر، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م
١٦. بطرس البستاني، دائرة المعارف دائرة المعارف: قاموس عام لكل فن ومطلب، مؤسسة مطبوعاتي إسماعيليان طهران
١٧. جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط-١: ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م
١٨. حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية ومعجمية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ٢٠١٠م
١٩. الحسين بن محمد الدامغاني، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، دار العلم للملايين، بيروت،
٢٠. خالد عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط-٢: ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م
٢١. زغلول راغب محمد النجار، قضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وضوابط التعامل معها، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ٢٠٠٩م
٢٢. زغلول راغب محمد النجار، من آيات الإعجاز العلمي: السماء في القرآن الكريم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط-٤: ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م
٢٣. زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، كتاب مختار الصحاح، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، لبنان، ط-٥: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م
٢٤. سوهير حفيان، الإشتقاق ودورها في نمو اللغة، جامعة أم البواقي، الجزائر، ٢٠١٦م
٢٥. شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، ط-٢: ١٩٩٥م
٢٦. صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط-١٦: ٢٠٠٤م
٢٧. صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دار القلم، دمشق، سوريا، ط-٤: ١٤٣١هـ/٢٠١٠م
٢٨. طاهر سليمان حموده، دراسة المعنى عند الأصوليين، الملتقى المصري للإبداع والتنمية، مصر، ٢٠٠١م
٢٩. عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المسائل والأجوبة في الحديث والتفسير، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ط-١: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م
٣٠. عبد الله جاد الكريم، مدخل إلى علم الدلالة، [www.shomosnews.com](http://www.shomosnews.com)
٣١. عبد الله شحاتة، علوم التفسير، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط-١: ٢٠٠١م

## تطور المعجمية العلمية في القرآن الكريم: دراسة الدلالات التفسيرية عبر العصور

٣٢. عبد القادر محمد صالح، التفسير والمفسرون في العصر الحديث، دار النفثس، الأردن، ط-١: ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م
٣٣. عبد الكريم تتان، تحت راية القرآن، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط-١: ١٤٣١هـ/٢٠١٠م
٣٤. علي بن محمد الأمدي، الإحكام في أصول الأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ٢٠١١م
٣٥. عبد العظيم المطعني، المجاز في اللغة والقرآن الكريم بين الإجازة - والمنع، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٥م
٣٦. عبد القادر بن مصطفى المغربي، الإشتقاق والتعريب، مطبعة الهلال، مصر، ط: ١٩٠٨م
٣٧. علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط-١: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م
٣٨. علي القاسمي، علم المصطلح: أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠٨م
٣٩. غيدو روجيري، مترجم عبد اللطيف أبو عرقوب، الأجرام السماوية، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، ط-١: ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م
٤٠. فريد عوض حيدر، علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٨م
٤١. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية، ط-١: ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م
٤٢. فاضل مصطفى الساقى، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط: ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م
٤٣. فتح الله أحمد سليمان، مدخل إلى علم الدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ١٩٩١م
٤٤. كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، مصر، ٢٠٠٠م
٤٥. محمد اسماعيل ابراهيم، القرآن وإعجازه العلمي، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ١٩٧٧م
٤٦. محمد بن الحسن الإستراباذي السمنائي، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط-١: ١٤١٧هـ/١٩٦٦م
٤٧. محمد بن لطفي الصباغ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط-٣: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م
٤٨. محمد عبد الحفيظ العريان، في الدلالة اللغوية، ط-٢: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م
٤٩. محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، مصر، ط-٣: ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م

٥٠. محمد علي البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط- ٤: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م
٥١. محمد علي التهانوي، كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، مكتبة لبنان، ١٩٦٦م
٥٢. محمد علي الخولي، معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م
٥٣. محمد علي الرضائي الأصفهاني، مناهج التفسير واتجاهاته: دراسة مقارنة في مناهج تفسير القرآن الكريم، مكتبة مؤمن قريش، بيروت، لبنان، ط-١: ٢٠٠٨م
٥٤. محمد عمر الحاجي، موسوعة التفسير قبل عهد التدوين، دار المكتبي، سورية، ط-١: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م
٥٥. مروان وحيد شعبان التفتنازي، الإعجاز القرآن في ضوء الإكتشاف العلمي الحديث دراسة تاريخية وتطبيقات معاصرة، درار المعرفة، بيروت، لبنان، ط-١: ٢٠٠٦م
٥٦. مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط-٨: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م
٥٧. مصطفى محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط: ١٤٢٣هـ/ ٢٠١٢م
٥٨. مصطفى محمد حسين الذهبي، علم التفسير، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٧٧م
٥٩. مصطفى محمود، القرآن: محالة لفهم عصري، دار المعارف، مصر، ١٩٩٩م
٦٠. منذر عياشي، اللسانيات والدلالة، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ط-١: ١٩٩٦م
٦١. منصور محمد حسب النبي، المعارف الكونية بين العلم والقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨م
٦٢. منصور محمد حسب النبي، الكون والإعجاز العلمي في القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، ط-٢: ١٩٩١م
٦٣. موريس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، المكتب الإسلامي، بيروت، ط-١: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م
٦٤. موسى شاهين لاشين، اللآلئ الحسان في علوم القرآن، دار الشروق للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م
٦٥. نور الدين محمد عتر الحلبي، علوم القرآن الكريم، مطبعة الصباح، دمشق، ط-١: ١٤١٤هـ/١٩٩٣م
٦٦. هند شلي، التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق، المساهم، تونس، ١٩٨٥م
٦٧. هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، دار الأمل، الأردن، ط-١: ٢٠٠٧م
٦٨. عبد الله بن عبد الله الأهدل، التفسير العلمي للقرآن الكريم، (رسالة ماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم القرآن وعلومه، بإشراف محمد أحمد أبو فراخ، ١٤٠٣هـ)

٦٩. المصطلحات العربية الناشئة مقابل نظائرها الانجليزية واستخداماتها – دراسة تحليلية، الدكتور

علي نوفل، رسالة الدكتوراة، جامعة جوهر لالا نهرو بنيودليه

70. Adam Schaff, Introduction to semantics, Pergamon Press Book, The Macmillan Company, New York, 1962
71. Allahbuksh K Brohi, The Qur'an and its impact on Human History Crescent Publishing Company, Aligarh, 1981.
72. Ahmed Deedat, Al Qur'an The Ultimate Miracle, Islamic Book Service, New Delhi
73. F.R. Palmer, Semantics Second Edition, Cambridge University Press, 1981
74. Grant, Edward, The Foundations of Modern Science in the Middle Ages: Their Religious, Institutional, and Intellectual Contexts. Cambridge: Cambridge Univ. Pr., 1996.
75. Harun Yahya, Miracles of the Quran, Published by Al-Attique Publishers Inc. Canada, 2001
76. John L Esposito (Ed.), Oxford Encyclopedia of the Modern Muslim world, Oxford University Press, 1995.
77. Kuttiammu, Qur'aanilekku Oru Theerthayathra, Kuttiammu Sahib Trust, Calicut, 1989.
78. Majid Ali Khan, Islam on Origin and Evolution of Life, Idarah-I-Adabiyat I Delli, Delhi, 2009.
79. Maurice Bucaille, The Quran and Modern Science, U.K. IM Dawah Centre
80. Moore Keith, K.L., Persaud, T.V.N. & Torchia, M.G, The Developing Human: Clinically Oriented Embryology, Philadelphia: Saunders, 2011
81. Muzaffar Iqbal, Islam and Science: Explorations in the Fundamental Questions of the Islam and Science Discourse. Lahore, Suheyl Academy, 2004.
82. Syed Muhammed Nisami, Quranum Shasthreeya Sathyangalum, Al Huda Book Stall, Calicut, 1978
83. A short introduction to Semantics, Article published by Karim Nazari Bagha, Journal of Language Teaching and Research, Vol.2 No. 6, pp. 1411-12, November 2011. (ISSN 1798-4769)
84. Semantics of the Quran: The Past and opportunity in the Future, Dadang Darmawan, Advances in Social Science, Education and Humanities Research (ASSEHR) volume 137, Page: 114

## المواقع

1. <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar>
2. <https://www.maajim.com/dictionary>
3. <https://ar.wikipedia.org/wiki/>
4. <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar>
5. <https://al-maktaba.org>
6. <https://quran-tafsir.net>
7. <https://www.almrsl.com>
8. <https://www.ejaz.org>
9. <https://anwaar.squ.edu.om/blogs>
10. [www.mawdoo3.com](http://www.mawdoo3.com)
11. [www.shomosnews.com](http://www.shomosnews.com)
12. [www.islamreligion.com](http://www.islamreligion.com)
13. <https://archive.org>

## CERTIFICATE

Certified that this is the revised copy of the thesis on **“Evolution Of Scientific Lexicon Used in Holy Quran: A Chronological Semantics of the Exegesis”** submitted by Mr. Shabeerali. K.K, to the University of Calicut under my Supervision and Guidance. Further Certified that the corrections / suggestions made by the adjudicators have been incorporated in the revised copy of the thesis and the contents in the thesis and the soft copy are one and the same.

Dr. ALI NOUFAL K.

Associate Professor, Dept. of Arabic, University of Calicut  
& Former Head, PG & Research Department of Arabic  
Farook College (Autonomous), Kozhikode

Place: Farook College

Date:

## CERTIFICATE

This is to certify that the thesis entitled **“Evolution Of Scientific Lexicon Used in Holy Quran: A Chronological Semantics of the Exegesis”** submitted by Mr. Shabeerali. K.K, to the University of Calicut for the award of the Degree of Doctor of Philosophy in Arabic Language & Literature, is a record of the bonafide research work done by him under my guidance and supervision. No part of this thesis has hitherto been submitted earlier for the award of any Degree / Diploma in any University.

Dr. ALI NOUFAL K.  
Associate Professor, Dept. of Arabic, University of Calicut  
& Former Head, PG & Research Department of Arabic  
Farook College (Autonomous), Kozhikode

Place: Farook College

Date:

## DECLARATION

I, Shabeerali. K.K, hereby declare that this thesis entitled “**Evolution of Scientific Lexicon Used in Holy Quran: A Chronological Semantics of the Exegesis**” is a record of bonafide research done by me under the supervision of Dr. Ali Noufal. K, Associate Professor, Department of Arabic, University of Calicut & Former Head, PG & Research Department of Arabic, Farook College(Autonomous), Calicut in partial fulfillment of the requirements for the award of the Degree of Doctor of Philosophy in Arabic Language & Literature.

I also declare that this thesis is the result of my own effort and that no part of this thesis has hitherto been submitted for the award of any Degree / Diploma in any University.

**Shabeerali. K.K**

Place: Farook College

Date:

# Evolution of Scientific Lexicon Used in Holy Quran: A Chronological Semantics of the Exegesis

Thesis Submitted in Partial Fulfillment  
of the Requirements for the Award of the Degree of  
**DOCTOR OF PHILOSOPHY**  
In Arabic Language and Literature

By  
**SHABEERALI. K.K**

*Under the supervision of*

**Dr. ALI NOUFAL K.**

Associate Professor, Dept. of Arabic, University of Calicut &  
Former Head, PG & Research Dept. of Arabic  
Farook College (Autonomous), Kozhikode



**UNIVERSITY OF CALICUT**

Kerala, India

2022